الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة علي لونيسي البليدة 2
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الاجتماعية

سيـــميـائـيـة العـــمارة وتجـــسيد الـهـوية الثـــقـــافـيـة
البـــنـــــاء الـــذاتـــي نـــمـوذجا
دراســـــة مـــيدانية في مـــدينة تـــبسة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع
تخصص: أنثروبولوجيا عامة

إعداد الطالبة:
قاسمي هدى

تحت إشراف الدكتور:
درويش الشريف

السنة الجامعية: 2021/2020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة علي لونيسي البليدة 2
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الاجتماعية

سيميائية العمارة وتجسيد الهوية الثقافية
البناء الذاتي نموذجا
دراسة ميدانية في مدينة تبسة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع
تخصص: أنثروبولوجيا عامة

إعداد الطالبة: قاسمي هدى

تحت إشراف الدكتور: درويش الشريف

أمام اللجنة المشكلة من:

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
بلمختار رضا	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة 2	رئيسا
درويش الشريف	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	مشرفا ومقررا
سلالي مراد	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
مبروك مريم	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
بروقي وسيلة	أستاذ محاضر أ	جامعة تبسة	عضوا مناقشا
جفال نور الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

الإهـــداء

إلى حكمتي: أبي الغالي

إلى أماني: أمي الغالية

إلى سندي وقوتي وملاذي: إخوتي
سعدية (وزوجها)، سعاد (وزوجها)، فوزي، سفيان (وزوجته)، صلاح (وزوجته)، إيمان

إلى صانعي لحظات الحب والسعادة: أطفال العائلة
ألاء، إسراء، أنفال، إيلاف، ضحى، يوسف

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

إن أي عمل لا يستوي قائما، ولا تذلل أمامه العوائق، إلا بتظافر الجهود والدعم

وإنارة الدروب والسبل بالنصح والإرشاد

ولذلك أتقدم بشكري الجزيل والخالص وإمتناني وتقديري للأستاذ المؤطر أستاذنا الفاضل الدكتور **درويش الشريف** على إشرافه ومتابعته المستمرة لإنجاز هذه الأطروحة وإخراجها في شكلها النهائي، وعلى توجيهاته السديدة وكتبه القيمة فقد كان لي نعم العون والسند

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة الأساتذة الأفاضل الذين أناروا لنا درب العلم و أشرفوا على تدريسنا طيلة مشوارنا الجامعي.

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بتصويب هذا العمل

وإلى كل من ساهم معنا في إنجاز هذا العمل

الملخص:

من أجل فهم العلاقة القائمة بين العمارة والهوية الثقافية، فقد حاولنا من خلال هذه الدراسة إلقاء الضوء على موضوع العمارة من وجهة نظر أنثروبولوجية، وكيف أنها (عمارة المسكن) وجه للهوية الثقافية للمجتمع فهي تعكس خصائصه الثقافية من خلال شكلها وظيفتها والرموز التي تتضمنها، فالمسكن أنثروبولوجيا يتجاوز كونه فضاء فيزيقي يتكون من: أساسات وأعمدة وجدران وأبواب ونوافذ وسقف تشكل لنا غرف إلى كونه فضاء ثقافي اجتماعي، حيث تدور فيه مختلف الممارسات والسلوكات اليومية والطقوس، كما أنه يضم العديد من العلاقات والتفاعلات بين ساكنيه، كما تتمحور حوله تصورات وتمثلات مختلفة، فهو بذلك يعكس ثقافتهم وهويتهم.

الكلمات المفتاحية: العمارة – المسكن – الهوية الثقافية

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

			الصفحة
	الإهداء		3
	شكر وتقدير		4
	الملخص		5
	فهرس المحتويات		6
	قائمة الجداول		12
	قائمة الخرائط		12
	فهرس الأشكال والصور		14
	مقدمة		18
	الباب الأول: الإطار المنهجي		22
	الفصل الأول: الإشكالية ومنهجية البحث		23
.1	أسباب اختيار المشروع		24
.2	أهمية الدراسة		25
.3	أهداف الدراسة		26
.4	الإشكالية والتساؤلات		27
.5	المقاربة المفاهمية		29
	.5.1	مفاهيم خاصة بالعمارة والمسكن	29
	5.2	مفاهيم خاصة بالهوية الثقافية	36
	5.3	مفاهيم خاصة بالمخيال	41
.6	المقاربة النظرية		44
.7	الدراسات السابقة		45
	.7.1	الدراسات الغربية	45
	.7.2	الدراسات العربية	47
	.7.3	الدراسات الجزائرية	51
.8	المقاربة المنهجية		56

	-	المناهج	56
	-	الأدوات والتقنيات	57
	-	مجالات الدراسة	60
9.	صعوبات الدراسة		62
الباب الثاني: الإطـار النـظري			63
تمهيد			64
الفصل الثاني: العمارة كمظهر من مظاهر الهوية الثقافية			65
تمهيد			66
أولا	الهوية الثقافية		67
	I.	مفهومها	67
	II.	محدداتها	68
ثانيا	العمارة التقليدية في الجزائر: ثقافة تبني عمارة		71
	I.	العمارة العربية الإسلامية	72
	II.	عمارة بني مزاب	90
	III.	العمارة القبائلية	99
الخلاصة			107
الفصل الثالث:: واقع عمارة المسكن في الجزائر			108
تمهيد			109
أولا	التطور التاريخي للعمارة في الجزائر		110
	1.	العمارة ماقبل العهد العثماني	110
	2.	العمارة في العهد العثماني	112
	3.	العمارة في العهد الكولونيالي	113
	4.	العمارة في العهد ما بعد الكولونيالي	115
ثانيا	سياسات الإسكان		117
	1.	برنامج السكن العمومي الإيجاري LPL	118
	2.	برنامج السكن الاجتماعي التساهمي LSP	118

	.3	برنامج السكن التطوري	119
	.4	برنامج السكن عن طريق البيع بالإيجار	119
	.5	السكن الترقوي المدعم	120
ثالثا		أنماط السكن	120
	.1	الأحياء القصديرية	120
	.2	البناء الفوضوي	123
	.3	الأحياء القديمة	125
	.4	السكن الجماعي	125
	.5	الفلل الفاخرة	128
خلاصة الفصل			129
الفصل الرابع: مـونوغـرافـيا تـبسة			130
تمهيد			131
أولا		دراسة جغرافية	132
	.1	الموقع الجغرافي	132
	.2	التضاريس	134
	.3	المناخ	135
ثانيا		دراسة تاريخية	136
	.1	أصل تسميتها	136
	.2	تبسة عبر التاريخ	137
ثالثا		دراسة اجتماعية وثقافية	148
	.1	السكان	148
	.2	اللغة	149
	.3	الصناعات التقليدية	149
	.4	الفنون الشعبية	150
	.5	الألعاب الشعبية	150
	.6	الأكلات الشعبية	150
رابعا		دراسة عمرانية	151

		.1	السكن في تبسة	151
		.2	أهم الآثار المعمارية	155
خلاصة				160
الباب الثالث: الإطـار الـميدانـي				161
تمهيد				162
الفصل الخامس: المسكن في المخيال الشعبي				164
تمهيد				165
أولا	المسكن: تمثل ورمز			167
	I.		حميمية المسكن	167
		.1	المسكن تحقيق للوجود وإمتداد للذات	168
		.2	إنغلاق المسكن على ذاته	171
	II.		المسكن والحرمة	175
		.01	المرأة: حرمة الدار	175
		.02	العتبة: تجسيد رمزي للحرمة	176
	III.		المسكن بين الذكورية والأنثوية	178
		.01	المسكن والهيمنة الذكورية	178
		.02	المرأة في المسكن بين الحرية والسجن	181
ثانيا	المسكن: إعتقاد وطقس			185
	I.		ليس الإنسان وحده من يشغل الفضاء	186
	II.		البركة كإعتقاد	190
	III.		العين (الحسد) حق	193
خلاصة				196
الفصل السادس: المسكن: من فضاء مُنتَج إلى فضاء منتِج				198
تمهيد				199
أولا	داخل حدود المسكن			200
		.1	الاسرة والروابط العائلية داخل المسكن	200

	.2	خروج المرأة للعمل	204
ثانيا		الفضاء خارج حدود المسكن	205
	.1	الفضاء الفيزيقي	205
	.2	الفضاء الاجتماعي	210
خلاصة الفصل			112
النتائج العامة للدراسة			213
خاتمة			217
قائمة المصادر والمراجع			220
قائمة الملاحق			232
الملخص باللغة الأجنبية			236

فهرس الصور

قائمة الصور

الرقم	عنوان الصورة	الصفحة
01	شكل تخطيطي للمشربية وكيفية الإستفادة منها في تبريد جزاز المياه	80
02	رسم توضيحي للتوجيه نحو الداخل (الفناء)	81
03	نشاطات يومية في فناء المنزل	83
04	نساء يحضرن طعام الكسكس في فناء المنزل	83
05	رسم توضيحي لدور الفناء في التهوية والاضاءة	85
06	حركية الهواء عن طريق الشخشيخة	86
07	رسومات توضيحية لدور البراجيل في التهوية داخل المسكن	87
08	رسم توضيحي لمجال الرؤية من خلال المدخل	91
09	مدخل مسكن بني مزاب من الداخل	91
10	رسم تخطيطي للعتبة	91
11	الجدار الخارجي لمساكن بني مزاب	92
12	نافذة خارجية في مساكن بني مزاب	92
13	الفناء الداخلي (وسط الدار) في المنزل المزابي	92
14	مخطط يبين وسط الدار لمسكن مزابي	93
15	مقطع توضيحي للإضاءة من خلال الفناء الداخلي في مسكن مزابي	93
16	الشباك في المنزل المزابي	94
17	إرتفاع المسكن بالنسبة لإرتفاع الإنسان	95
18	المطبخ المزابي	95
19	غرفة الاستقبال في المسكن المزابي	95
20	رسم تخطيطي لمجال الرؤية من خلال جدار السطح	96
21	تلاصق منازل بني مزاب	97
22	أشكال التشارك في منازل بني مزاب	98
23	هيكلية المنزل القبائلي (العمود والركائز)	99
24	مكان استقبال الرجال عند الواجهة في المنزل القبائلي	100

25	مكان استقبال الرجال عند المدخل في المنزل القبائلي	100
26	تقسيم الفضاء الداخلي في المنزل القبائلي	101
27	المطبخ (الكانون) في المنزل القبائلي	102
28	رسم تخطيطي للمنزل القبائلي	104
29	رسم تخطيطي لمكونات غرفة المعيشة في النزل القبائلي	104
30	رسم تخطيطي لـ "اداينين" في المنزل القبائلي	106
31	رسم تخطيطي لـ "تاريكت" في النزل القبائلي	106
32	صورة حديثة لبوابة النصر –آثار تبسة	155
33	صورة حديثة للسور البيزنطي –آثار تبسة	156
34	منظر لآثار المدرج المسرحي –آثار تبسة	157
35	صورة حديثة للباز يليك –آثار تبسة	158
36	واجهة أحد المساكن في مدينة تبسة	173
37	واجهة أحد المساكن في مدينة تبسة	173
38	شكل تخطيطي لإحدى المساكن في مدينة تبسة	174
39	طبع الكف (رسم شكل الخمسة) على الجدار الخارجي للمسكن	195
40	طبع الكف (رسم شكل الخمسة) على الجدار الخارجي للمسكن	195
41	مدخلين مستقلين لمسكن واحد	202
42	إضافة سلالم ومدخل خارجي للطابق العلو ي	202
43	الإستقلالية بالطابق العلوي بإضافة سلالم ومدخل خارجي خاص له	203
44	كتابات على جدران المسكان	209
45	كتابة على الجدران	209

فهرس الجداول

وفهرس الخرائط

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	توزيع الأحياء والسكنات عبر مختلف القطاعات في مدينة تبسة	154

قائمة الخرائط

الرقم	عنوان الخريطة	الصفحة
01	موقع مدينة تبسة بالنسبة لولاية تبسة وبالنسبة للج ا زئر	133

مقدمة

المقدمة:

قبل عشرة آلاف سنة تقريبا شهدت الإنسانية إنطلاقة حضارية هامة إنتقل فيها الإنسان من صياد ولاقط للثمار إلى مزارع ينتج غذائه، وقد فرض هذا التحول على الإنسان الاستقرار، ومن هنا بدأت فكرة العمارة في الظهور، عندما إنتقل الإنسان من السكن في الكهوف والمغارات إلى بناء بيوت خاصة له ومعابد يتعبد فيها.

ولطالما كانت العمارة حتى بأبسط أشكالها هي حصيلة القيم الفكرية والأخلاقية والفلسفية وحتى الجمالية التي تخص ساكنيها، فهي (العمارة) تتعدى كونها مواد بناء معينة شكلت بطرق وتقنيات معينة لتشكل جدران وأسقف فتنتج مبنى، إلى كونها تلبي إحتياجات نفسية وروحية واجتماعية، فحتى في عصور ما قبل التاريخ عندما كان الانسان يسكن الكهوف والمغارات لم يفته أن ينحت جدرانها برسوم ولوحات ذات مدلولات ومعاني لطقوس عباداته الخاصة. فالعمارة هي نتاج العديد من العوامل البيئية، الاجتماعية الثقافية ..الخ،

ولقد كانت العمارة موضوع أساسي للبحث في عدة مجالات علمية، من بين هذه المجالات الأنثروبولوجيا التي إهتمت بها بإعتبارها منتوج ثقافي يعبر عن مضمون رمزي يعكس ثقافة ساكنيها وهويتهم، كما إعتبرتها الأنثروبولوجيا الرمزية كنص اجتماعي ثقافي يقوم بمخاطبتنا من خلال ما يعبر عليه من رموز تتجلى على شكل عناصر وأساليب معمارية مشكلة لها. ودورها (الأنثروبولوجيا الرمزية) هو التوقف عند هذه الرموز ومحاولة قرائتها والكشف عن معانيها ودلالاتها الاجتماعية والثقافية.

ونظرا لإتساع موضوع العمارة وتشعب تفاصيلها، فستقتصر دراستنا هذه على مكون مورفولوجي أساسي واحد للعمارة يتمثل في المسكن (أو الدار أو البيت أو المنزل بإعتبارهم مصطلحات مختلفة لهم نفس الدلالة المعمارية)، المسكن من وجهة نظر أنثروبولوجية بإعتباره يتعدى من كونه فضاء فيزيائي يتكون من أساسات وأعمدة وجدران وأبواب ونوافذ وسقف تشكل لنا غرف، إلى وعاء ثقافي يضم العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات ..إلخ، فهو فضاء المعاش اليومي، حيث تدور فيه مختلف الممارسات والسلوكات اليومية والطقوس، كما أنه يضم العديد من العلاقات والتفاعلات بين ساكنيه، كما تتمحور حوله تصورات وتمثلات مختلفة. وهو بذلك صار يعكس ثقافة وشخصية ساكنيه، وبالتالي هويتهم. فبحثنا هذا سيهتم بالمسكن بإعتباره مرآة عاكسة لهوية وثقافة ساكنيه.

سنركز في دراستنا على المسكن الذاتي، وهو المسكن الذي تم تخطيطه وبنائه من طرف ساكنيه دون تدخل مهندسين أو مختصين في مجال العمارة والبناء، فهو بذلك يعبر أكثر عن احتياجات ساكنيه ويعكس من القيم الثقافية والحاجات الاجتماعية أكثر ما يعكس من معارف معمارية وهندسية، وقد إخترنا حي "جبل الجرف" في مدينة تبسة كمجال مكاني للدراسة الميدانية، وهو حي شعبي من أقدم أحياء مدينة تبسة ينتمي سكانه إلى الطبقة الشعبية، وهذا ما يجعله فضاء غني بالتمثلات والممارسات الشعبية، كما تعكس بنيته المورفولوجية أنواع عديدة من العلاقات والروابط الاجتماعية. بالإضافة إلى أن سيرورته التاريخية جعلته يجمع بين العمارة التقليدية والعمارة الحديثة، فهذا الحي يعتبر مجال خصب لدراسة وفهم كيف أن العمارة مفهوم ثقافي هوياتي أكثر منه هندسي.

تمت هذه الدراسة وفق خطة عمل تضمنت ثلاثة أبواب (أطر) فيها خمسة فصول درجت كما يلي:

الباب الأول: الإطار المنهجي: يضم فصل واحد

- الفصل الأول بعنوان **الإشكالية ومنهجية البحث**

تمثل الفصل الأول في المقاربة المنهجية والنظرية والمفاهيمية للدراسة، والذي حددنا من خلاله المدخل الذي إعتمدنا عليه في تفسير وتحليل معطيات البحث، معتمدين على نظرية "التأويل الرمزي للثقافة" كما تطرقنا إلى مناهج وتقنيات الجانب الميداني من دراستنا، منطلقين من تحديد المفاهيم الأساسية لموضوع الدراسة وبالرجوع إلى بعض الدراسات السابقة التي إهتمت بموضوع بحثنا.

الباب الثاني: الإطار النظري: قسم إلى ثلاث فصول:

- الفصل الأول بعنوان: **العمارة كمظهر من مظاهر الهوية الثقافية**

تناولنا فيه مفهوم الهوية الثقافية في الجزائر، وأهم محدداتها والتي من بينها الثاقفة الشعبية والتي تضم العمارة الشعبية، فالعمارة الشعبية هي مظهر من مظاهر الهوية الثقافية. ثم ربطنا ذلك بالعمارة التقليدية في الجزائر بإعتبارها عمارة تعكس هوية المجتمع الجزائري، وكيف أن الثقافة هي عنصر تصميمي أساسي لها، وقد إقتصرنا على تناول العمارة العربية الإسلامية، عمارة بني مزاب والعمارة القبائلية، كأنماط للعمارة التقليدية.

- الفصل الثاني بعنوان: **واقع عمارة المسكن في الجزائر**

رأينا بادئ ذي بدء أن نتطرق إلى واقع العمارة في الجزائر وذلك من خلال الكشف عن مراحل تطورها التاريخية منذ الحضارات القديمة إلى غاية الوقت الحالي، ثم التطرق إلى واقع السكن في الجزائر من خلال الكشف عن أنماطه، وسياسات التسكين.

- الفصل الثاث بعنوان : **مونوغرافيا تبسة**

يعتبر كمدخل للدراسة الميدانية، حيث يقدم لنا قاعدة معلوماتية عن مدينة تبسة مجال الدراسة من حيث مقوماتها الطبيعية، الاجتماعية والثقافية.

<u>الباب الثالث</u>: الإطار الميداني: قسم إلى فصلين

- الفصل الأول بعنوان: **المسكن في المخيال الشعبي**

وتم فيه البحث في الرموز التي تعكس تمثلات سكان المجتمع المدروس تجاه مساكنهم، وذلك من خلال قراءة سيميائية لمختلف أشكال ومكونات المسكن الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى تحليل محتوى المقابلات التي أجريت مع عينة من مجتمع البحث، وكذلك ما قاله المخبرين. بالإضافة إلى دراسة بعض الممارسات الطقوسية التي تعكس بعض الإعتقادات الخاصة بالمسكن كالعين (الحسد) والبركة والإعتقاد بالجن (الأرواح الشريرة).

- الفصل الخامس بعنوان: **المسكن من فضاء منتَج إلى فضاء منتِج**

تم فيه دراسة إنعكاس الممارسات السكنية والمجالية سواء داخل الفضاء السكني أو خارجه، وما تنتجه من أبعاد ثقافية وعلاقات إجتماعية وتأيرها على عمارة المسكن، وبالمقابل تأثير عمارة المسكن على ثقافة وقيم ساكنيه، وقد تم الإستعانة بالصور الفوتوغرافية، تحليل محتوى المقابلات، بالإضافة إلى الإعتماد على ما قاله المخبرين.

الباب الأول

الإطار المنهجي

الفصل الأول

الإشكالية ومنهجية البحث

الفصل الأول: الإشكالية ومنهجية البحث

1. أسباب إختيار الموضوع:

يرجع إختيار الباحث لموضوع بحثه إلى جملة من الأسباب، منها ما هو ذاتي إنطلاقا من ميولات الباحث للإهتمام بمسائل وقضايا تسترعي إنتباهه وتثير إشكالات وتساؤلات في ذهنه، مما يحرك ملكاته البحثية ويُثير شغفه نحو البحث والدراسة، ومنها ما هو موضوعي تفرضها طبيعة الموضوع وطبيعة تخصص الباحث وما يكتنفه هذا التخصص من مسائل وقضايا مطروحة في فضاء البحث الأكاديمي المتخصص، بيد أن الجانبين لا ينفصلان عن بعضهما البعض، فالجانب الموضوعي يفرض مجال وإطار البحث أما الجانب الذاتي فيفرض طبيعة موضوع البحث.

من جملة الأسباب التي كانت وراء إختيارنا لموضوع هذه الدراسة والمعنونة بـ: "سيميائية العمارة وتجسيد الهوية الثقافية" مايلي:

أولا: أسباب ذاتية: تمثلت في:

- الميل الشخصي للباحث للبحث في مواضيع لها علاقة بالعمارة والعمران.
- معايشة الإشكال بإعتبار الباحث فرد من مجتمع البحث.
- إمكانية وسهولة الإستفادة من المعطيات الميدانية المعمارية بإعتبار الباحث مختص في مجال الهندسة المعمارية.
- القدرة على الإستفادة من المجالين المعرفين "الإنثروبولوجيا" و"الهندسة المعمارية" من أجل دراسة هذا موضوع الهوية الثقافية.

ثانيا: أسباب موضوعية: تمثلت في:

- تأزم وضعية العمارة الحديثة في الجزائر وغياب هوية عمرانية واضحة خاصة بالمجتمع الجزائري في المباني خاصة السكنية منها.
- غياب دراسات أنثروبولوجية تعنى بالجانب الاجتماعي والثقافي للعمارة الحديثة العربية على العموم والجزائرية على الأخص ، فجل الدراسات تهتم بالتطور التاريخي للعمارة الإسلامية أو بالجانب الهندسي (التخطيطي) لها.

2. الأهمية الدراسة:

يعد موضوع الهوية من أكثر المواضيع ثراءا من حيث النقاش، حيث يسعى الباحثين في مختلف التخصصات لدراستها ومحاولة فهمها، كالفلسفة، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، التاريخ، السياسة ..إلخ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل الأهمية الكبرى التي يحتلها هذا الموضوع الذي غالبا ما تكون مواضيعه مترابطة مع متغيرات أخرى، لها علاقة بتخصصات مختلفة. وبإعتبار الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان بإعتباره كائن إجتماعي منتج للثقافة، فقد إهتمت بموضوع الهوية الثقافية.

جاءت هذه الدراسة للبحث في كيفية تجسيد الهوية الثقافية من خلال العمارة وبالتحديد عمارة المسكن، وتمثلت أهميتها في:

- الكشف عن التغيرات الهائلة والسريعة التي طرأت على العمارة في الجزائر.
- الكشف عن خصائص ومميزات العمارة التقليدية (العمارة العربية الإسلامية).
- تسليط الضوء على أحد مقومات الهوية الإسلامية (العمارة العربية الإسلامية) في ظل التطورات الحديثة.

3. أهداف الدراسة:

وقد تمثلت الأهداف المرجوة من هذه الدراسة في:

- الكشف عن واقع عمارة المسكن في الجزائر.
- تقديم نماذج من العمارة التي إستجابت لمختلف العوامل الاجتماعية والثقافية والبيئية وحتى الجمالية للمجتمع الجزائري وذلك من خلال دراسة تحليلية لبعض العمارات التقليدية في الجزائر كالعمارة العربية الإسلامية، العمارة القبائلية، العمارة المزابية، العمارة الشاوية.
- الكشف عن الصلة بين العمارة والثقافة والهوية .
- البحث عن الدلالات الرمزية للأشكال المعمارية والممارسات المجالية في المخيال الاجتماعي لسكان مجتمع الدراسة.
- محاولة البحث عن العوامل الاجتماعية والثقافية التي تصنع لنا هوية عمرانية خاصة بالمجتمع الجزائري.

4. إشكالية البحث والتساؤلات:

تعدى مفهوم العمارة لدى الأنثروبولوجيين من المفهوم السطحي بكونها أشكال مادية وبنى هندسية ومجالية تتكون من أنماط وأساليب ومكونات وزخارف معمارية تشكل لنا مباني، إلى مفهوم أكثر تعمق يرى بأنها وسيلة تعبيرية تحمل في طياتها مجموعة من الرموز والعلامات الدالة التي تعكس قيم وتصورات المجتمع حول نفسه، فقد لاحظ الأنثروبولوجيون أنه ومنذ العصور القديمة كانت العمارة حتى بأشكالها البسيطة تمثل حصيلة القيم الفكرية والأخلاقية والفلسفية ..إلخ إضافة إلى تعبيرها عن مضمون جمالي سائد في ذلك العصر، فحتى في عصور ما قبل التاريخ حيث كان الإنسان القديم يسكن الكهوف والمغارات لم يفته أن ينحت جدرانها برسوم ونقوش ذات معاني ومدلولات خاصة به، كما أنه بنى صروح على بساطتها خاصة لممارسة طقوسه وعباداته.

فالمسكن كمكون معماري لا يمثل فقط بناء وظيفته إيواء ساكنيه، بل يتعدى ذلك إلى فضاء المعاش اليومي حيث تدور فيه مختلف الممارسات والسلوكات اليومية والطقوس، كما أنه يضم العديد من العلاقات والتفاعلات بين ساكنيه، كما تتمحور حوله تصورات وتمثلات مختلفة، فهو بذلك يعكس ثقافة وقيم وشخصية ساكنيه.

لقد كانت ملامح وسمات العمارة التقليدية في الجزائر إنعكاسا للظروف البيئية والاجتماعية والثقافية، وهذا ما إتفقت عليه جل الدراسات التي تناولتها، فنجد العمارة المزابية، العمارة القبائيلية العمارة الشاوية ..إلخ هي عمارة من صنع ساكنيها لذا فقد إستجابت لقيمهم ولخصائصهم، كما كانت تلبي مختلف إحتياجاتهم الاجتماعية والثقافية والنفسية والروحية ..إلخ.

أما في الوقت الحاضر ونظرا للتغير الاجتماعي والثقافي الذي مس المجتمع الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى تعرض العمارة في الجزائر بشكل عام لتحديات معمارية كبيرة حيث دخلت

البلاد إتجاهات وفلسفات معمارية جديدة ترتكز على مبادئ بعيدة عن عادات وتقاليد وظروف المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى التطور التكنولوجي السريع، كل هذا إنعكس على العمارة التي صارت تشكل مزيج متناقض ومتنافر من الكتل والأشكال المعمارية كما أصبح جليا في كل مدن الجزائر، وبذلك فقد أدى بها ذلك إلى الضياع وفقدان هويتها.

يرى الباحثين بأن مشكلة الهوية بدأت عندما قمنا بالإنفصال عن جذورنا الثقافية، وأتهمنا تراثنا بالتخلف والرجعية، ثم إستعرنا نماذج ثقافية من مجتمعات أخرى تختلف عنا إعتبرناها مثال التقدم والرقي، وبإعتبار العمارة أحد أهم عناصر الهوية، فإن إستعارة أنماط وأشكال معمارية من مجتمعات تختلف عنا يساهم في زيادة ضياع هويتنا، ولإستعادة هذه الهوية، هويتنا المعمارية الخاصة بنا كمجتمع جزائري، وجب الإنطلاق من ثقافتنا المحلية، من ما يحتاجه أفراد المجتمع المحلي، ومن ما يتوافق مع قيمه ومبادئه وتصوراته لإنشاء عمارة خاصة به.

ومن هذه الإشكالية، إشكالية إستعادة هويتنا المعمارية بإعتبارها جزء من هويتنا الثقافية، فقد إرتأينا معالجة الموضوع بطرح التساؤل العام كالتالي:

كيف تتجسد الهوية الثقافية في عمارة المسكن في مدينة تبسة ؟

بمعنى كيف تنعكس الخصائص الثقافية التي تعبر عن هوية المجتمع على عمارة المسكن (من حيث الشكل والوظيفة وكذلك السلوكات المصاحبة للممارسة السكنية) في مدينة تبسة لتشكل هويته المعمارية ؟ وقد تم تقسيم هذا التساؤل العام إلى ثلاثة تساؤلات فرعية هي:

1- ماهو واقع الهوية المعمارية في الجزائر من خلال عمارة المسكن ؟

2- ماهي رمزية المسكن ودلالاتها الثقافية في المخيال الشعبي لدى سكان مدينة تبسة ؟

3- كيف تنعكس الأبعاد الاجتماعية والثقافية للممارسة السكنية داخل حدود المسكن وخارجه على عمارة المسكن ؟

5. المقاربة المفاهيمية

5.1. مفاهيم خاصة بالعمارة والمسكن

5.1.1. المسكن:

التعريف اللغوي للمسكن: المسكن من السَكَنُ، والسُكُونُ بمعنى الطُمَأْنِينة والراحة. والمسْكَنُ هو مكان السُّكْنَى، والجمع : مَساكِنُ،[1] والسكون بمعنى تبوأ الشيء بعد تحركه، ويستعمل في الإستيطان فنقول نذهب إلى سكن فلان أو مكان سكن فلان أي المكان الذي، إستوطنه فلان[2].

التعريف اللغوي للبيت: من المبيت، هو المكان الذي يبيت فيه الإنسان، ولا يشترط أن يكون مبني فقد يكون خيمة، وقد يطلق على الغرفة الواحدة كما يطلق على المبنى بأكمله، وجمعه بيوت.

التعريف اللغوي للدار: أصلها من فعل دار أي أحاط، توحي لأول وهلة بفكرة السياج وتعيين حدود الفضاء، وجمعه دور أو ديار

التعريف اللغوي للمنزل: من فعل نزل بمعنى حل بالمكان، وجمعها منازل.

من هذه التعاريف نجد أن: الدار تشير إلى المبنى والأرض في نفس الوقت (الأرض سواء أكان الجزء المبني أو غير المبني كالحديقة مثلا)، بعكس البيت والمسكن الذين يشيران إلى الفضاء المبني الذي قد يحتوي على غرفة واحدة فقط، أما المنزل فهو البيت المتعدد الغرف.

سنتناول في هذه الدراسة هذه المصطلحات على إعتبار أنها لمفهوم واحد نصطلح عليه مصطلح "**المسكن**".

---

[1] إبراهيم أنس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، 2004، ط 4، ص 440.

[2] إبراهيم يوسف، **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**، مطبعة أبو داود، ط 1، 1993، ص4.

التعريف الإصطلاحي:

هو الموضع المبني أو المرتب لأجل إقامة البشر.[1] ويعرفه عبد القادر القصير: البناء الذي يأوي إليه الإنسان ويشتمل هذا البناء على الضروريات، التسهيلات، التجهيزات الأدوات والأجهزة التي يحتاجها أو يرغب فيها الفرد لضمان تحقيق الصحة الطبيعية والعقلية والسعادة الاجتماعية له ولأسرته.[2]

وهو رمز للخصوصية والمكانة والتمايز فهو يعكس إلى حد بعيد ليس فقط شخصية قاطنيه وشخصية المجتمع الذي يوجد فيه، بل أيضا مستواهم المعيشي والتكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي[3].

في بداية القرن السابق كان المسكن يعني الوسط الجغرافي الخاص بنوع حيواني أو نباتي معين ولكن مع بداية القرن العشرين أصبح هذا المصطلح يعنى طريقة تنظيم وإعمار الإنسان للوسط الذي يعيش فيه، وحديثا تطور المصطلح مرة أخرى فأصبح يعني مجمل ظروف المسكن، والذي يجب أن يستجيب لثلاثة إحتياجات وهي خلق وسط ناجع تقنيا وضمان إطار للنظام الاجتماعي القائم وترتيب الكون المحيط بنا من خلال نقطة ما وهي المسكن.[4] فالمسكن حيث يسكن الإنسان، ولا يشترط فيه وجود علاقات قرابة تربط بين الأفراد الساكنين فيه، فقد يطلق مصطلح المساكن الجامعية على الغرف التي يسكنها الطلاب الجامعيين.

---

[1] بيار بونت، ميشال ايزار، **معجم إثنولوجيا أنثروبولوجيا**، ترجمة مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2006 ص 848.

[2] MARC E.- PICARD D., **L'interaction sociale**, Puf, Paris, 1989, P.123.

[3] احمد بخوش، **الاتصال والعولمة**، دار الفجر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 98.

[4] Pierre Erny, **Douze contributions à une ethnologie de la maison**, l'Harmattan, **,** Paris 1999, p.09.

مفهوم المسكن في الأنثروبولوجيا:

يعرف الأنثروبولوجي **رابوبور A. Rapoport** المسكن في كتابه " pour une anthropologie de la maison" بأنه ليس فقط إنشاء هندسي وإنما هو ظاهرة ثقافية بإمتياز حيث يتعلق شكله وتخطيطه بثقافة الوسط الذي يبنى فيه،[1] فبالرغم من تعدد الخيارات الإنشائية التي يقدمها المحيط الفيزيائي، إلا أن هذه الخيارات تتحدد بما تفرضه المنظومة الاجتماعية والثقافية للمجتمع، منظومة بما تحمله من عادات وتقاليد وتصورات المجتمع، والتي تميزه عن غيره وهذا ما يفسر إختلاف عمارة المساكن من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، فيتفق في ذلك مع **لوفيفر H. Lefebvre** الذي لا يرى المسكن بوجهه المادي وأنماطه، بل يغطي أيضا المحيط الاجتماعي والمتكون من الممارسات والعلاقات والتمثلات.[2]

أما **غاستون باشلار G. Bachelard** فإنه يرى المسكن بأنه زاويتنا وركننا من العالم وهو عالمنا الأول وفضائنا كما إعتبره كائن حي فقال: البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول.[3] ويقول **شومبار دولو Chombart de lauwe** في هذا الصدد: تعمل المجموعة التي تسكنه على توفير أحسن حماية لها من العالم الخارجي، فتجعل منه محمية.[4] كما يعتبر المسكن فضاء للحرية على عكس الفضاء الخارجي،[5]

---

[1] AMOS Rapoport, **pour une anthropologie de la maison**, Paris, 1972, P 64.
[2] MASSABUAU J. P, **La maison, Espace social**, Puf, Paris, 1983., P. 51.
[3] غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ت. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1984، ص 36.
[4] BACHELARD G, **La poétique de l'espace**, Puf, Paris, 1981, P 25.
[5] CHOMBART DE LAUWE P.H, **Pour une sociologie des aspirations,** Médiations, Paris, 1971, P. 114.

ويرى **بيار جورج P.Gorge**: أن المسكن عنصر أساسي للإرتباط بين الفرد والعائلة والوسط الاجتماعي، وهو يضع نموذجا للإنسانية.[1] فهو مجال للعلاقات والبنى الاجتماعية، ويتفق في ذلك مع **قرافمير Y. Grafmeyer** الذي يرى بأنه مكان في غاية الخصوصية وهو ملتقى العلاقات الاجتماعية،[2]

أوضح **ديسبرس Despres** من خلال الدراسة التي قام بها في مدينة شيكاغو، مفهوم المسكن في عدة خصائص، أهمها:[3]

- الموضع الذي نشعر فيه بالأمن الجسدي.
- المكان الذي يستطيع فيه الفرد أن يعمل ما يشاء وأن يحقق ذاته.
- المكان الذي نشعر فيه بالراحة عند إستضافة الناس.
- الملجأ الذي نستطيع أن نبتعد فيه عن الضغوط الخارجية، وأن نحصل فيه على السلام والسكون والبقاء بمفردنا عندما نرغب في ذلك.
- المكان الذي يتوفر فيه الفضاء المناسب والغرف لتحقيق الحاجات اليومية للفرد.
- المكان الذي نستطيع فيه إحداث التغييرات وإضفاء الصبغة الشخصية عليه.
- موضع الحب والمبادلة، أين نتمكن من توطيد العلاقات مع الأشخاص المهمين بالنسبة لنا.
- المكان الذي نشعر فيه بالألفة مع فضاءاته، رائحته، أثاثه وأشيائه.
- المكان الذي يمنحنا الشعور فيه بالإنتماء وبوجود أصل لنا.
- مكان شخصي.

---

[1] نهى السيد فهمي، **المسائل الاجتماعية للإسكان**، مجلة التنمية، 1988 ،عدد 5، ص 41

[2] HADJIDJ D, **L'habiter: La spatialisation des modes de vie**, In Revue des sciences sociales, N°17, Université de Constantine, (Janvier 2002), (P.P. 19-23)

[3] RENIER A, **Espace et représentations: Penser l'espace**, Les éditons de la villette, Paris, 1982, P. 9.

- الإستثمار الذي يمكننا الحصول بواسطته على المال.
- المكان الذي يبين للناس مكانتنا في المجتمع.

أما المسكن في أنثروبولوجيا الرمز والمخيال فإنه يرمز إلى[1]:

- المدفن والرحم والقبر: فهو يحاكيها في إحتوائه وحميميته، وهذا في نظر كل من **كلوديل P.Cloudel** و**جيلبير دوران Gilbert Durand** الذي يقول في هذا السياق "المسكن على إرتباط وثيق بالمدفن الأمومي، سواء تحول المدفن إلى مغارة أو بني على شكل مسكن.[2]
- عالمنا المصغر: فهو منطقة وسطى بين الكون الكبير المجرد والجسم البشري الحسي حسب **جيلبير دوران Gilbert Durand**
- يحاكي جسد الإنسان بتقسيمه المجالي: فالغرف تمثل الأعضاء، والنوافذ تمثل العيون، والسلالم والأروقة تمثل الشرايين والعروق ..إلخ، وهذا حسب **بودين Ch. Baudouin**، و**ريكله Rilke** وجيلبير **دوران** الذي إعتبر أن تنسيق الغرف وأجزاء المسكن من خلال مكان النوم ومكان تحضير الطعام ومكان الأكل ومكان الإستراحة والإستقبال والمؤونة، كل هذه العناصر المجزئة والمصففة تستدعي مخياليا ورمزيا مثيلاتها التشريحية أكثر مما قد تثير تخيلات معمارية.[3]
- الطمأنينة: يؤكد **باشلار Bachelard** على حاجة الإنسان إلى مسكن لكي يستعيد كما يقول طمأنينة الحياة الأولى الخالية من الهموم، هذا الدور يلعبه الركن، الزاووية الحميمية والغرفة

---

[1] سوالمية نورية، بووشمة الهادي: **الساكن والفضاء السكني علاقة حميمية مقاربة انثروبولوجية**، مجلة آفاق علمية، العدد 02، 2018، ص 100-103

[2] جيلبير دوران، **الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها**، ت. مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 2006، ص 219.

[3] نفس المرجع، ص 221.

الخاصة والهادئة والخلوة التي هي المعنى والمكان الأسمى والمثالي لتحقيق هذه الحميمية والطمأنينة، وتزيد الأبواب والمفاتيح من هذه الطمأنينة.[1]

5.1.2.العمارة:

التعريف اللغوي: من عمر بمعنى بنى، وعمر القوم المكان بمعنى سكنوه، فهو معمور، وهي نقيض الخراب، وتعني البنيان، وما يحفظ به المكان، جمعها عمائر، وفن العمارة هو فن تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة.[2]

التعريف الإصطلاحي: العمارة مجموعة معقدة من الظواهر التي لا تقتصر على السكن بل تتجاوزه لتشمل نطاق السكن وتنظيم المكان وأنماط الحياة وأشكال التنظيم الإقتصادي والاجتماعي والسياسي والأنظمة الرمزية والدينية، ذلك أن العمارة هي مبدعة لمدى ولعلاقات مكانية، فهي شكل من أشكال التعبير الاجتماعي، تستخدم أساسا لغته الشكلية مفهوما متغير المحتوى للمكان وتنم عن إدراك معين لهذا المكان، ولكن هندسة البناء ليست مجرد تجسيد مادي لتصور ما، عندما تحدد أماكن فإنها تجعل منها مستوعبا رمزيا[3].

العمارة هي أم الفنون، فهي تضم كل الفنون الأخرى، وتأتي في أولها في الترتيب، لها مكانة مهمة فى معظم الأديان حيث تظهر علاقات روحانية مع مبانى مقدسة، ففى الدين الإسلامى نجد علاقة المسلمين بالكعبة بيت الله الحرام وما تمثله من معانى روحية ودينية، كذلك المسجد الأقصى الذى

[1] جيلبير دوران، مرجع سابق، ص 222.
[2] إبراهيم أنس وآخرون، مرجع سابق، ص 626.
[3] بياربونت، ميشال ابزار، مرجع سابق، ص 665.

يحظى بمكانة عالية لدى جميع المسلمين كالقبلة الأولى لهم والمكان الذى أسرى إليه النبى (صلى الله عليه و سلم).

تعريفها في الهندسة المعمارية: يعرفها المهندس المعماري **لوكوربوزييه Le corbusier** بأنها: "اللعب المتقن بالكتل المنظورة تحت الضوء"، فهذا التعريف هو من وجهة نظر هندسية التي تولي أهمية للشكل على الجوانب الأخرى، ويعرفها الدكتور عرفان سامي بأنها: الفن العلمي لإقامة أبنية تتوفر فيها عناصر المنفعة والمتانة والجمال والإقتصاد وتفي بحاجات الناس المادية والروحية، في حدود أوسع الإمكانات وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه، وهي طريقة في العمل وبتفكير ومنطق سليم.

تعريفها في علم الاجتماع: يعرفها **إبن خلدون** بأنها صناعة البناء، فيقول عنها "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضرى وأقدمها وهى معرفة العمل فى إتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان فى المدن، وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر فى عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كإتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها".[1] كما يضيف: " تختلف أحوال البناء في المهن في كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوائهم وإختلاف أحوالهم"[2] وهذا ما يفسر لنا إختلاف العمارة من مكان لآخر، حيث يرجع لخصوصية المجتمع وحاجاته.

العمارة هي تشكيل وظيفي يؤدي أغراضا إنسانية ومتطلبات حياتية بوسائل مكانية ومادية، وبإرتباط وثيق بحياة المجتمع وزمانه، لذا فإنها تخضع للمؤثرات الحضارية والزمانية والاجتماعية والإقتصادية،

---

[1] عبد الرحمن إبن خلدون، **المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2001، ص 329.

[2] نفس المرجع، ص 329.

إضافة إلى خضوعها لعوامل طبيعية ومناخية. كما أنها ذلك الفن الذي يتخذ المادة ركيزة والفعل والخيال وسيلة للإنتاج، وإنتاجه هو ذلك المحيط البيئي الذي يوجده الإنسان ليمارس فيه نشاطاته الحياتية والروحية ضمن جدران وأسقف تفصله عن مؤثرات الطبيعة غير المرغوب فيها.

التعريف الإجرائي: العمارة هي مجموع الكتل والأشكال والحجوم والفراغات المخصصة لشغل وظيفة معينة لمختلف نشاطات الإنسان، وهي تعكس في ذلك الخصائص الثقافية والاجتماعية والجمالية والتكنولوجية والبيئية الخاصة بالمجتمع الذي ينتجها، في فترة تاريخية محددة.

5.1.3. الفضاء:

التعريف اللغوي: هو الموضع، وتعني التوسع المكاني وتطلق على وكنات الطير والمنازل و نحوها.[1]

التعريف الإجرائي: هو الموضع الذي يعيش عليه الإنسان، والمكان الذي يشغله، ويشمل سكنه وعمله وجل نشاطاته وممارساته اليومية المختلفة وعلاقاته الإنسانية.

5.2. مفاهيم خاصة بالهوية الثقافية

5.2.1.الهوية:

التعريف اللغوي: الهوية بضم الهاء وكسر الواو وشد الياء في اللغة العربية للتعبير عن ماهية الشيء ويقال(هو) ضمير الغائب المفرد المذكر، ويقال للمثني(هما) وجمع المذكر(هم) كما يقال للمؤنث المفرد(هي) وللمثني(هما) وللجمع(هن)، والهوية لفظ مركب جعل إسما معرفا بالألف واللام ومعناه حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة علي صفاته الجوهرية.[2]

---

[1] إبن منظور، **لسان العرب**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2008، ص 588.

[2] مجموعة من الباحثين، **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق للنشر، بيروت، ط 38، 2000، ص 875.

التعريف الإصطلاحي: يقول الفيلسوف **ابن رشد** في كتاب "تلخيص ما بعد الطبيعة": أن "الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على إسم الموجود، وهي مشتقة من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان" وهو بهذا يعود بنا إلى مفهوم الهوية أو الذاتية في منطق **أرسطو** بإعتبارها تماثل الشيء مع ذاته. ولهذا نرى في تعريف **الجرجاني** أن "الهوية هي الأمر المتعلق من حيث إمتيازه عن الأغيار"، والإمتياز هنا بمعنى الخصوصية والإختلاف لا بمعنى التفاضل، ولعل **إبن خلدون** قد إستطاع أن يبرر هذا المعنى أكثر وضوحا بقوله في المقدمة "بكل شيء طبيعة تخصه".[1]

الهوية هي مبدأ تلاحم يكمن لدى فرد أو جماعة، وهي تسمح لهم بالتميز عن الآخرين وبالتعرف الى أنفسهم والتعريف بها.[2]

التعريف الإجرائي: الهوية هي ما يميز شخص أو جماعة عن غيرهم، فهي ما يعرف به الناس أنفسهم ويوصفون به، وهي ذات طابع ديناميكي متعدد الأبعاد، وهذا ما يضفي عليها صفة المرونة في المفهوم، ويفسر خضوعها المستمر لإعادة صياغات وتداولات.

5.2.2.الثقافة:

التعريف اللغوي: يعود أصل كلمة ثقافة في اللغة العربية إلى الفعل 'ثقف' ثقفا بمعنى صار حاذقا فطنا فهو ثقف، والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.[3] أما في اللغة اللاتينية فتعود إلى كلمة 'colere' الذي يعني حرث الأرض وزراعتها.

---

[1] شيهب عادل، **الثقافة والهوية إشكالية المفاهيم والعلاقة** ، مقال في موقع أرنتروبوس، لوحظ يوم 2016/05/20

[2] فيليب لابورت تولرا، جان بيار فارنييه، **إثنولوجيا أنثروبولوجيا**، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004. ص 370.

[3] إبراهيم أنس وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 98.

التعريف الإصطلاحي: ظلت اللفظة مقترنة بمعنى الحرث والزراعة طوال العصرين اليوناني والروماني، حيث إستخدمها شيشرون مجازا بالدلالات نفسها، فقد أطلق على الفلسفة Mentis culture بمعنى زراعة العقل وتنميته، وقد ظلت اتلكلمة هكذا حتى القرون الوسطى حيث أطلقت في فرنسا كلمة Cultes على الطقوس الدينية، وفي عصر النهضة إقتصر مفهوم Culture على مدلوله الفني والأدبي، فتمثل في الدراسات التي تتناول التربية والإبداع،[1] وأول من إستعمل لفظ Culture هم الألمان، وقالو أنها هي الحضارة وأستعملوها في هذا المعنى زمناً طويلاً في إشارة إلى التقدم الفكري للفرد والجماعة والإنسانية بصفة عامة، حيث جاء فلاسفة وإجتماعيون ألمان كثيرون من أمثال **نيتشه** و**فلهام دلتاي** و**هيجل** و**فلهلم فندلباند** و**جورج زيمل** فبينوا القيم التي تتضمنها الثقافة والعلاقة بين ماهو موضوعي وشخصي في التحول الثقافي، أما معاصروهم من المفكرين الإنجليز فقد نظروا في القيمة العملية للثقافة فذهب **ماثيو أرنولد** في كتابه المسمي 'الثقافة والفوضى' سنة 1869م إلى القول أن الثقافة هي محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني مما يؤدي إلى رقي البشرية،[2] وظل معنى الغرس والزراعة والإستصلاح قليل الشيوع حتى نهاية القرن السابع عشر ولم يتم الإعتراف به أكاديمياً كما لم يظهر في غالبية معاجم تلك الفترة. ولم تبدأ كلمة "ثقافة" بفرض نفسها مجازياً إلاَّ في القرن الثامن عشر. ودخلت بمعناها هذا معجم الأكاديمية الفرنسية في العام 1718 م وألحق بها المضاف وصار يقال: "ثقافة الفنون" و"ثقافة الأدب" و"ثقافة العلوم" كما لو كان تحديد الشيء المهذب ضرورياً،[3] ومع تشعب العلوم والميادين أصبح مفهوم الثقافة يعرف بحسب مجال الدراسة.

---

[1] نصر محمد عارف، **الحضارة الثقافة المدنية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1994، ص 19.

[2] حسن مؤنس، **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، ص 324-326

[3] دينس كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة، لبنان، 2007، ص17

تعريف الثقافة في الأنثروبولوجيا: يقول الأنثروبولوجي **رالف لينتون** عن الإنسان وعلاقته بالثقافة: "إن الإنسان هو كائن له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي وسماته الثقافية، إن الطفل قد يولد زنجيا من الناحية الفيزيقية ... ولكن لو ينشأ في بلد أوروبي مثلا فإنه سيكتسب عادات اجتماعية خاصة بذلك البلد وسيتصف بسمات ثقافية تميزه عن أقرانه الذين لم يبرحوا موطنهم الأصلي في القارة الافريقية.[1] ويعرف الثقافة بأنها تجسيد لتلك السلوكات المكتسبة والموزعة والتي تنتقل وتتوارث من قبل أعضاء مجتمع ما.[2] أما الأنثروبولوجي **إدوارد تايلور** فقد قدم لنا في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" تعريفا للثقافة بقوله هي "ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بإعتباره عضوا في مجتمع.[3] ويبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في الجماعة كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة التفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعا إلزاميا الى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة. وكذلك نجد تعريف عالم الاجتماع **روبرت بيرستد** الذي ظهر في أوائل الستينات: إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع.[4] حيث يبين هذا التعريف أن الثقافة ظاهرة مركبة تتكون من عناصر فكرية، وعناصر سلوكية، وعناصر مادية.

---

[1] أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات**، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1996، ص30

[2] مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 111.

[3] مجموعة من الكتاب، **الثقافة**، ترجمة: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص 9.

[4] نفس المرجع، ص 9.

التعريف الإجرائي: سنتبنى في هذه الدراسة تعريف غيرتز للثقافة بأنها "شبكة من أنظمة الإشارات القابلة للتفسير والتأويل، ليست شيئا تعزى إليه سببيا أحداث مجتمعية أوسلوكات أو مؤسسات اجتماعية أو سيرورات عملية، بل هي نسق يمكن من منه غجراء توصيف كثيف قابل لفهم هذه الأشياء.[1]

5.2.3.الهوية الثقافية:

التعريف الإصطلاحي: يرى **بارت** أن الأهم في عملية إكتساب الهوية هو إرادة وضع حد بين "هم" و"نحن" وبالتالي إقامة ما يسميه بـ "الحد" والحفاظ عليه، وبشكل أدق فإن الحد الموضوع ينجم عن إتفاق بين ذلك الحد الذي تزعم الجماعة بأنها وضعته لنفسها وبين الحد الذي يريد الآخرون وضعه لها، طبعاً الحد المقصود هنا هو الحد الاجتماعي الرمزي. إن تحليل بارت يتيح التخلص من الخلط الشائع بين "الثقافة" و"الهوية"، والتطبع بطابع ثقافة معينة لا يقتضي إمتلاك هوية خاصة بشكل آلي فالهوية الثقافية تستخدم الثقافة لكنها نادراَ ما تستخدم الثقافة كلها، ويمكن للثقافة نفسها أن تجيّر بشكل مختلف، أي متعارض في الإستراتيجيات المختلفة لإكتساب الهوية.

التعريف الإجرائي: الهوية هي إحتواء وإبعاد في الوقت نفسه، إنها تحدد هوية المجموعة (المجموعة التي تضم أعضاء متشابهين فيما بينهم بشكل من الأشكال)، في هذا المنظور تبرز الهوية الثقافية بإعتبارها صيغة تحديد فئوي للتمييز بين نحن وهم، وهو تمييز قائم على الإختلاف الثقافي.

5.2.4.التراث:

التعريف اللغوي: لغظ "التراث" في اللغة العربية من ورث، وتجعله المعاجم القديمة مرادفا لـ "الإرث" و"الورث" و"الميراث"، وهي مصدر يدل على إسم يطلق على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسب، وقد فرق بعض اللغويين القدامى بين "الورث" و"الميراث" على أساس أنهما خاصان بالمال

[1] يونس الوكيلي، **التأويل الرمزي للثقافة في التداخل المعرفي بين الأنثرويولوجيا والسيميولوجيا**، موقع مؤمنون بلا حدود، https://mominoun.com/pdf1/2015-01/54c9d6103d5c01599321514.pdf

بينما "الإرث" خاص بالحسب، ويذهب اللغويين في تفسير حرف "التاء" في لفظ "تراث" الى أصله "واو" و على هذا يكون اللفظ في أصله الصرفي "وراث" ثم قلبت الواو تاء لثقل الضمة على الواو.[1]

ولقد وردت كلمة تراث في القرآن الكريم مرة واحدة في سياق قوله تعالى: «كلا بل تكرمون اليتيم و لا تحضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما»[2] ويقصد بها هنا المال الذي يتركه الهالك ورائه.

التعريف الإصطلاحي: هو ما يبقى من الماضي ماثلا في الحاضر الذي إنتقل إليه ويستمر مقبولا ممن آل إليهم وفاعلا فيهم لدرجة تجعلهم يتناقلونه بدورهم على مر الأجيال، ولكن ما الذي يتم تناقله؟ ما يجب معرفته وفعله ضمن جماعة تتعرف إلى ذاتها بذلك أو تتخيل عبره هوية جماعية دائمة.[3]

5.3. مفاهيم خاصة بالمخيال:

5.3.1.المخيال:

التعريف الإصطلاحي: المتخيل هو إختراع وإبتكار، والواقع ليس كذلك إلا حينما يتم تصويره وتمثله وتمثيله وتخيله، وليس معنى ذلك أن المخيال هو النقيض الحاسم للواقع، فالمخيال هو أحد أبعاده.[4] ويرى **جيلبير دوران G. Durant** أن المتخيل يستجيب لحاجات ورغبات غريزية داخلية تتفاعل مع محيطها الاجتماعي والإيديولوجي والديني.[5] أما **بول ريكور** فيرى بأن المخيال هو التمثلات التي

---

[1] محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص ص22 23.

[2] القرآن الكريم – سورة الفجر– الآية 17–20

[3] بياربونت، ميشال ابزار: مرجع سابق، ص 343.

[4] سومار عبد القادر، **المخيال الجماعي والتمثلات الفكرية الفكرة المعنى المفهوم**، رسالة دكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015، ص 51.

[5] نفس المرجع، ص 65.

تتوجه إلى أشياء غائبة أو غير موجودة، والتي تجعل الذات وفي اللحظة التي تكون هذه الأخيرة موهوبة لها، تؤمن بواقعية حضورها.[1]

التعريف الإجرائي: سنتناول في هذه الدراسة المخيال الاجتماعي الذي هو الإطار الذي يوجه سلوك الفرد داخل الجماعة ويكسبه ثقافتها، كما يلعب دور في ترسيخ المعتقدات الشعبية التي تساعد في نقل الموروث الشعبي.

5.3.2.تمثل:

التعريف الإصطلاحي: عرف **روبير لافون Robert Lafon** التمثل بأنه عملية جعل شيء ما حاضرا أو محسوسا للعقل أو الذاكرة، بالإستعانة بصورة، شكل، أو دلالة رمزية ما،[2] أما **جان بياجيه** فيرى أن التمثل يتجاوز الحاضر بتغيير الأبعاد في الفضاء وفي الزمان، ويعرفه بأنه جمع بين الدال الذي يسمح بذكر الموضوع وبين المدلول الذي يوفره الفكر فالتمثل بالنسبة له منبثق من الداخل في إتجاه الخارج حيث يتم إسقاط الأول على الثاني في أفق التوازن.[3]

التعريف الإجرائي: التمثل هو عملية إدراك لموضوع ما غائب عن الذهن أو حدث أو فكرة بإستحضار صورة لها، فهو إعادة إنتاج للواقع عن طريق صور رمزية يدركها العقل.

5.3.3.تصور:

التعريف الإصطلاحي: يتشابه التصور مع التمثل في المعنى، فكلاهما من مجال الإدراك، لكن التصور Conception أقرب إلى المعرفي العقلي، والتمثل Représentation أقرب إلى الذهني الثقافي، كلمة التصور موجودة في اللغة العربية الكلاسيكية وفي المباحث الفلسفية والجمالية، وهي

---

[1] بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، ت.محمد برادة وحنان بورقية، عين،ط1، القاهرة، 2001، ص 165.

[2] Robert Lafon, **vocabulaire de psychopédagogie et de psychiatrie de l'enfant**, 1er édition, PUF, Paris, 1973, P 731

[3] Jean Piaget, **la formation du symbole chez l'enfant**, édition Delachaux et Niéstlé, 6eme édition, Paris, 1976, p 286

من مجال الصورة، وكانت العرب قديما تعتبر أن إدراكنا للأشياء يكون من خلال تصورها عقليا، والتصور ملكة عقلية تنتج الصور ومنها الصور الإدراكية، أما التمثل فهو كلمة جديدة في اللغة العربية، وقد يكون معناها أقرب إلى الصورة بما هي ذاتية صنع فهمنا للأشياء، أي بما يمكننا منه قبلياتنا الثقافية الاجتماعية، فالتمثلات هي صنع آليات هي أقرب إلى النفسي الاجتماعي منها إلى العقلي.[1]

5.3.4.رمز:

التعريف الإصطلاحي: جاء في المعجم الفلسفي لالاند تعريف الرمز بأنه كل علاقة ملموسة توحي بمقتضى علاقة طبيعية بشيء غالب أو لا يمكن إدراكه حسيا. ومن ذلك أن الصولجان رمز للملك.[2]

التعريف الإجرائي: في دراستنا هذه فالرمز هو المعنى غير المباشر للأشكال المعمارية والممارسات المجالية وفق سياق ثقافي واجتماعي معين.

5.3.5.طقس:

التعريف الإصطلاحي: هو عمل يهدف إلى أداء مهمة أو الوصول إلى نتيجة ما عبر تلاعبه ببعض الممارسات، لإجتذاب العقول وجعلها تؤمن به قبل التفكير بتحليل المعنى، وهو يجري للإحتفال بمناسبات وضعية، أو لإتقاء خطر محدق، أو تقبل الأمور الحتمية كطقوس الموت وطقوس الولادة وطقوس المرور.[3]

---

[1] منير سعيداني، **الرؤية والمدى حصاد نقدي للبحث في المخيال**، تونس، 2006، ص 59

[2] أمبرتو إيكو، **السيميائيات وفلسفة اللغة**، ت.أحمد الصمعين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 456

[3] بيار بونت وميشال إيزار، مرجع سابق، ص 634

التعريف الإجرائي: الطقوس هي ممارسات متكررة تكثر في المجتمعات التقليدية، لها في الغالب علاقة بالدين والسحر، تقام في جو إحتفالي في مناسبات متعددة، غايتها الأساسية إرضاء الآلهة والقوى فوق الطبيعية.

5.3.6.إعتقاد:

التعريف الإصطلاحي: هو مجموعة الأفكار والمبادئ التي يؤمن الفرد بصحتها، ويتم تبني العقيدة عن طريق الإدراك الحسي، الإستنتاج، والإتصال مع الأفراد.[1]

التعريف الإجرائي: سنتناول في هذه الدراسة الإعتقاد الاجتماعي الذي يعتبر محرك للموروث الشعبي، ومصدر إستمراره في المجتمع، وهو مجموع الأفكار التي يؤمن بها أفراد المجتمع كأساس لممارسة عاداته وتقاليده وطقوسه وممارساته الشعبية.

6. المقاربة النظرية:

هي الإطار الفكري الذي يحدد أبعاد البحث، كما يساعد على تنظيم وتحليل المعلومات وفقا لهذا التصور، ومن أجل فهم سيميائية عمارة المسكن في تبسة، والبحث في رمزية مختلف التمثلات والممارسات المرتبطة بالمسكن، فقد تم الإعتماد على **نظرية التأويل الرمزي للثقافة** للأنثروبولوجي **كليفورد غيرتز Clifford Geertz**.

إنطلق غيرتز في نظريته من مقاله الشهير بعنوان "**الوصف الكثيف: نحو نظرية تأويلية للثقافة**" معتمدا على أن الوصف الكثيف كممارسة متجددة للإثنوغرافيا، وفحوى سيميائية الثقافة وما

[1] زندري عبد النبي، **العلاقة بين الإعتقاد والمخيال في بناء الخلفية الاجتماعية لتراث الشعبي الموروث الشعبي عند إموهاغ (التوارق) أنموذجا**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر 2016، ص 297.

تقتضيه من أن الإنسان حيوان عالق في شبكات رمزية نسجها بنفسه حول نفسه، وأن **الأنثروبولوجيا كبحث في الثقافة يجب ألا تكون علما تجريبيا يبحث عن قانون، بل علما تأويليا يبحث عن معنى.**

وإنطلقا من أن البناء الذاتي جزء من العمارة الشعبية التي تعتبر من مكونات التراث الشعبي الذي هو نسيج من الرموز أو الوحدات الرمزية التي تؤلف في مجملها بناءا رمزيا، كما أن الأنماط السلوكية الشعبية أو أنماط الآداء الشعبي هي أنماط رمزية، هذه البناءات والأنماط تتطلب نظريات رمزية تأويلية للبحث في معانيها ودلالاتها، وبالتالي الكشف عن الهوية الثقافية الكامنة فيها.

7. الدراسات السابقة:

تساعد في بناء الإشكالية، كما تساعد في إختيار مناهج وأدوات والتحليل في الجانب الميداني.

7.1. الدراسات الغربية:

- **الدراسة 1**: دراسة بعنوان: **Croyances te coutumes relatives à la maison chez les musulmans de Tunis** للباحث **M. Graf de la salle**[1] وقد نشرت في مجلة la revue africaine سنة 1944 بالعدد 88.

وهي دراسة إثنوغرافية قام بها الباحث في أرياف تونس في فترة الإحتلال الفرنسي، تمثلت إشكاليتها في: ماهي العادات والتقاليد المرتبطة بالمسكن عند المسلمين في تونس؟ وقد تطرق إلى بعض العادات كنثر السكر في زوايا البيت وغيرها، وأيضا من العادات التطير ببعض الأوقات مثل الوقت بين العصر والمغرب وشهر محرم، فلا يحبذ بهذه الأوقات البناء أو مختلف الأعمال المتعلقة به، كما تطرق إلى الطقوس التي تقام لبناء المسكن كالذبح، وضع أشياء معينة

[1] M. Graf De La salle, **Croyances et coutumes relatives à la maison chez les musulmans de Tunis**, Revue Africaine, n° 88,1944 pp 67-82, n° 90/1946 pp. 99-117.

في أماكن معينة من المنزل (كوضع قطعة نقدية أو معدنية عند العتبة)، وغيرها من الطقوس، وقد لاحظ دلاسال أن هذه الطقوس يتشارك فيها المسلمين في تونس (وكذلك مسلمي شمال إفريقيا) مع الصقليين والمالطيين الذين يسكنون تونس، وهو ما فسره بأن لها مصدرا واحدا هو منطقة البحر المتوسط، وقد تحدث عن هه الطقوس معتبرا إياها تندرج في أغلبها ضمن طقوس العبور حسب **فان جنب**.

- **<u>الدراسة 2</u>**: دراسة بعنوان **Le M'Zab, une leçon d'architecture** للباحث **André Ravéreau**[1] نشرت في كتاب سنة 1981، وهي عبارة عن دراسة أجراها عن عمارة بني مزاب بغرداية حيث إعتبرها المثال الأكثر إكتمالا على التكيف مع قيود البيئة.

إهتم في دراسته بالبحث في عمارة خمس مدن بغرداية هي **العطف (تَـاجْنِينْتْ)، بونوره (آتْ بونورْ)، غرداية (تَـغَـرْدَايْتْ)، بن يزقن (آتْ اِيزْجَنْ) ومليكة (آت مْلِـيشْـتْ)**، وقد إستلهم من هندستها فلسفته في بناء المدينة التي ترتكز أساسا على الإحتياجات الأولية للإنسان، العادات والتقاليد، القيم الدينية، الإعتبارات المناخية ومواد البناء المحلية، فعمارة بني مزاب قد نجحت في توفير مسكن ملائم للإنسان المزابي في ظل الظروف المناخية القاسية.

<u>الدراسة 4</u>: دراسة بعنوان **la maison kabyle ou le monde renversé** للباحث **Pierre bourdieu**[2] والتي نشرت في مجلة **le sens pratique** وهي دراسة عن المنزل القبائلي، ووفق تحليله البنيوي فإنه (المنزل القبائلي) يقوم على مجموعة من التقابلات التي تحكم تنظيمه الداخلي، وعلاقته بالعالم الخارجي، هذه التقابلات هي: أعلى/أسفل، جاف/رطب نور/عتمة، نهار/ليل، ذكر/أنثى، النيف/الحرمة، فالمنزل ينقسم إلى جزء أعلى، جاف، مضيئ

[1] André Ravéreau, **Le M'Zab une leçon d'architecture,** édition Sindbal, Paris, 1981.
[2] Pierre Bourdieu, **le sens pratique** Annexe **la maison ou le monde renversé,** éditions de Minuit, Paris, 1980 pp. 441- 461.

تقام به أعمال النهار فهو مكان النار (الموقد والطبخ)، والبندقية التي ترتبط بالشرف، كما أنه مكان المنسج الذي يرمز لكل أنواع الحماية للمرأة، كما أنه خاص بالوظائف الطبيعية كالنوم الجنس الإنجاب وحتى الموت، بالمقابل نجد جزء أسفل، رطب (يحوي جرار الماء)، معتم، تقام به أعمال الليل، يحوي على إسطبل الحيوانات، وقد إعتبر بورديو أن أهم هذه التقابلات هي التقابل بين الذكر والأنثى، فالمنزل هو فضاء المرأة وحتى قبرها حسب المثل الشعبي المتداول عند القبائل، وعلى الرجل أن يغادره في الصباح الباكر ليلتحق بأعمال الحقل.

كما تحدث بورديو عن بعض الطقوس المتعلقة بالمسكن القبائلي والتي ترتبط معظمها بـ "الموقد"، "الباب" و"العتبة" بإعتبارها مكونات محملة برمزيات معينة، فالمسكن القبائلي بأقسامه وأشيائه هو محل دلالات رمزية يصبغها عليه التصور التقليدي، ستحدد بدورها أفعالا وسلوكيات الإنسان تجاه هذا الفضاء الرمزي.

7.2. <u>الدراسات العربية</u>

- **<u>الدراسة 1</u>:** دراسة بعنوان: **عمارة العولمة في مصر وغياب مفاهيم الإستدامة في التصميم دراسة حالة المباني الإدارية بالقاهرة الجديدة**، للباحث: م.**هيثم صادق سليم**، دراسة للنشر في المجلة الهندسية لكلية الهندسة جامعة الأزهر، ديسمبر 2011.

تمثلت إشكاليتها في: كيف نأسس ربطا ما بين عمارة الحداثة وعمارة العولمة، وكيف نرصد التأثير المتبادل ما بين تغير الثقافة وأنماط السلوك على العمارة ؟

وقد توصل إلى النتائج التالية:

- هناك مبالغة من المعماريين في إستعمال مواد قد لا تكون مفيدة في تحقيق الإستدامة التصميمية بل تؤثر سلبا على كفاءة تشغيل منتجهم المعماري بمفهومها الشامل فضلا

عن إرتفاع التكلفة النهائية للمبنى إضافة إلى تكاليف التشغيل على المدى البعيد نظرا لإحتياج هذه النوعية من المباني إلى تقنيات صناعية خاصة بتكييف الهواء فضلاً عن عدم إهتمام بفكرة كيفية توجيه المبنى متوافقاً مع ظروف الموقع.

- هناك تأثير كبير للعولمة بكل ما تحمل من قيم وأفكار وممارسات على الفكر المعماري المعاصر، هنا لابد من التأكيد على أن هناك منطقة متوسطة ما بين رفض العولمة وما بين حتمية التعامل معها كونها حقيقة واقعة لا يمكن التنصل منها، هذا الموقف مؤسس على فهم القضايا المتعلقة بالعمارة على المستوى العالمي والمحلى.
- في الوقت الذي يعاني فيه العالم من تنامى مشاكل الطاقة وتناقصها وإرتفاع تكلفتها فضلاً عن مشاكل تلوث البيئة أصبح مدخل التصميم المستدام والعمارة الخضراء ضرورة ملحة وحتمية يجب أن يتعامل معها المعماري بشكل يوازن ما بين إبداعاته وما بين تحقيق المبنى لشروط الإستدامة.
- أن هناك تطور كبير على مستوى العالم في التقنيات الخاصة بالعمارة الخضراء، هذه التقنيات يجب أن نتعامل معها بشكل يتناسب مع الإمكانات المتاحة، فضرورة التعمق في دراسة تقنيات العمارة المستدامة يجب أن يتواكب مع مدى إمكانية إستخدام هذه التقنيات في الواقع المحلى المعاصر من الناحية الإقتصادية.
- على الرغم من أن التقنيات الحديثة في مجال الحاسب الآلي قد تدفع بالعمل المعماري في إتجاهات التقدم والتطوير، إلا أن هناك مبالغة في إستعمال البرامج الخاصة بإنتاج الاشكال المعمارية دون دراسة البرامج التي قد تساعد في تقييم الأثر البيئي للمبنى.

- تفعيل سياسة مشاركة المجتمع في العمل المعماري يكرس لدى أفراد هذا المجتمع ثقافة ومفاهيم الإستدامة التصميمة مما يعزز من التقدير لقيمة الطاقة وقضايا البيئة وحتمية التعامل معها بشكل متوازن.
- من خلال العينات التي تم طرحها من خلال الدراسة وجد أن هناك تأثر كبير من المعماريين بالعمارة العالمية وهو بالطبع مفيد ولكن يجب أن يتم هذا بالتزامن مع تحديد ما هو مناسب وما هو غير مناسب للواقع المحلى.
- تسارع حركة النمو العمراني في مدينة القاهرة الجديدة دون أن يواكب هذا النمو محاولات جادة للتعامل مع الواقع البيئي وعلى المستوى الشكلي تتلخص المحاولات ما بين الإفراط في إيجاد شكل حداثي (في المباني العامة) وما بين الرغبة في إعلاء وإسترجاع قيم العمارة الكلاسيكية (المباني السكنية).

- **الدراسة 2**: دراسة بعنوان: **العمارة الحديثة في اليمن وعلاقتها بالعمارة التقليدية**، للباحث **محمد حمود أحمد الكبسي**، وقد نشرت في أعمال المؤتمر الهندسي الثاني بجامعة عدن، اليمن الذي أجري في مارس 2009.

تمثلت إشكاليتها في: ما مدى إرتباط العمارة الحديثة في اليمن بالتراث المعماري؟

أما منهجيا فقد إعتمد الباحث على المنهج الوصفي، أي وصف المباني والمدن والطرز المعمارية بالإضافة إلى المنهج المقارن لكشف العلاقة بين العمارة الحديثة في اليمن وإرتباطها بالتراث المعماري، وإعتمد في ذلك على التوثيق التصويري من خلال الصور المعروضة في البحث كما أن النزول الميداني كان حاضرا لنقل صورة حية لواقع العمارة اليمنية التراثية والحديثة، فضلا عن بعض التحليل لأبجديات الطابع المعماري والربط ما بين الشكل والوظيفة في العمارة اليمنية.

وقد توصل إلى جملة من النتائج أهمها:

- يجب التعامل مع هذا التطور والتوسع العمراني على أساس التكامل والانسجام التام بين الطبيعة المحلية والنهضة العمرانية الحديثة، وعدم الانجراف إلى التقليد والنسخ من عمارة مستوردة ذات طابع معماري يختلف عن بيئتنا المحلية.
- ضرورة إستخدام مواد البناء المحلية وإعادة تشكيلها بما يواكب التطورات في مجال العمران والتشييد الى جانب إحياء التكامل والانسجام بين البيئة المحلية والعوامل المناخية المحيطة من جهة والعمارة الحديثة والعمران الحديث من جهة أخرى بما ينتج وينشى عمارة مميزة تحافظ على ثباتها ورسوخها كما تحافظ على الطابع العمراني المحلي التقليدي من التدهور الحاصل بمرور الزمن .. منوها الى اهمية إرساء الفكر التراثي المعماري اليمني وإنشاء جسر تواصل كبير يربط بين الطابع العام للعمارة التقليدية والعمارة الحديثة في اليمن من خلال التفهم لإمكانيات العصر الذي نعيشه وطبيعة مجتمعنا اليمني والهوية العربية والإسلامية للعمارة التراثية.
- أهمية التلاؤم مع المؤثرات البيئية المحيطة والاختيار المناسب لمواد البناء وتقنيتها وتلاؤمها مع الظروف الطبيعية وكذلك المناخية والاستناد بشكل رئيسي إلى مواد البناء المحلية .. مشيرة الى انه من هذا المنطلق يجب المساهمة في نشر الوعي للحفاظ على الطابع المعماري التقليدي في اليمن ومدلوله الفني والثقافي والوظيفي ومدى الحاجة الماسة إلى الحفاظ عليه من العبث الناتج عن مزج الهوية والأصالة المعمارية اليمنية بعمارة رئيسية دخيلة بعيدة كل البعد عن هذا التراث العريق.

7.3. الدراسات الجزائرية

- **الدراسة 1**: دراسة بعنوان: **تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو أنثروبولوجية لمدينة تقرت** للباحث **خليفة عبد القادر** وهي مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، سنة 2010.

تمثلت إشكاليتها في: ماهو واقع التغير الاجتماعي وعلاقته بالتطور العمراني في مدينة تقرت من خلال الممارسات اليومية والإستراتيجيات الاجتماعية والأسرية والتمثلات؟

وقدقسمت هذه الإشكالية إلى خمسة أسئلة فرعية:

- ماهو منطق تنظيم بنى المجموعات الاجتماعية التقليدية وعلاقتها بالمجال العمراني التقليدي في منطقة وادي ريغ والذي شكل المرجعية الاجتماعية الثقافية والعمرانية لسكانه؟
- ماهي أهم التحولات المجالية التي شهدتها المدينة تقرت عمرانيا من خلال سياسات التعمير وأدواتها منذ الإحتلال الفرنسي وحتى اليوم؟
- ماهي أهم التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجموعات الاجتماعية في المدينة من النظام الفلاحي الواحاتي والبدوي إلى الحضرية، وأهم إستراتيجياتها وممارساتها الاجتماعية والأسرية المتعلقة بالمجال العمراني؟
- ماهو حاضر المدينة اليوم من خلال آليات التحولات الاجتماعية للمجموعات الاجتماعية وإستراتيجياتها الاجتماعية وعلاقاتها الجديدة فيما بينها وأنواع تعايشها وتمثلاتها لمجالها وأنشطتها الجديدة؟

- أي حضرية هي في طور التشكل، من خلال التمثلات بمقابلة تدخلات مختلف الفاعلين، الأدوات التعميرية الرسمية وإستراتيجيات المجموعات الاجتماعية والأسر؟

وقد إعتمد في دراسته على: المنهج التاريخي والوصفي والسيميائي، أما التقنيات فإستخدم الملاحظة، المحادثة غير الموجهة والاستجواب الميداني.

- **<u>الدراسة 2</u>:** دراسة بعنوان **العائلة الجزائرية والمسكن: علاقة النمط العائلي المرغوب بالنموذج السكني المطلوب دراسة ميدانية حول ظاهرة البناء الذاتي في ضواحي مدينة الجزائر: منطقتي براقي والكاليتوس نموذجا** للباحث **درويش الشريف** وهي مذكرة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، سنة 2008.

تمثلت إشكاليتها في: من هي العائلات التي لجأت إلى هذا البناء الذاتي؟ وما الذي تريد تحقيقه من هذا النوع من السكن؟ وكيف تصل إلى تحقيق ذلك؟

قسمت هذه الإشكالية إلى أربع تساؤلات فرعية هي:

- ما هي خصائص البنية التركيبية للعائلات البانية ؟ وأين كانت تسكن قبل مجيئها إلى البناء الذاتي في الضواحي
- هل تتجه العائلات إلى البناء الذاتي كتعبير عن رفضها للنماذج السكنية التي يمكن أن تكون قد جربتها من قبل ؟ أم هي أداة للاستجابة لحاجتها من السكن ؟
- كيف يتم إنجاز البناء الذاتي من حيث تحمل تكاليف البناء ومدة الإنجاز ؟
- هل تستطيع العائلات البانية إعادة تشكيل نمطها العائلي الخاص وتجعله يتلاءم مع نوع المسكن الذي إختارته

أما فرضياتها فقد تمثلت في:

- الفرضية 1: عدم تلاؤم بنية العائلة المتغيرة خلال مراحل دورة حياتها مع شكل المسكن الذي جربته خلال مسارها السكني – خاصة الشقة في عمارة – يدفعها إلى الاتجاه نحو البناء الذاتي.
- الفرضية 2: تبني العائلة مسكنها ذاتيا استجابة لحاجتها من السكن و / أو للتعبير عن رفضها لأشكال من المسكن التي لا تتلاءم – حسب نظرها – مع نمطها العائلي المرغوب .
- الفرضية 3: طبيعة وديناميكية العلاقات التعاونية للعائلة ومواردها المادية تتحكم في مشروع البناء الذاتي فتؤثر في حجمه ومدة إنجازه .
- الفرضية 4: تحاول العائلة من خلال البناء الذاتي المحافظة على تركيبتها الممتدة أو إعادة هيكلتها للإمتداد مستقبلا.

وقد إعتمد منهجيا على: المنهج الكمي الإحصائي لمعرفة التفاصيل الكمية للظاهرة المدروسة، والمنهج المقارن: لمعرفة ما يوجد من نقاط تشابه أو اختلاف بين المعطيات الميدانية الكمية منها والكيفية المستقاة من المنطقتين المدروستين. مستعينا بالملاحظة لتحديد أبعاد الموضوع وميدان الدراسة، الإستمارة كأداة لجمع المعطيات الميدانية، والمقابلة الخاصة نظرا لمحدودية الإستمارة في بعض جوانبها وتفاديا لإثقالها بأسئلة تفصيلية قد يعجز المبحوث عن الإجابة عنها.

- **الدراسة 3:** دراسة بعنوان **تطور السكن في الوسط الريفي: دراسة سوسيو–مجالية للمجال السكني، منطقة "بني ورتلان" شمال غرب سطيف (القبائل الصغرى)** للباحث **عثمان فكار** وهي

مذكرة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، معهد علم الاجتماع، سنة 2006.

تمثلت تساؤلاتها الفرعية في:

- هل يعكس التحول من نمط السكن التقليدي الى النمط الحضري ظاهرة التحول التي تجسد فيه البناية الحديثة إطارا مجاليا حضريا ليس على المستوى المورفولوجي والمعماري فحسب، وإنما على المستوى التنظيمي وطريقة الهيكلة المجالية أيضا؟
- بإنتقال البناية الى النمط الحضري في إطار تعديل السكن السابق، او إنجاز سكن حديث، هل أن المبحوثين قطعوا الصلة تماما مع نمط التملك التقليدي السابق لصالح تملك حضري فقط؟ أم يظهرون نوع من التمسك بالقيم والممارسات (المجالية) التقليدية السابقة بإعتبارها أنها لم تنتف؟
- ما الاسم أو المصطلح الذي يمكن أن نطلقه على النماذج السكنية التي غيرت من فيزيونومية الإطار المبني والمجالي للمنطقة؟ كيف تبدو الازدواجية أو بالأحرى الثنائية التي أشرنا إليها على الواقع المعاش؟
- هل يمكن القول أنه مع التحول في طريقة السكن مازالت تسايره سمات التضامن والتعاون العائلي، خاصة إذا تعلق الأمر بعملية إنجاز مشروع سكني؟ إذا كان ذلك كيف يترجم هذا التضامن في ظل ظروف حياتية جديدة؟

وتمثلت فرضياتها في:

- الفرضية 1: التحول من نمط السكن التقليدي الى نمط السكن الحضري يجسد ظاهرة التحضر المؤدي الى بروز تغيرات هامة في المورفولوجية المعمارية والبنية العامة للمجال المبني.
- الفرضية 2: الأشكال الحديثة للسكن توحي الى انبثاق ممارسات مجالية على الطريقة الحضرية، هذه الأخيرة تبرز الى حد ما منطلق جديد لتنظيم المجال.
- الفرضية 3: إن التخلي النهائي عن نمط السكن التقليدي والانتقال الى الحديث لا يعني بالضرورة القطيعة النهائية مع ممارساته السابقة.
- الفرضية 4: مازالت التعبئة العائلية تلعب دورا استراتيجيا في تجسيد مشروع البناء.

وقد إعتمد منهجيا على: المنهج التاريخي لفهم ظاهرة تطور السكن، المنهج الوصفي التحليلي لتشخيص الواقع المعاش وإجراء مقارنات وصفية تحليلية انطلاقا من النماذج السكنية، والمنهج الكمي لتكميم المعطيات وقياس المتغيرات. مستعينا بتقنية الملاحظة لدراسة السلوكات والممارسات المجالية المرتبطة سوسيولوجيا وانثروبولوجيا، المقابلة المفتوحة التي ساعدت في فهم أعمق لمجتمع العينة، والإستمارة لتدعيم التحليل الكمي.

8. المقاربة المنهجية:

المنهج هو مجموع الإجراءات التي يتبعها الباحث للوصول إلى نتيجة لبحثه، وقد وظفنا في بحثنا هذا للإجابة على الإشكالية التي طرحت، مجموعة من المناهج والأدوات الميدانية تمثلت في:

8.1. المناهج

8.1.1. المنهج التاريخي: يعرف على أنه الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية الماضية كأساس لفهم المشاكل المعاصرة والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل.[1] وقد إستخدمنا هذا المنهج في دراستنا هذه من أجل الكشف عن المراحل التاريخية لنشأة وتطور عمارة المسكن في الجزائر لفهم الوضعية التي آلت إليها العمارة في الوضع الراهن.

8.1.2. المنهج الإثنوجرافي: منهج يعتمد على وصف وتحليل وتفسير المعطيات الميدانية وقد إعتمدنا على هذا المنهج في هذه الدراسة في الكشف عن واقع العمارة في تبسة وذلك من خلال وصف وتحليل مختلف الأشكال المعمارية في تبسة وكذلك الطقوس والممارسات المجالية.

8.1.3. منهج التحليل السيميائي:

من أكثر المناهج إستخداما في الدراسات الأنثروبولوجية والفلكلورية، وقد إرتبط بإسم كل من **فرناند دو سوسير Fernand de Saussure وتشارلز بيرس Charles Peirce** الذين يرجع لهما الفضل في الكشف عن الرمز ودوره في تفسير الظواهر

[1] عمار عوابدي، **مناهج البحث العلمي وتطبيقها في ميدان العلوم القانونية والادارية**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 258.

الثقافية والاجتماعية. فأما **دي سوسير** فقد إهتم بوصف وتحليل أنساق الرموز الثقافية على أساس أنها أنساق معرفية يمكن تجريدها من مضمونها الإثنوغرافي والعلاقات الاجتماعية، بعكس **بيرس** الذي إهتم بدراسة الأنساق الرمزية داخل مضمونها الإثنوغرافي وضمن إطار العلاقات الاجتماعية.

من مناهج التحليل السيميائي منهج التأويل الرمزي الذي ينطلق من الإستخدام المجازي للتراث أو الثقافة على أنها نص وهذا النص يحتاج للقراءة والتأويل، فقد ركز هذا المنهج على الإهتمام بالمعنى والرمز أكثر من السلوك الوظيفي والبناء الاجتماعي كما أكد على إشراك المبحوثين ووجهة نظرهم في عملية القراءة والتأويل، وتزعم هذا الإتجاه كل من **كليفورد جيرتز Geertz** و**آلان دندز Alan Dundes**.

إستخدمنا هذا المنهج في هذه الدراسة لتحليل الوحدات الرمزية التي تمثلت في:

- **الأشكال المعمارية:** التي تتمثل في المكونات والعناصر المعمارية التي تدخل في تكوين المسكن.
- **الأفكار الشعبية:** والتي تمثلت في الأمثال، التمثلات، المعتقدات، الملفوظ الشفهي.
- **الممارسات الشعبية:** التي تتمثل في الطقوس، العادات وبعض السلوكات اليومية.

وقد إعتمدنا على هذه الوحدات بشكل متكامل من أجل إستقراء الواقع الثقافي من خلال تحليل هذه الوحدات والبحث عن دلالاتها الثقافية.

8.2. الأدوات والتقنيات

8.2.1. الملاحظة: تعتبر من أهم الوسائل التي يستعملها الباحثون الاجتماعيون و الطبيعيون في جمع المعلومات والحقائق من الحقل الميداني الذي يزود الباحثين بالمعلومات، فهي

وسيلة من وسائل جمع البيانات تعنى بمراقبة ومعاينة الظاهرة المراد دراستها[1] فهي ذلك الجهد الحسي الذي يقوم به الباحث بغية التعرف على بعض المظاهر الخارجية للظواهر والاحداث والسلوك الحاضر في موقف ووقت محددين وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها بالتقنيات الاخرى.[2]

وقد إستخدمنا نوعين من الملاحظة في هذه الدراسة:

الملاحظة المباشرة: إعتمدنا عليها في الجولات الإستطلاعية (الإستكشافية) لمجتمع الدراسة من أجل جمع البيانات الأولية والمعلومات العامة التي ساعدت في إعطاء تصور عام أو توجه عام للموضوع.

الملاحظة بالمشاركة: حيث كانت للباحث خاصية إنتمائه للمجتمع المدروس (المجتمع التبسي) من جهة، من جهة أخرى إنتمائه من قبل إلى مجال الدراسة "حي جبل الجرف" فبالرغم من أنها كانت فترة قبل بداية هذه الدراسة لكنها كانت ذات أهمية كبيرة في إلمامنا بموضوع ومجال الدراسة، وهذا ما أتاح لنا التعرف المعمق لهذا الحي، بالإضافة إلى تكوين علاقات مع العديد من العائلات والأشخاص الذين ساعدونا في البحث الميداني هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد إشتغلنا في وقت مضى بإعتبارنا مهندسة معمارية إشتغلنا على العديد من مخططات مساكن هذا الحي، كل هذا مكننا من معايشة ومتابعة السلوكات والممارسات المتعلقة بالمسكن.

---

[1] إحسان محمد الحسن، **الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي**، ط2، دار الطليعة للنشر و التوزيع، بيروت، 1986، ص 104.

[2] أحمد عياد، **مدخل لمنهجية البحث العلمي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 131.

8.2.2. <u>المقابلة</u>: هي المحادثة التي تتم بين القائم بالمقابلة والمبحوث بغرض جمع البيانات التي يحتاج إليها الباحث في دراسته، ولذلك فهي تختلف عن الحديث العادي الذي قد لا يهدف الى تحقيق غرض معين.[1] وقد تم إجراء المقابلة مع عينة تتكون من 30 شخص من كلا الجنسين وبأعمار مختلفة، وكانت المقابلة مفتوحة أين تم إلقاء مجموعة من الأسئلة على المبحوثين وتركت لهم حرية الإجابة والتعبير عن كل ما يخالجهم من أفكار ودوافع وإتجاهات وتمثلات ومعتقدات...، كما كانت المقابلة غير مقننة حيث تتسم بالمرونة أين يمكن للباحث بتعديل أو إضافة أسئلة جديدة.

8.2.3. <u>الاستعانة بالإخباريين</u>: يعرف جريك بايلي وجيمس بيوبلي الإخباريين بالقول أنهم الأشخاص الذين يسمحون للباحث بإجراء المقابلة معهم أو يسمحون لهم بالقيام بملاحظة سلوكياتهم ويسمون "consultant" أو "informant"[2] وقد تمت الإستعانة ببعض الإخباريين (ثلاث نساء) في هذه الدراسة من أجل الحصول على المادة الإثنوغرافية من الميدان.

8.2.4. <u>التصوير الفوتوغرافي</u>: أستخدمت هذه الأداة من أجل إنتاج صور فوتوغرافية تكمل التدوين الكتابي لما تم وصفه في الدراسة، كما أستخدمت لتسهيل التحليل السيميائي للأنماط المعمارية والكشف عن دلالاتها الرمزية.

---

[1] أحمد عياد: مرجع سابق، ص 128

[2] عبد الله عبد الغني غانم، **<u>قراءات و تطبيقات في طرق البحث الانثرويولوجي</u>**، ط 1، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ص 112

8.3. مجالات الدراسة:

8.3.1. مجتمع الدراسة:

يُعرف مجتمع البحث على أنه جميع المفردات أو الوحدات التي تشترك في الخصائص المطلوب دراستها، وعليه ومن خلال طبيعة إشكالية هذه الدراسة فإننا نملك مجتمعي دراسة إثنين: **مجتمع بشري**: يتمثل في الإخباريين، وكذا الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلة، و**مجتمع مادي**: يتمثل في المساكن الموجودة في المجال المكاني للدراسة الميدانية والذي يتمثل في حي "جبل الجرف" بمدينة تبسة.

تفرض العينة نفسها كأسلوب لجمع المادة الميدانية عندما يصعب أو يستحيل دراسة جميع مفردات مجتمع البحث، فيلجأ الباحث إلى إختيار عينة بحثية تكون ممثلة لمجتمع الدراسة، وقد تم إختيار العينة في دراستنا هذه كما يلي:

- **عينة الإخباريين**: يعد الإخباري مصدرا معرفيا أساسيا من مصادر الدراسة البحثية خاصة في حقل الأنثروبولوجيا، ويعرف الأنثروبولوجي جريك بايلي الإخباريين بأنهم الأشخاص الذين يسمحون للباحث بملاحظة تصرفاتهم ويمدونه بمعلومات عن ما يبحث عنه.[1]

تم إختيار عينة متكونة من ثلاثة نساء مخبرات تم الإعتماد عليهن في جمع وتحليل المادة الميدانية، وقد أخترن بعناية نظرا لما تملكن من صفات ساعدتنا في البحث، حيث تميزن بتجاوز العقد السادس من العمر، ناهيك عن أنهما لم تتلقيا أي تعليم في صغرهما، وهذا ما ميزهن بتمسكهن القوي بالعادات والتقاليد والطقوس والممارسات التقليدية، كما أنهن من قدماء

[1] عبد الغاني عبد الله غانم، مرجع سابق، ص 112.

سكان الحي وهذا ما جعلهن ملمات بتفاصيل الحي وسكانهن فقد كانت عينة الإخباريين عينة قصدية.

- **عينة المقابلة:** تم إختيار عينة تتكون من 30 شخص من الجنسين (15 مرأة و15 رجل) أجريت معهم المقابلة، وقد تم الإعتماد على العينة العشوائية الطبقية، (حيث كان الجنس محدد طبقي).
- **عينة المساكن:** كذلك تم الإعتماد على العينة القصدية في إختيار المساكن التي تمت دراستها بالإعتماد على ما يخدم الموضوع محل الدراسة.

8.3.2. المجال المكاني:

يتمثل المجال المكاني في النطاق الجغرافي الذي تمت فيه الدراسة الميدانية، وكما نعلم أن الدراسات الأنثروبولوجية تتطلب إقامة الباحث في مجتمع البحث، لذا فقد إرتأينا أن تكون حدود الدراسة المكانية في مدينة تبسة (مكان إقامتنا) مما يسهل لنا عملية التنقل وإختيار ومقابلة المبحوثين. وبالتحديد في حي "جبل الجرف"، وقد تم إختياره للدراسة الميدانية للإعتبارات التالية:

- هو حي شعبي: من أقدم أحياء مدينة تبسة تقطنه عائلات ذات مستوى إجتماعي متوسط ومتدني، كما أنه عبارة عن تجمع لسكنات فوضوية (ذاتية البناء)، ما يجعله يزخر بالعادات والتقاليد والممارسات الشعبية.
- هو حي تاريخي: مرت عليه عدة حضارات لا زالت آثارها باقية لليوم، حيث نجد بعض الآثار الرومانية في الجزء العلوي لهذا الحي تمثلت في بناءات وشواهد متداخلة تعرف بإسم "تبسة الخالية".
- إنتماءنا لهذا الحي في وقت مضى مكننا من تكوين علاقات مع العديد من العائلات والأشخاص مما أتاح لنا سهولة البحث الميداني.

- إشتغالنا على العديد من مخططات مساكن هذا الحي (ملفات رخص المطابقة في الفترة المتدة بين 2012-2015) بإعتبارنا مختصة في مجال الهندسة المعمارية، ما سهل علينا الحصول على مخططات تصاميم المساكن.

8.3.3. المجال الزماني:

ونقصد بالمجال الزماني المدة الزمنية التي إستغرقتها هذه الدراسة، فقد بدأت بدراسات إستطلاعية مع بداية سنة 2015، ثم جاءت بعد ذلك العديد من الزيارات والأعمال الميدانية إلى غاية سنة 2020.

9. صعوبات الدراسة

لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعراقيل خاصة البحوث الميدانية، إبتداءا من إختيار الموضوع وتحديد الإشكالية إلى غاية إنتهائه، وقد تلخصت الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا هذه في مايلي:

- قلة الدراسات الأنثروبولوجية التي تهتم بالمسكن والعمارة في الجزائر، فقد كان إرتكازنا على دراسات في حقول معرفية أخرى كعلم الإجتماع، علم العمران ..إلخ
- قلة الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تهتم بالمنطقة محل الدراسة الميدانية، بالرغم من أنها منطقة تزخر بكم هائل من المواضيع الأنثروبولوجية الخام.
- قابلنا أيضا عائق أثناء قيامنا بالعمل الميداني، حيث أن بعض الأشخاص كانوا يرفضون الحديث عن منازلهم، أو السماح لنا بأخذ صور فوتوغرافية لها نظرا لخصوصية موضوع المسكن.

الباب الثاني

الإطـــار النـظري

تمهيد الإطار النظري

يهدف الإطار النظري في دراستنا هذه إلى تقديم قاعدة نظرية تتيح المجال لفهم واقع العمارة بصفة عامة وعمارة المسكن بصفة خاصة في الجزائر، كما حاولنا البحث في مفهوم الهوية والثقافة وعلاقتهما بالعمارة وذلك من خلال دراسة تحليلية لبعض أشكال العمارة التقليدية في الجزائر مثل العمارة الإسلامية العمارة القبائلية، عمارة بني مزاب .. إلخ، لنوضح من خلالها كيف أن الثقافة هي عامل أساسي في تصميم المساكن. وبهذا تصبح العمارة وسيلة لإنتاج هوية المجتمع. كذلك تم تقديم مونوغرافيا لمدينة تبسة مجال الدراسة الميدانية من أجل التعرف على مقوماتها الطبيعية، الاجتماعية والثقافية ويساعدنا ذلك في الفهم والتحليل والتفسير للمعطيات الميدانية

قسم الإطار النظري إلى ثلاث فصول:

- الفصل الأول بعنوان: **العمارة كمظهر من مظاهر الهوية الثقافية**
- الفصل الثاني بعنوان: **اقع عمارة المسكن في الجزائر**
- الفصل الثالث بعنوان: **مونوغرافيا تبسة**

الفصل الثاني

العمارة كمظهر من مظاهر

الهوية الثقافية

تمـــهيد

سنقدم في هذا الفصل مفهوم موجز للهوية الثقافية (لقد تم تناول مفهوم الهوية، ومفهوم الثقافة ومفهوم الهوية الثقافية بشيء من التفصيل في الفصل السابق في عنصر تحديد المفاهيم) وأهم محدداتها والتي من بينها العمارة الشعبية، فهذه الأخيرة تعتبر مظهر من مظاهر الهوية الثقافية لأنها تعكس الخصائص الثقافية للمجتمع، ثم سنلقي الضوء على بعض أنماط العمارة التقليدية والتي تعتبر عمارة شعبية وكيف أن الثقافة كانت عامل تصميمي أساسي بها، وبذلك فقد عكست هوية ساكنيها.

أولا: الهوية الثقافية

I. مفهومها

الهوية الثقافية الجزائرية هي مجموع السمات الثاقفية المشتركة بين أفراد المجتمع الجزائري، والتي تميزه عن غيره من المجتمعات، تظهر هذه السمات من خلال القيم، المعتقدات، العادات والتقاليد، العرف التصورات والتمثلات ..إلخ، وقد تشكلت في إطار المجال الجغرافي للجزائر على مر تاريخ طويل.

فمن الناحية الجغرافية، فإن الإمتداد الجغرافي الشاسع للجزائر جعل منها فسيفساء طبيعية تزخر بتعدد تضاريسها، مناخها ومقوماتها الطبيعية ..إلخ، وهذا ما أثر بشكل مباشر على أسلوب الحياة، فنجد مثلا أن إختلاف المناخ من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، قد أنتج لنا تعدد في شكل اللباس، نمط المسكن، نوع الأكل ..إلخ.

أما من الناحية التاريخية فقد مر تاريخ الجزائر بعدة مراحل كان بدايتها حسب المؤرخين مع وصول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا، ثم تطوروا على قرطاجيين، ثم تأتي بعدها مرحلة الغزو الروماني الذي لازالت آثاره باقية لليوم، ثم بعد ذلك جاء الغزو الوندالي (435-534 م)، ثم الغزو البيزنطي (534- 670 م) لتأتي بعده مرحلة دخول الإسلام التي تعتبر من أهم المراحل التي تمثل تحولا جذريا من حيث العقيدة والفكر واللغة، ثم تأتي مرحلة التواجد العثماني، ثم بعدها مرحلة الإستعمار الفرنسي وما تبنى من سياسات لمحو الهوية الجزائرية وفرض هويته، ثم أخيرا مرحلة ما بعد الإستعمار والتي شهدت أزمات إقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، كل هذه المراحل بخصائصها ساهمت في تشكيل سمات ثقافية خاصة بالمجتمع الجزائري، وشكلت بذلك هويته الثقافية.

II. محدداتها

سنتحدث هنا على أهم محددات الهوية الثقافية الجزائرية والتي تتمثل في: الدين، اللغة والثقافة الشعبية.

1. الدين الإسلامي

يعتبر الدين الإسلامي أسلوب حياة ورؤية إلى العالم،[1] فقد تغلغل في كل مناحي الحياة في الجزائر لربطه بين مقتضيات الحياة الدينية والحياة الدنيوية، فيظهر في العلاقات الأسرية والزوجية، العادات والسلوكات اليومية، الأكل، اللباس، المرض ..إلخ، ولذلك يعتبره الكثيرون المكون الأساسي الأكثر أهمية من غيره للشخصية الوطنية الجزائرية،[2] فهو يمثل بقيمه الثقافية والحضارية جوهر وروح الثقافة الوطنية في عمومياتها الثابتة، ومن ثمة الهوية الوطنية في سماتها البارزة دون منازع[3].

لقد ميز الباحثين في هذا المجال وأبرزهم **بيار بورديو Pirre Bourdieu** عن وجود نوعين من الدين في الجزائر، الدين الإسلامي كدين رسمي، والدين الإسلامي كممارسة، وهو ما أطلق عليه الإسلام الشعبي وهو الإسلام الذي يختلط بالواقع الثقافي الموجود وما ينطوي عليه من عادات وتقاليد ومعتقدات هي من بقايا العصور السابقة. كما أشار إلى ذلك الأنثروبولوجي **كليفورد غيرتز Clifford Geertz** حين لاحظ أن الإسلام يرتبط بالموروث

---

[1] Abdelghani Meghrbi, **Culture et personnalité Algérienne de Massinissa à nos jours,** Edition ENAL-OP, Alger, 1986, p. 36.

[2] Ibid, p36.

[3] أحمد بن نعمان، مرجع سابق، ص 152.

الثقافي والاجتماعي في كل من إندونيسيا والمغرب.[1]

2. اللغة

المجتمع الجزائري مجتمع متعدد اللغات، ويرجع ذلك لتاريخه وما تعاقبت عليه من حضارات بقيت آثارها ظاهرة على لسان الجزائري للوقت الحالي، فقد كان سائدا في العصور القديمة اللغة البونيقية والتي أستقت منها البربرية حسب بعض المؤرخين أمثال غوستاف لوبون،[2] ثم تفرعت منها العديد من اللهجات التي تسود في مناطق محددة تتمثل في الأوراس، القبائل، الهوقار، المزاب، بالإضافة إلى بعض المناطق المعزولة المنتشرة هنا وهناك في البلاد مثل بني بوسعيد في أقصى الغرب الجزائري.[3]

ثم سادت بعدها اللغة العربية لغة الفاتحين المسلمين، وقد تفرعت عنها الكثير من اللهجات المحلية، فنجد الإختلاف يظهر بين مدن الشمال ومدن الجنوب ومدن الشرق ومدن الغرب، حتى أن الإختلاف يظهر بين سكان المدن وسكان الأرياف للمنطقة نفسها.

ثم أضيفت اللغات الأجنبية التي سادت نتيجة الإحتكاك، فنجد اللغة الفرنسية التي فرضها المستعمر الفرنسي طيلة تواجده في الجزائر، وهي في الوقت الحالي تعتبر اللغة الرسمية المعتمدة في الإدارات الجزائرية، بلإضافة إلى مخلفات اللغة التركية، الإسبانية، الإيطالية والتي تظهر من خلال بعض الكلمات التي تستعمل في ميادين مختلفة من الحياة اليومية كالطعام، اللباس ..إلخ.

---

[1] بن معمر عبد الله، **المكان والزمان في الثقافة الشعبية مقاربة أنثروبولوجية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف سعيدي محمد، قسم علم الاجتماع، جامعة تلمسان، 2010، غير منشورة، ص 121.

[2] سعد الغراب، **العامل الديني والهوية التونسية**، الدار التونسية للنشر، 1990، ص 101.

[3] بن معمر عبد الله، مرجع سابق، ص 124.

3. الثقافة الشعبية:

تساهم الثقافة الشعبية في تشكيل التمثلات والتصورات والأفكار والمعتقدات وتوجيه السلوكات والممارسات المتعلقة بالحياة اليومية للفرد في مجتمعه، وبذلك فهي تعتبر قالب للهوية الثقافية للمجتمع.

ويطلق على الثقافة الشعبية مصطلح الفلكلور، وهو مصطلح يتكون من لفظتين: فولك Folk والتي تعني عامة الناس أو الشعب، ولفظة لور Lore التي تعني الحكمة أو المعرفة، وبالتالي يصبح معنى فلكلور حكمة الشعب أو معرفة الشعب.

ويقصد بالفلكلور: الأساطير والخرافات والقصص الشعبية والنكات والأمثال والحزازير والألغاز والترانيم والتعاويذ والتبريكات واللعنات والشتائم والسبات والإيمان والإجابات التقليدية المقننة والمقامرة والمعايرة وعبارات التحية والوداع والمجاملات والملابس الشعبية والرقص الشعبي والمسرح الشعبي والفن الشعبي والمعتقدات الشعبية والطب الشعبي والموسيقى الشعبية والأشعار والأغاني الشعبية والمصطلحات والتشابه والإستعارات والكنايات والألقاب الشعبية وأسماء الأماكن والمواقع والملاحم الشعبية وما يكتب على القبور والسيارات واليافطات والجدران وأغاني ألعاب الأطفال وأغاني الكبار في تلعيب الأطفال والإيماءات والرموز والدعاء والنكات ونداءات الباعة وطرق الطبخ وأنماط التطريز **والعمارة الشعبية أنماط البيوت** والأسوار وبيوت الحيوانات وما يقال لطرد الحيوانات أو إستدعائها وما يقال عند العطس والسعال والتثاؤب والإحتفالات الشعبية في المواسم والأعياد والمناسبات المختلفة.[1]

[1] هيام الملقي، **ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري**، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1995، ص 261.

فالعمارة الشعبية هي مظهر من مظاهر الهوية الثقافية، فهي تعكس أسلوب تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، وقدرته على تكييف الظروف المحيطة به حسب إحتياجاته، وقد عرفها المعماري **فرانك لويد رايت Frank Lloyd Wright** بأنها البناء الأكثر إستجابة لإحتياجات الفعلية حيث تم تركيبها في بيئة من قبل أشخاص لا يعرفون أفضل من ملائمتها مع الإحتياجات المحلية، كما أشار إليها المهندس المعماري **حسن فتحي** في كتابه عمارة الفقراء قائلا بأنها: "عملية فنية ثقافية في منتهى الدقة والتصميم وهي تنطلق من الفكرة التي يكونها هذا المجتمع عن نفسه في هذا العالم ... فالحضارات البشرية عبر التاريخ قد ميزت هويتها الخاصة بها بواسطة الأشكال المعمارية التي تدل على خصوصيتها وتعبر عن شخصيتها القاعدية وعن رمزياتها".[1]

ثانيا: العمارة التقليدية في الجزائر: ثقافة تبني عمارة

إن الأهمية في دراسة نماذج لمساكن العمارة التقليدية في الجزائر تتمثل في محاولة فهم كيف تفاعل الإنسان في القديم مع محيطه، ومع أخيه الإنسان من خلال ما يبنيه، كيف إستطاعت عمارته التكيف مع مختلف الظروف المحيطة به سواءا البيئية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية ..إلخ وتوفير مسكن ملائم له يلبي إحتياجاته برغم الإمكانيات البسيطة.

نميز العديد من الأساليب المعمارية التقليدية في الجزائر والتي تعتبر أشكالا من العمارة العربية الإسلامية، تلك العمارة التي عكست القيم والمبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي، مستجيبة في الوقت ذاته للإحتياجات الوظيفية والروحية لساكنيها، فمثلت بذلك خير شاهد عن الإبداع في مجال العمارة.

---

[1] حسن فتحي: **عمارة الفقراء**، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4، ص 45.

سنتطرق فيما يلي إلى قراءة أنثروبولوجية لبعض نماذج المساكن في العمارة التقليدية في الجزائر (مسكن العمارة الشاوية، مسكن عمارة القبائل، عمارة بني مزاب)، والبحث في تأثير الثقافة على هذه العمارة، وكيف أنها (الثقافة) عامل تصميمي مع العلم أن هذه العمارة هي في الأصل عمارة ريفية ويرجع ذلك لطبيعة المجتمع الجزائري الذي كان ريفيا.

I. العمارة العربية الإسلامية

1. مفهوم العمارة العربية الإسلامية

إن العلاقة قائمة بين الثقافة والدين، فالدين جزء من الحياة اليومية، بل هو محرك أساسي لسلوكات وأفكار الأفراد، فنجده يشتمل على رموز وأفكار وأفعال وممارسات تشكل نظاما ثقافيا، كما أشار الأنثروبولوجي **تايلور E. Taylor** في تعريفه للثقافة إلى أنها تشمل الدين.

أثر الدين الإسلامي على فن العمارة فأنتج بذلك هوية معمارية عربية إسلامية خاصة إستمدت مبادئها وخصائصها من الدين الإسلامي بداية من تخطيط المدينة وصولا الى هندسة المباني وحتى أدق تفاصيل الزخارف في المباني عرفت بالعمارة العربية الإسلامية.

1.1 أصل العرب:

يعود وجود تسمية العرب حسب الأدلة الاثرية الى نهاية الالف الثالث وبدايات الالف الثاني قبل الميلاد.[1] وقد اشارت هاته التسمية في بداياتها الى الاقوام التي تتكلم لغة واحدة، فقد اقتصرت على

[1] فكري آل هير، **حول أصل تسمية العرب وتاريخ ظهورهم**، مقال نشر بتاريخ 20 جويلية 2018 https//www.makalcloud.com

الميدان اللغوي، فإسماعيل عليه السلام كان جد العرب مع أنه لم يكن هو نفسه عربيا*، كان يتكلم السريانية في البداية، ثم تعرب لغويا،[1] وقد تواجدت جغرافيا في شبه الجزيرة العربية (السومريين، الآشوريين، الأكاديين، البابليين، الآموريين، الأدوميين، الفينيقيين، الكنعانيين، الآراميين، السبئيين، الحميريين ..الخ)، فالرابط في البداية كان هو اللغة المشتركة، ثم تفرع هؤلاء الاقوام وكون كل منها طريقة حياة خاصة به، وقد سميت الاقوام التي اتخذت من البداوة والترحال نمط حياة بـ"الاعراب"، ثم بعد ذلك تفرعت اللغة العربية الاصلية الى عدة لهجات مستقلة وصارت لكل قوم لهجة خاصة به اشبه ما تكون بلغة مستقلة (اللغة الكنعانية، الفينيقية، الامورية، السريانية، الآرامية..). وينقسم العرب إلى ثلاثة أقسام:

- **العرب البائدة**: العرب الأصليين وهم القبائل العربية الأولى، وقد بادت واضمحلت ولم يبقى منها الا فلول انصهرت في القبائل الأخرى ..الخ.[2]
- **العرب العاربة**: هي اقدم الأمم العربية من بعد قوم نوح، انتقلوا الى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وقصور، الى ان غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان. وهؤلا العرب العاربة شعوب كثيرة منها: عاد، ثمود، العمالقة، طسم،

* حسب ما جاء في كتاب تاريخ العرب القديم لأحمد مغنية أن إبراهيم الخليل (ع) كان متزوجا من سارة وكانت عقيما لا تلد، فوهبت جاريتها هاجر الى إبراهيم فولدت له إسماعيل (ع) عن عمر ناهز الست وثمانين سنة، ثم ادركت سارة الغيرة من هاجر فطلبت منه إخراجها، فهاجر بها الى مكة ووضعها وابنها بمكان زمزم وانطلق، عطش بعد ذلك إسماعيل عطشا شديدا فقامت هاجر فسعت بين الصفا والمروة سبعا فنبعت زمزم، ثم مرت رفقة من قبيلة "جرهم" فلما رأوا الطير حائمة اشرفوا على المكان فوجدوا إسماعيل وامه فنزلوا معهما هنالك، فشب إسماعيل بينهم وتعلم اللغة العربية منهم، كما تزوج منهم وانجب اثني عشر ذكرا تفرقوا في البلاد وشكلوا القبائل العربية المذكورة.

[1] هشام جعيط، **الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 237.

[2] ديزيره سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، دار الصداقة العربية، ط1، بيروت، 1995، ص 21.

جديس، اميم، عبيل، عبد ضخم، جرهم، حضرموت، حضورا، والسلفات. [1]

- **العرب المستعربة:** هم القبائل غير العربية والتي أخذت السمات والشعائر العربية من غيرهم من القبائل العرب العاربة المعاصرين لهم، كما تعلموا اللغة العربية، وهم من نسل إسماعيل (ع)، فعدنان وقحطان من ولد إسماعيل يستوعبان شعوب العرب كلها، وليس هناك خلاف أن قحطان هو أبو اليمن كلهم.[2] وهم يشتركون في ثلاثة عناصر: العرق واللغة وحياة الترحال.[3]

1.2 الهوية العربية قبل الإسلام:

في الزمن الغابر وجدت عرقية عربية حددها العامل اللغوي، وقد تم توطينها بمنطقة الجنوب الغربي السامي وذلك نظرا لهيمنة الآرامية على الشمال الغربي.[4] أما في العالم الشرقي فقد كان التحضر منسوب الى المدينة الواحة ولنموذجها الموجود في بلاد الرافدين. وكانت بلاد الرافدين مقر التحضير للمدن والمماليك، كانت تعارض بشدة عالم الحواشي الصحراوية، عالم الرحل المختلطين بصورة مبهمة.[5]

لقد كان الآشوريون والبابليون يمنحون تسمية "عرب" للشعوب المحيطة بهم والذين يتكلمون لغة سامية غربية، وذلك لأنه من المحتمل أن كافة الساميين غربا مثلوا في وقت ما (حوالي الالفية الثالثة) شعبا واحدا وحدته اللغة ونمط العيش، وكان الترحال يحدد هويته أساسا.* غير ان هذا المفهوم يستبعد

---

[1] أحمد مغنية، **تاريخ العرب القديم**، دار الصفوة، بيروت، ط1، 1994، ص 10.

[2] نفس المرجع، ص 23-24.

[3] ديزيره سقال، مرجع سابق، ص 20.

[4] Ran Zadok, **Arabians in mespotamia during the late-assyrian, Chaldean, achaemanian and Hellenistic period**, 1981, p 54

[5] هشام جعيط، مرجع سابق، ص 244.

* وكان يسمى "عربا" أو "عربيو" وكان يسمى أيضا "عبر"، قد يكون انقلابا حرفيا من "عرب" الى "عبر"، أو أنه مشتق من عبور 'ميثولوجي" لنهر الفرات، وكذلك اطلق عليه تسمية "ساميي الغرب" التي وضعها العلم الأوروبي في القرن 19 إنطلاقا من المصطلحات الواردة بالتوراة.

ساميي الشرق ويفصلهم عنهم انفصالا عميقا بسبب التحضير في شكله القروي والمدني.[1]

هذا هو الشكل الأول الذي اتخذه العرب الأوائل، وهم الشعوب المعروفة أنها سامية غربية، وهي تشترك في نمط العيش واللغة وربما الدين، وقد انحدر عنهم بعد ذلك العبرانيون والفينيقيون والآراميون والعرب ذاتهم ...الخ، بواسطة التمييز التدريجي وعن طريق الهجرات. وهذا أدى الى تطور لغوي وتفريع بين عربية الأوائل وبين الارامية، غير انهم حافظوا على الترحال كنمط للعيش، ولهذا فقد اطلق البابليون والآشوريون تسمية "عرب" على كل بدوي حتى لو كان نسبه الجغرافي بعيد.2

أما في الموطن الأصلي، فقد برزت الهوية العربية القائمة على اللغة قبيل ظهور التاريخ الميلادي وتأكدت خلال القرون الثلاثة الموالية، وقد تسمى العرب الأوائل لغويا، وقد فقدوا صفتهم البدوية ظاهرا مثل الثموديين والنبطيين، والنبطيون هم الذين ضبطو اللغة بواسطة الكتابة.[3]

إن أكثرية العرب المتميزين لغويا سواء في شبه الجزيرة أو بجنوب الشام، تمادوا في توخي نمط عيش الترحل، وقد استوعبوا الذين كانوا رحلا مثلهم من بين الأعراق الأخرى، فكان كل مترحل يتعرب لغويا وينظم الى الاطار القبلي، فبقيت القبيلة ونمط العيش الرعوي يحتلان الأولوية بالنسبة للمدينة، فكانت المدينة تظهر في نظر العرب بمثابة الظاهرة المكتسبة الإستثنائية.[4]

---

[1] هشام جعيط: مرجع سابق، ص 244-245.

[2] نفس المرجع، ص 245.

[3] نفس المرجع، ص 246.

[4] نفس المرجع، ص 246.

1.3 المدينة العربية قبل الإسلام:

لقد ظهر العرب الأوائل في التاريخ خارج شبه الجزيرة سنة 853 ق م، من خلال النقوش المسمارية دون أن يتسموا بأسماء عربية، فليس من الضرورة أنهم كانوا غير عرب من حيث الجنس، لكنهم ينتمون الى الرحل. فهذا المفهوم يخص نمط العيش اكثر مما تحيل الى مفهوم عرقي. فالعرب وحدهم من تمادوا في حياة الترحل، وحتى أولئك الذين تمادوا من بعد على هذا النمط من الحياة قد تعربوا، فهناك مطابقة بين مفهوم "عربي" ومفهوم "الترحل" منذ القديم. وحتى في القرآن الكريم لم يستعمل ابدا الاسم الموصوف عرب، ولكن استعمل اسم مشتق هو "أعراب" للدلالة على البدو، وصفة عربي نعتا لغويا فحسب، وحتى المصادر التي تلت ظهور القرآن استخدمت كلمة عرب للدلالة على قبائل الرحل، لا على العرب بصفتهم مجموعة عرقية، كما في مقدمة إبن خلدون.[1] فاذا كان العرب هم البدو، فهل هذا يعني أنهم لم يعرفوا المدينة بمفهومها التنظيمي ؟

من بين القبائل القديمة التي كانت تسكن منطقة شبه الجزيرة العربية قبيلة ثمود، وقد بنوا ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام، ويقال أن كانوا يعمرون كثيرا (أعمارهم طويلة) لذلك كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال كي لا تتعرض للهدم والخراب.[2] وكانت أيضا قبيلة أميم التي سكنت أرض فارس، ويذكر أنها أول من بنى البنيان وإتخذ البيوت من الحجارة، وسقفوا بالخشب.[3]

---

[1] هشام جعيط، مرجع سابق، ص 242-243.

[2] أحمد مغنية، مرجع سابق، ص 12.

[3] نفس المرجع، ص 16.

برع سكان جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمنيين) * في مجال البناء، فأقاموا عدة مدن منها: مأرب (هي مملكة سبأ)، معين، ظفار، صنعاء وغيرها، وقد إشتهرت هاته المدن بالقصور الفخمة والهياكل، وأصلها المحافد، وهي تشبه القلاع محاطة بأسوار.[1]

1.4 العمارة العربية الاسلامية كيف هي "إسلامية" ؟

يتساءل المستشرقون إذا ما كانت العمارة العربية القديمة هي حقا عمارة "إسلامية"؟ مرتكزين في تساءلهم على أن أهم خصائص المدينة الإسلامية كانت موجودة في المدينة الشرقية القديمة، وليست وليدة فترة ظهور وإنتشار الدين الإسلامي، فخصائص عمارة المدينة الاسلامية والتي تتمثل في: الزقاق غير النافذ، الدار ذات الصحن الداخلي، السوق... ليست ابتكارات اسلامية، بل هي خصائص العمارة شرقية وليست بجديدة الا بالنسبة للعمارة الاوروبية الكلاسيكية، السوق فقط ابداع ثقافي اسلامي على الرغم من أن السوق كمركز تجاري هو مؤسسة لها أضعف الصلات بالإسلام كدين.[2]

يمكن الرد على هذا التساؤل بأن تجميع هاته العناصر المختلفة الأصل في عمارة واحدة من أجل تحقيق أهداف وقيم سعى الى نشرها الدين الإسلامي كالستر والخصوصية واحترام الآخر... هو ما أضاف عليها سمة الإسلامية، فالمهم هو الغرض (وظيفي، جمالي ...) الذي تؤديه هاته العناصر.

فالطراز المعماري العربي الإسلامي ظهر عندما أخذ المسلمون بتجميع شتى الأنماط والاشكال

---

* قسم جغرافيو الرومان شبه جزيرة العرب الى ثلاثة اقسام: العربية الصحراوية تشمل مملكة تدمر، العربية الصخرية تشمل شبه جزيرة سيناء ومرتفعات شمال الحجاز وشمال البحر الميت وهنا أقيمت مملكة الانباط، العربية السعيدة تشمل جنوب الجزيرة ووسطها وهنا أقيمت مملكة اليمنيين.

[1] ديزيره سقال، مرجع سابق، ص 49.

[2] هشام جعيط، مرجع سابق، ص 194

المعمارية القديمة، وطبعها بطابع دينهم، وإظهارها للعالم فنا معماريا جديدا، متميزا عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم.[1]

2. المسكن في العمارة العربية الإسلامية

بني السكن في المجتمع العربي الاسلامي حسب القيم والتصورات السائدة في المجتمع، فهو نظام رمزي مكثف يعكس ثقافة المجتمع الاسلامي.

2.1. الحرمة (الخصوصية): من أهم مميزات عمارة المسكن العربي الاسلامي والتي أعطته طابعا وهوية مميزة، فكرة الخصوصية أو الستر، كما تعرف أيضا بالحُرمة و هو مفهوم أساسي في حياة العائلة المسلمة، و لمصدر الكلمة حرم معنيين، المعنى الأول و يشير إلى المقدس والشرف و المعنى الثاني يشير إلى الحرام أو الممنوع. و يرتبط مفهوم الحُرمة عادة بالمنزل و المرأة و الحميمية و الكرامة و النزاهة و ما هو جنسي، إنه يرتبط بشرف العائلة.[2] وقد تم تحقيق ذلك في مجال العمارة بأشكال متعددة أهمها:

- **العتبة:** صورت كحد فاصلا بين المدنس والمقدس، فهي المكان الانتقالي أو العبور من الفضاء العام الخارجي إلى الفضاء الخاص الداخلي، ما يقتضي طقوسا معينة تحقق هذا الانتقال عند بداية السكن داخل الفضاء السكني.

---

[1] شريف يوسف، **المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها**، دار الجاحظ للنشر، العراق، 1980، ص8.

[2] سليمان بومدين، **تصورات المغاربي لحرمة داره**، مجلة انسانيات، العدد 37، الجزائر، 2007، ص 49.

- **المدخل:** يتميز تصميمه في الغالب بإنكسار 90 درجة، فيضطر الداخل إلى الدوران يمينا أو شمالا بعد إجتياز الباب، ويكون بالجدار المقابل للباب في بعض الأحيان فتحة صغيرة للرؤية بالعين تستعملها النساء للرؤية، وكل هذا حتى لا يسمح للمارة في الخارج برؤية ما بالداخل. كما يتميز في بعض الأحيان بإنخفاض طول الباب بالنسبة لطول قامة الرجل، فيضطر الداخل لخفض رأسه حتى يستطيع الدخول وبذلك يكون إتجاه نظره إلى الأرض، وهي بذلك زيادة فرصة النساء للإستعداد إذا كان الداخل شخص غريب عن أهل المنزل.

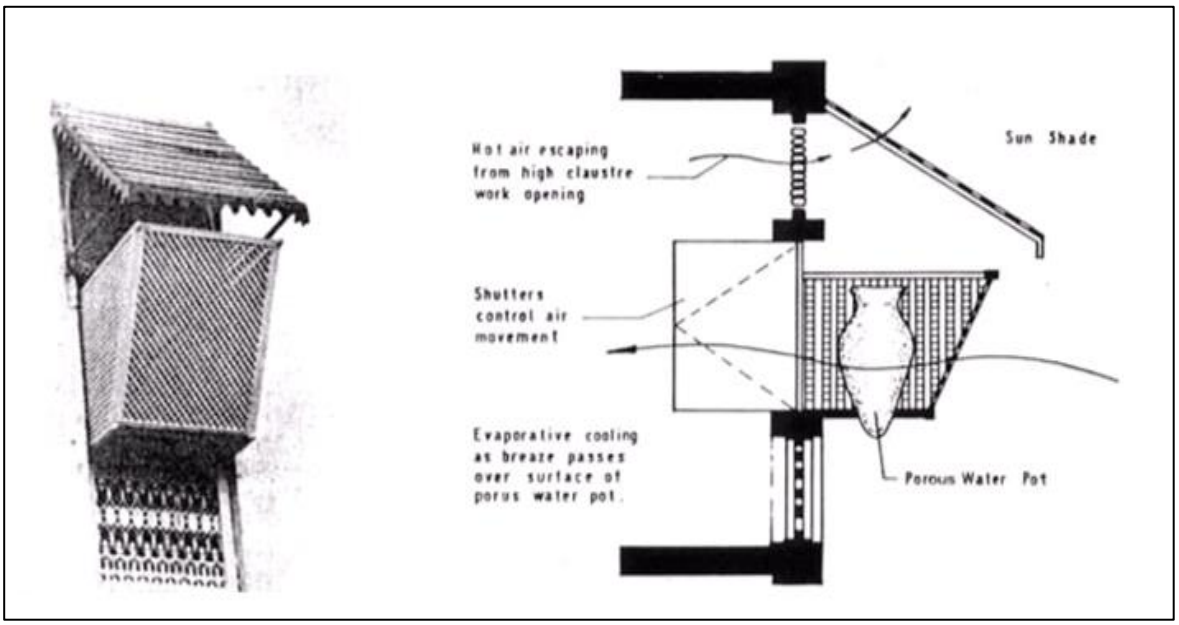
- **مطرقة الباب:** يتطلب دخول البيت العربي الإسلامي شفرة سلوكية معينة، فالزائر يستأذن قبل دخول البيت وذلك للحفاظ على حرمته، فالإستئذان قبل دخول منازل الغير من التعاليم الإسلامية، قد يعمد الزائر الى الكلام بصوت مرتفع للإعلان عن القدوم، أو قد يلجأ إلى التصفير أو السعال أو إرسال طفل صغير، أو الضرب على الباب مع الإنسحاب قليلا و النظر بعيدا .. إلخ،[1] الطريقة الأكثر إنتشارا هي مطرقة الباب، وهي مطرقة معدنية، الشكل البسيط منها يتكون من جزء معدني ثابت بالباب يتصل بحلقة معدنية بواسطة مفصل لتسهيل حركتها، .

هناك نوعين من المطارق إحداهما والأخرى صغيرة، فعندما يطرق الباب بالكبيرة يفهم أن الذي يطرق رجل فيذهب رجل لفتح الباب، وعندما يطرق بالصغيرة يفهم أن الطارق امرأة فتذهب امراة لفتح الباب، وذلك من باب تقليص مساحة الاختلاط بين الرجال والنساء.

- **المشربية:** أشتق إسمها من كلمة "شرب"، وهي تعني مكان الشرب، فقد كانت في بداية ظهورها حيز خارجي توضع فيه الجرار وأواني الماء ليتم تبريدها بفعل حركة الهواء الناتج بين أجزائها نظرا لطبيعة

[1] سليمان بومدين، مرجع سابق، ص 50.

المناخ الحار والجاف الذي يميز المنطقة، كما هو موضح في الصورة (01).



الصورة (01): شكل تخطيطي للمشربية وكيفية الإستفادة منها في تبريد جزاز المياه.
المصدر: https://twitter.com/alhmmashael/status/1259876270202118144

يصعب تحديد الزمن الذي ظهرت فيه على وجه الدقة، لكن المعروف أنها إنتشرت في العصر العباسي (750-1258)، وتطورت ووصلت إلى أبهى صورها في العصر العثماني (1517-1805).[1]

ظهرت في عدة أشكال وأنماط تبعا لنوع الخشب المستعمل وطريقة تشكيله، كما أن لها العديد من التسميات. والمشربية المتعارف عليها هي عبارة عن إنشاءات خشبية على شكل تكعيبات شبكية، تُقام عادة في واجهات الطوابق العليا، ولها وظيفتين أساسيتين هما: وظيفة بيئية ستذكر لاحقا، ووظيفة اجتماعية تتمثل في حجب ما داخل المنزل (خاصة العنصر النسوي) عن العالم الخارجي، فهي تسمح للنساء برؤية ما في الشارع دون أن يراهن أحد، فهي جزء إتصال العالم الداخلي بالعالم الخارجي بطريقة

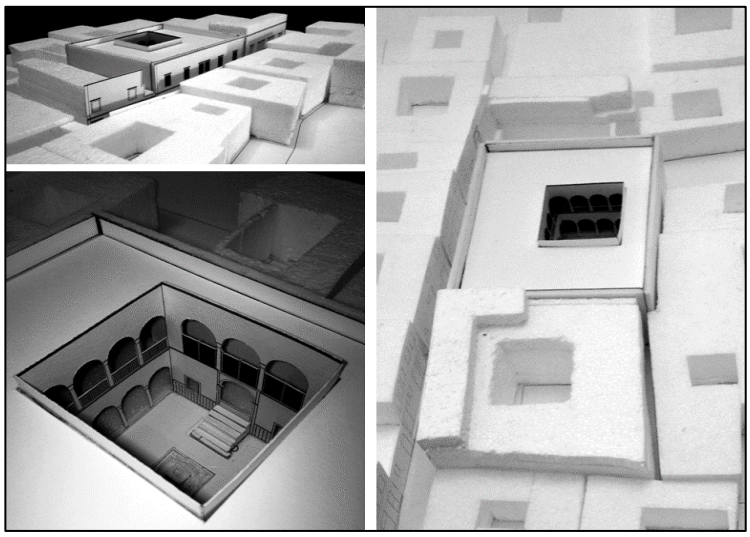
[1] نيفين فرغلي بيومي، **التطبيقات المعاصرة للمشربية كموروث ثقافي**، مجلة العمارة والفنون، مصر، 2016، المجلد 1، العدد 1، ص 349-362.

تضمن له الخصوصية. كما أنها تزيد من جمالية المبنى سواء من ناحية الشكل في الواجهات، أو من خلال ما توفره من تشكيلات بالضوء والظل في الداخل.

ويبقى التساؤل المطروح: هل المشربية تعبر عن ثقافتنا من حيث وظيفتها أم شكلها؟ يعني هل يكفي تحقيق الخصوصية في واجهات المباني المعاصرة بمفردات وأشكال معمارية أخرى دون شرط إرتباطها بالمشربيات الخشبية؟ فنجد تصاميم معاصرة تختلف عنها شكلا لكنها تؤدي نفس الوظيفة، أم أنها كشكل معماري يعكس الطابع المعماري الإسلامي تعبر عن هويتنا؟

نجد أن المهندس **جون نوفال Jean Nouvel** قد إعتمد على شكلها لتصميم مبنى معهد العالم العربي بباريس الذي تم بناؤه في الفترة (1987-1981).

- **<u>الفناء الداخلي</u>:** هو فضاء داخلي مفتوح على السماء، يتيح نوع من الإستقلالية والخصوصية لكل بيت، فهو يضمن توجيه المبني إلى الداخل من خلال النوافذ المطلة عليه بدل الشارع، الصورة (02).



الصورة (02): رسم توضيحي للتوجيه نحو الداخل (الفناء)

المصدر: مدونة الميراث، https://mirathlibya.blogspot.com/2013/04

ويعتبر الفناء الداخلي إرث معماري عتيق يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، فقد ظهر في الحضارات اليونانية والرومانية والتي ورثته هي الأخرى من الحضارة الفرعونية وحضارة ما بين النهرين. وحسب **ديفونتان Desfantaine**، فإن هذا النمط مشتق من الفيلا الرومانية ولا ينتمي حسب رأيه إلى العالم العربي الإسلامي.[1] وقد تميز بنجاعته في عملية التكييف البيئي التي تتطلبها البيئة القاسية الحارة والجافة التي تسود المنطقة.

الفناء الداخلي في العمارة الإسلامية قد اكتسب بعدا جديدا وانتظمت العناصر حوله وارتبطت به لتحقيق الاستفادة القصوى من هذا الفراغ[2]، فأهم إضافة قام بها المسلمون على تركيبته هي التركيز على عنصر الخصوصية، فتصميم المسكن الإسلامي يتجه من الداخل الى الخارج، فالفناء الداخلي يمثل الحياة الداخلية للأفراد.[3] وله عدة وظائف:

- وظيفة جمالية وترفيهية: تمثلت في التنوع باستخدام النباتات والأشجار والأزاهير، وكذلك تشكيل الفراغات المظللة ونصف المظللة والمفتوحة.،
- وظيفة اجتماعية: حيث تقوم فيه الأسرة بعدة نشاطات اجتماعية مثل لعب الأطفال، أو تجمع أفراد الأسرة خاصة النسوة، أو يخصص لبعض الاشغال المنزلية، كما في الصورة (03) والصورة (04).

---

[1] سليمان بومدين، مرجع سابق، ص 51.

[2] عبد الباقي إبراهيم، **المنظور الإسلامي للنظرية العمرانية**، مركز الدراسات التخطيطية والعمرانية، القاهرة، 1993، ص 09

[3] Cowell, F.R. **The garden as a fine art - from antiquity to modern times, Weidenfeld & Nicolson**, Vol 1, London, 1978, p 31.



الصورة (03): نشاطات يومية في فناء المنزل

المصدر: https://www.facebook.com/305326433526280/posts/358354631556793



الصورة (04): نساء يحضرن طعام الكسكس في فناء المنزل

المصدر: https://www.facebook.com/305326433526280/posts/358354631556793

- وظيفة روحية: الفناء فضاء ينقل الطبيعة الخارجية الى داخل المنزل، فهو يمثل مكان الإتصال بين الانسان والكون، وكذلك تلتقي به العناصر الأربعة للطبيعة وهي: الأرض، الماء، الهواء والشمس، ليصبح تعبيرا عن الكون كله، وقد إستخدم العرب الفناء الداخلي لتوفير مجال مفتوح على الوسط الخارجي، فالعرب يكرهون أن يحصروا بين الجدران، كما يرتبط في مخيالهم المجال المغلق بالقبر،[1] لذلك فهم بحاجة الى مجال مفتوح.

- **التختبوش**: كلمة تختبوش هي كلمة فارسية الأصل مكونة من مقطعين الأول هو "تخت" أي مقعد أو منصة والثانية "بوش" أي صاحب، فهي تعني صاحب المقعد أو صاحب المكان. وهي عبارة عن مساحة مسقوفة مستطيلة أو مربعة الشكل، تقع بين فناء البيت وحديقته الخلفية، توضع بها الأرائك الخشبية ليجلس عليها، يتميز بإرتفاع سقفه الخشبي والذي يكون محمولا من الأمام على عمود واحد ليعطي مزيدا من الإتساع والرحابة والتهوية الجيدة، أما ظهر التختبوش فتوجد به مشربيات كبيرة تطل على الحديقة الخلفية مما يسمح بمرور التيار الهوائي. وكان التختبوش أيضا مكان لجلوس الرجال في الإحتفالات والمناسبات.

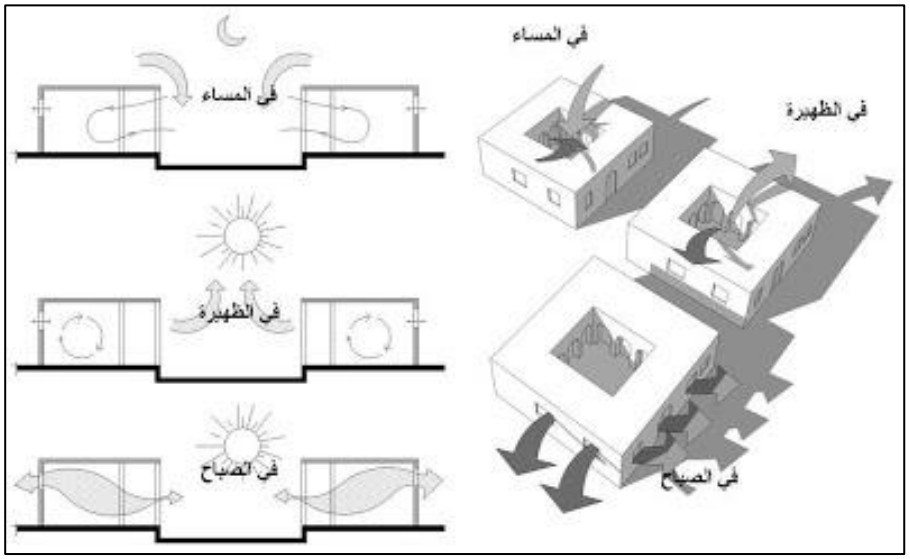
- **الفتحات الخارجية**: تميزت الفتحات المطلة على الواجهات الخارجية بقلة عددها، صغر حجمها وإرتفاعها عن سطح الأرض (تبدأ عادة من الطابق الأول)، محاولة إضفاء إحساساً بقدسية الحياة الأسرية وخصوصيتها وأهميتها لدى هؤلاء الناس.

2.2. التكيف مع المناخ: قدمت العمارة العربية الإسلامية حلولا معمارية للتكيف مع طبيعة المناخ القاسي الذي ميز المنطقة، والذي تميز بالحرارة الشديدة والجفاف، فأنشأت عناصر معمارية

[1] ادوارد تي هول، **البعد الخفي**، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، دار الاهلية للنشر، ط 1، الأردن، 2007، ص 223.

متعددة تساعد على تهوية وتبريد المكان من خلال خلق تيارات هوائية، منها الفناء الداخلي المشربية، الدرقاعة والشخشيخة، البراجيل ..إلخ، كما إستخدمت مواد البناء المحلية، وتبين هذه الحلول قدرة الإنسان على تفوقه على بيئته دون إلحاق الضرر بها.

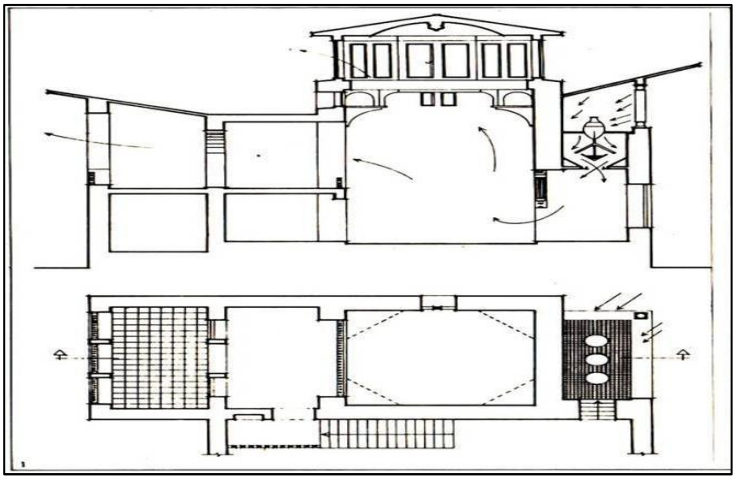
- **<u>الفناء الداخلي:</u>** والذي يعتبر المصدر الأساسي للتهوية والإضاءة في المسكن، وهو أكثر العناصر المعمارية التي تشترك فيها جميع المساكن العربية الإسلامية في مختلف الأماكن. الصورة (05).



الصورة (05): رسم توضيحي لدور الفناء في التهوية والاضاءة

المصدر: مدونة الميراث، https://mirathlibya.blogspot.com/2010/07/blog-post.html

- **<u>الدرقاعة والشخشيخة</u>:** الدرقاعة هي التسقيف الفراغي الذي يعلو القاعة الداخلية التي عادة ما تكون على طابقين الصورة (06). والشخشيخة هي التي تسمح بادخال النور الى فراغ القاعة من ناحية كما تسمح بالتحكم بدخول او خروج الهواء تبعا لفكرة فرق الضغط بين مناطق الظل والنور بالبيت، وبهذا تؤدي لدى اتصالها فراغيا مع الفناء الى تحريك الهواء داخل البيت وتلطيف درجات الحرارة العالية.



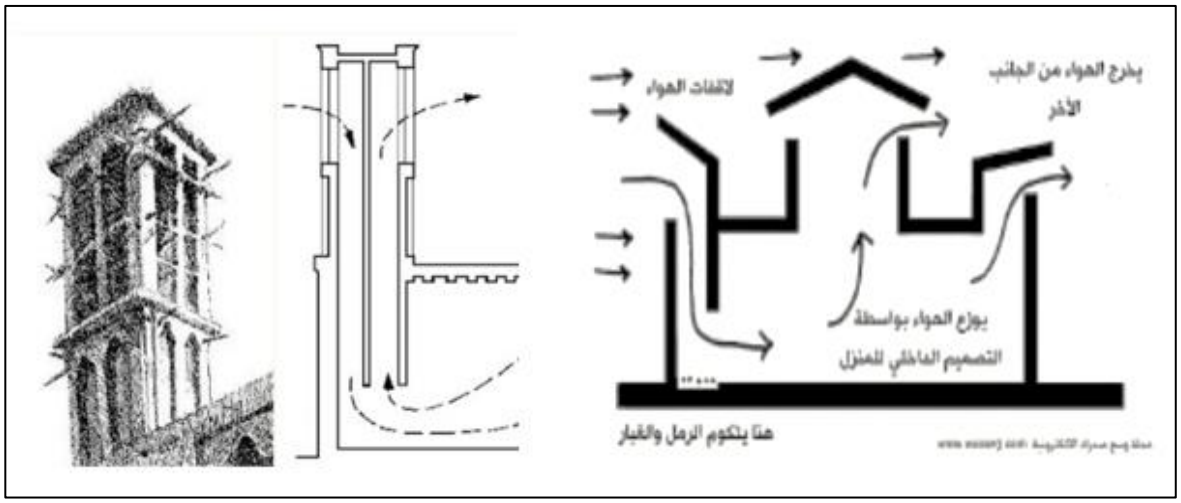
الصورة (06): حركية الهواء عن طريق الشخشيخة

المصدر: https://mirathlibya.blogspot.com/2010/07/blog-post.html

- **المشربية:** لها وظيفة بيئية تتمثل في ضبط: تدفق الضوء، تدفق الهواء، درجة الحرارة، الرطوبة.

يتكون الضوء الساقط من النافذة إلى سطح الفراغ الداخلي من قسمين: الأول هو الضوء المباشر والثاني هو الوهج الذي يدخل من خلال فراغات النافذة، تقوم المشربية بإعتراض الضوء المباشر لتقليل درجة حرارة المكان، ويبقى الوهج الذي يتضاعف عند سقوطه على قضبان الخشب في المشربية والذي يسبب إزعاجا بصريا إذا كان زائدا، لذلك تعمل المشربية بحساسية عالية تجاه هذا الوهج فتكون قضبانها متقاربة على مستوى النظر ومتباعدة في الأجزاء العليا، هذا الفرق في البعد بين القضبان يسمح أيضا بالتحكم بمرور الهواء، وإذا كانت الأجزاء ذات الفراغات الصغيرة تعيق دخول الهواء إلى الفراغ تصبح المشربية أكبر حجما لتعويض النقص. كما تقوم المشربية بتعديل درجة الرطوبة في الهواء بين النهار والليل فتفقده أو تكسبه الرطوبة حسب الحاجة والوقت، ويزداد هذا التفاعل بزيادة مساحة سطوح القضبان الخشبية فيها. أما الرؤية فتتضح أكثر بالإقتراب من المشربية والتركيز على المشهد الخارجي بينما تكاد تنعدم بالإبتعاد عنها والنظر على الجانب المعتم لها (داخل الغرفة).

- **البراجيل:** (الملقف – أبراج الرياح) تلطيف الجو الداخلي للغرف، وهو عبارة عن مهوى يعلو المبنى وله فتحة مقابلة لإتجاه هبوب الرياح السائدة لإقتناص الهواء المار فوق المبنى ويكون غالباً أبرد، ثم يقوم بدفعه داخل المبنى كما بين الصورة (07)، وللملقف فائدة مهمة إذ يغني عن النوافذ ذات الفتحات الكبيرة لتوفير التهوية بالإضافة إلى فائدته في تقليل الغبار والرمال التي تهب على الأقاليم الحارة والجافة، وكذلك له أهمية كبيرة في الأقاليم الدافئة الرطبة التي تعتمد في راحتها الحرارية على حركة الهواء وبالأخص التي تكون أبنيتها متلاصقة تحول دون وصول الرياح إليها وتصبح حينها النوافذ غير كافية لتوفير التهوية فيقوم الملقف بهذه الوظيفة بمنتهى السهولة. ويتميز الملقف بأنه أصغر مساحة من واجهة المبنى فلا تحجب ملاقف الأبنية الواقعة خلفها.



الصورة (07): رسومات توضيحية لدور البراجيل في التهوية داخل المسكن

المصدر: شرين عبد القادر محمد الفيومي، **توظيف مبادئ الإستدامة في العمارة الإسلامية لمواجهة التحديات المعمارية رؤية خزفية**، المجلة العالمية للتصميم، الحجم 5، العدد 3، مصر، ص 1257–1266.

- **مواد البناء المحلية:** هي مجموعة من المواد الطبيعية المستخدمة في مجال البناء والمتوفرة محليا كالتراب، الطين، الرمل، الحجر، الجبس، الخشب ...إلخ وهي لا تتطلب شراء أو نقل أو نفايات

ومعالجة صناعية، وهي تسمح بالحفاظ على التوازن البيئي وحماية البيئة. يوجد ثلاثة معايير لتحديد مواد البناء المحلية وهي:

- معايير جغرافية: طاقة الحقول وظروف الاستغلال (طرق الاستخراج والنقل،)...
- معايير تكنولوجية: متمثلة في الخبرات المحلية وتحديد كيفية استخدام هذه المواد.
- معايير إقتصادية: يتضمن تكاليف استخراج المواد الخام.

2.3. البساطة في العيش: إن المنزل الإسلامي على غناه يعطي إنطباعا خارجيا على أنه متواضع ومعتدل، فأسواره عالية، بها باب مغلق في الغالب ونوافذ ضيقة وقليلة، وتبدو ساحة المنزل كأهم جزء في المسكن برمته.[1] كما أنه قليل الزخارف، فجماله في بساطته، أما الألوان المستخدمة فتحتوي على مدلولات رمزية معقدة. فاللون الأبيض المستخدم في طلاء الحوائط ملائم للظروف المناخية اللتي تتسم بالحرارة الشديدة، أيضاً يرمز الأبيض للصفاء والنقاء والبساطة في حياة هؤلاء الناس، أما الألوان الزاهية كالأحمر والأصفر والأخضر فقد أحتفظ بها في الداخل، خاصة في عمل الزخارف الداخلية، وهو ما يؤكد التضاد بين ما هو خارجي عام وما هو داخلي خاص.

2.4. علاقة الجوار: كما تكيف مسكن العمارة العربية الإسلامية مع بيئته البيئية، فقد تكيف أيضا مع البيئة الاجتماعية، وذلك من خلال:

- بساطة وتجانس الواجهات الخارجية للمباني، وذلك لخلق نوع من التساوي وعدم التمييز بين أفراد المجتمع.

[1] سليمان بومدين، مرجع سابق، ص 50.

- تشابه مستويات البناء التي كانت في الغالب لا تفوق الطابق الأول، وذلك من أجل ضمان حرمة المنازل المتجاورة، فلا يمكن إختلاس النظر من سطح مسكن لآخر من جهة، ومن جهة أخرى حق كل بيت في التشميس والتهوية، فحجب منظر طبيعي عن الجار هو إحدى الطرق الأكثر فعالية لإغاظته.[1]
- تراص الأبنية وإلتحامها وذلك من أجل التقليل من الشوارع والفراغات الخارجية، وذلك لهدف الحفاظ على خصوصية الأماكن.
- تجنب النوافذ والأبواب المتقابلة بين الجيران، لهدف إحترام الآخر وخصوصياته، ففي مسح قام به الدكتور **صالح الهذلول** عام 1396هـ لحارة الأغوات بالمدينة لم يظهر من بين 200 بيت سوى بابين متقابلين وذلك لعظمة حق الجار، وقد تطرق **ديبول J.C. Depaule** إلى فرص التفاعل بين الجيران بقوله: "إن عتبات المسكن، نوافذه، أبوابه، موقعه، كلها نقاط مهمة بواسطتها تتكون علاقات الساكن بالآخرين،[2] كما أشار **ايفون B.Yvonne** إلى ذلك أيضا، معتبرا أن النوافذ والأبواب تسمح في خلق التواصل الاجتماعي بين الجيران.[3]

من جهة أخرى فإن الدراسات حول مفهوم المسافة تشير إلى أن هناك قواعد تحكم إقامة العلاقات تعرف بقواعد التجاور (Les règles de proxémie) وهي قواعد ثقافية تحدد المسافة الفيزيائية

---

[1] ادوارد تي هول، مرجع سابق، ص 223.

[2] Marion Segaud. et autres (sous-direction), **Logement et l'habitat,** l'état des savoirs, La découverte, Paris, 1998,, p 347.

[3] سليماني جميلة، **دارسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي: الآليات النفسية والاجتماعية للمسكن**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 51.

المناسبة في إقامة العلاقات بين الأفراد، وتبين أن المسافة الفيزيائية ليست في حد ذاتها عاملا حاسما ولكن القواعد التي تحكمها حسب طبيعة العلاقة هي الأهم.[1]

II. عمارة بني مزاب

عمارة بني مزاب هي إرث لعمارة البحر الأبيض المتوسط، وقد تكيفت بطريقة ذكية مع مناخ الصحراء القاسي والذي يتميز بالحرارة المرتفعة من جهة، ومن جهة أخرى مع الظروف الاجتماعية والثقافية والدينية الخاصة بالمجتمع المزابي (مجتمع إباضي*).[2] وقد تميزت بـ:

1. **الخصوصية**: حيث حرص المزابي على المحافظة على حرمة مسكنه وذلك من خلال العديد من العناصر المعمارية المشكلة للمسكن فنجد:

- **المدخل**: عبارة عن رواق صغير ينتهي بحائط مقابل يضمن إنكسار الرؤية بزاوية 90 ^{0} (لمنع الغرباء والمارين في الشارع من رؤية ما داخل الدار أثناء فتح الباب خاصة النساء الصورة (08) يفضي المدخل إلى رواق يسمى "سقيفة" منه تنتقل الى وسط الدار الصورة (09).

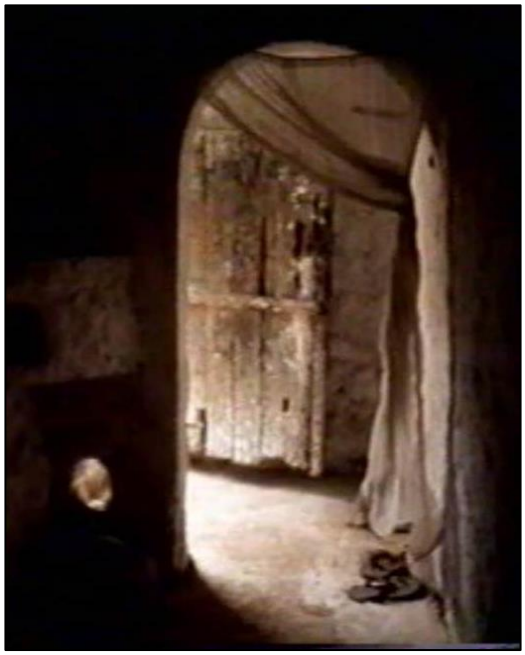
كما يتميز المدخل بـ "العتبة" وهي إرتفاع بسيط يشبه درجة السلم، وظيفتها حماية المسكن من دخول الأتربة الرملية، مياه الأمطار ومختلف الحشرات والزواحف المنتشرة في المناطق الصحراوية بالإضافة إلى أنها تمنع خروج الهواء البارد في أيام الصيف الحارة. كما نلاحظ في الصورة (10).

---

[1] سليمان بومدين، مرجع سابق، ص 49.

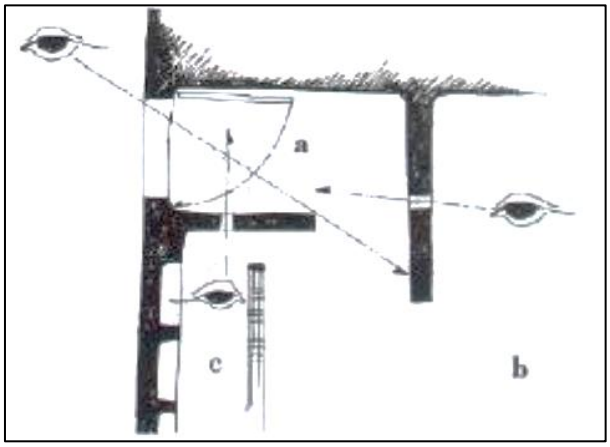
* الإباضية هي مذهب ترجع أصوله إلى حركة الخوارج التي بدأت خلال حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وقد أسسوا مدينة ورقلة في وسط شرق الجزائر في الصحراء في القرن 10م ثم تعرضوا للهجوم من قبل العرب السنة في القرن الـ11 فهربوا إلى غرداية حيث توجد واحات مزاب الخمسة في وسط الجزائر وأسسوا مدينتهم.

[2] André Ravéreau, Op, cit, p97



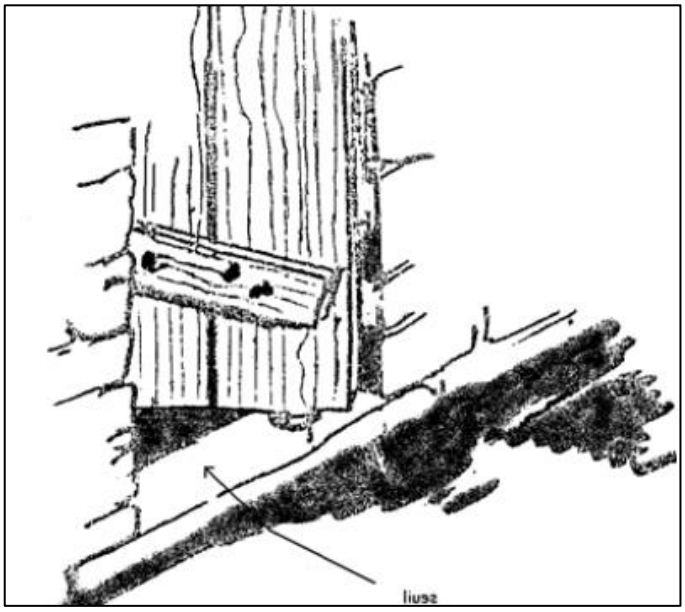
الصورة (09): مدخل مسكن بني مزاب من الداخل

المصدر: André Ravéreau, Op, cit, p 112



الصورة (08): رسم توضيحي لمجال الرؤية من خلال المدخل

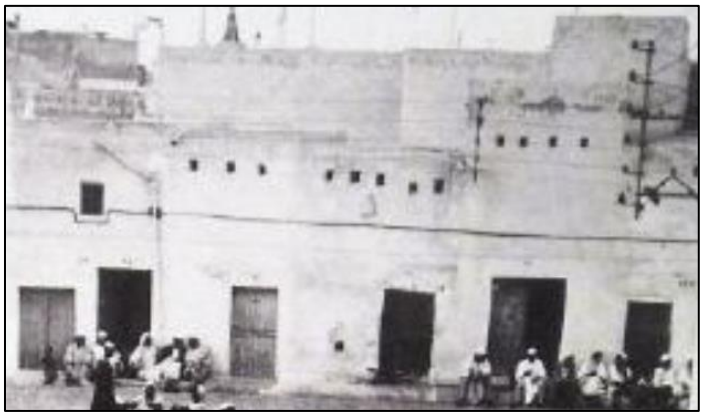
المصدر: Ibid, p 112



الصورة (10): رسم تخطيطي للعتبة

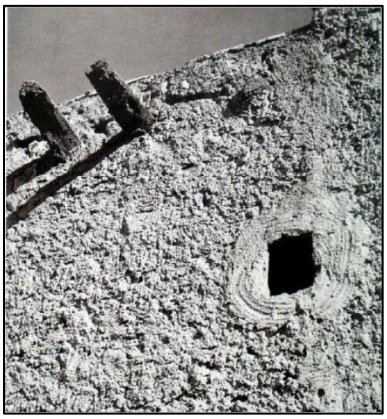
المصدر: Ibid, p 114

- **النوافذ الخارجية** النوافذ الخارجية عبارة عن فتحات صغيرة الحجم ومرتفعة عن مستوى الرؤية. من أجل خصوصية البيت من جهة، ومن جهة أخرى توفير الأمن، الصورة (11) والصورة (12).



الصورة (11): الجدار الخارجي لمساكن بني مزاب

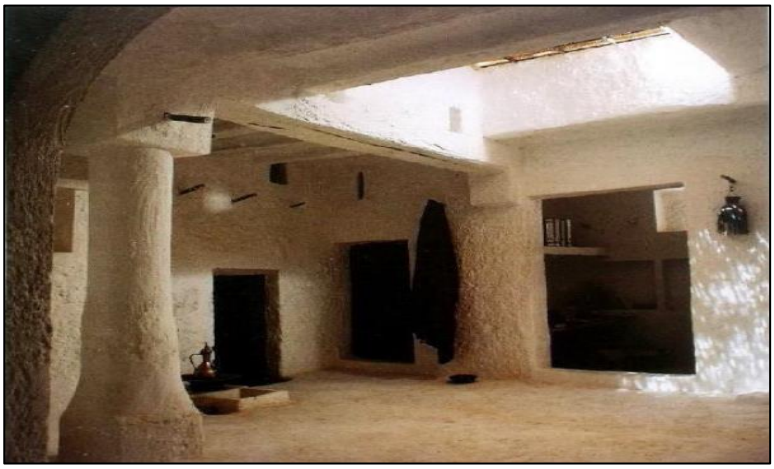
المصدر: Ibid, p137



الصورة (12): نافذة خارجية

المصدر: Ibid, p59

- **الفناء الداخلي:** أو ما يعرف بـ "وسط الدار"، حيث تأثرت هندسة منازل بني مزاب بمنازل التل المغربي، هندستها تقوم على مبدأ وجود فناء مفتوح للسماء يعتبر بديل عن العالم الخارجي، يتميز فناء عمارة بني مزاب عن غيره من الأفنية بتغطيته بشبكة حديدية على مستوى الطابق العلوي، يكون محاط من الجهة الداخلية برواق به أعمدة تفتح عليه الغرف الصورة (13).

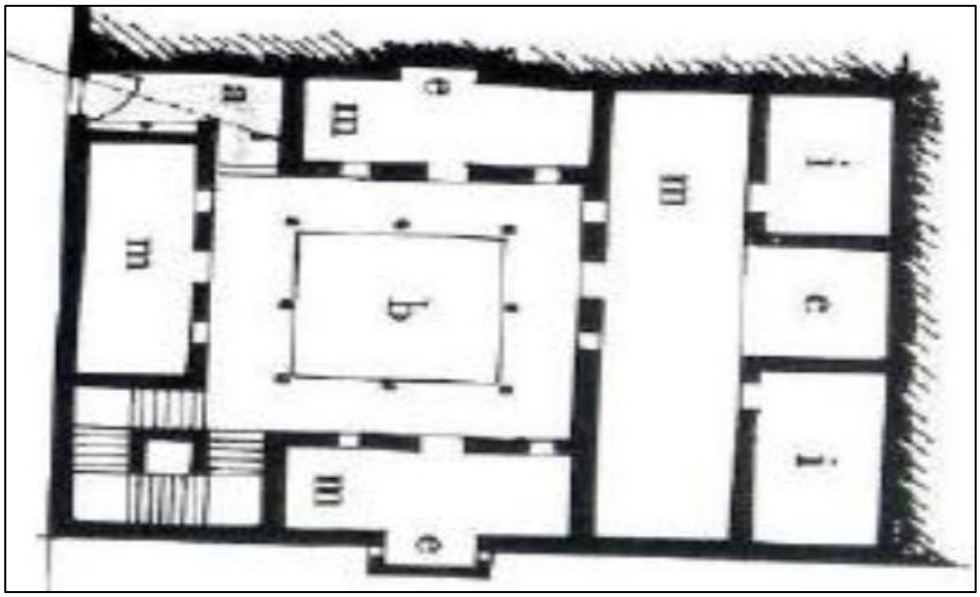


الصورة (13): الفناء الداخلي (وسط الدار) في المنزل المزابي

المصدر: Ibid, p 98

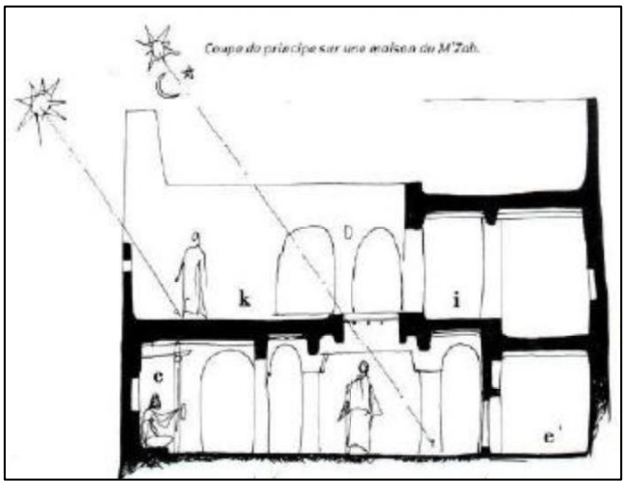
2. التكيف مع المناخ

- **الفناء الداخلي:** يستعمل الفناء الداخلي في عمارة بني مزاب من أجل تعديل الإضاءة والتهوية داخل المنزل وذلك من خلال تركيز الضوء والهواء فيه، ثم توزيعهما الى بقية الغرف من خلال نوافذها المطلة على الفناء الداخلي. كما في الصورة (14) والصورة (15).



الصورة (14): مخطط يبين وسط الدار لمسكن مزابي

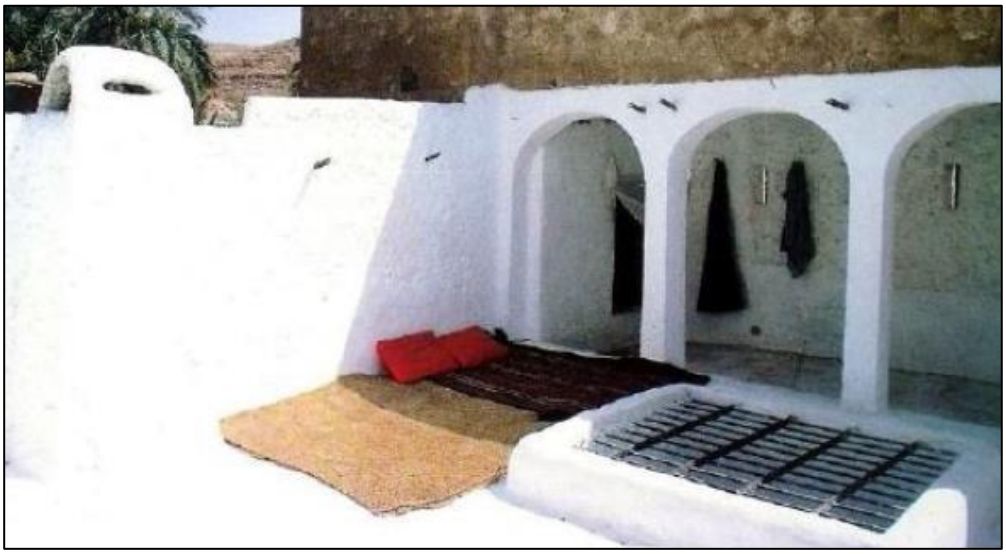
المصدر: Ibid, p 104



الصورة (15): مقطع توضيحي للإضاءة من خلال الفناء الداخلي في مسكن مزابي

المصدر: Ibid, p 103

في بعض الأحيان يتم إجراء تغيير للفناء من خلال تسقيف جزء منه وذلك من أجل توسيع السطح (التراس) لتبقى فتحة صغيرة تسمى الشباك 'Chebeq' وجعله سطح يستعمل للنوم في أيام الصيف الحارة، كما في الصورة (16).



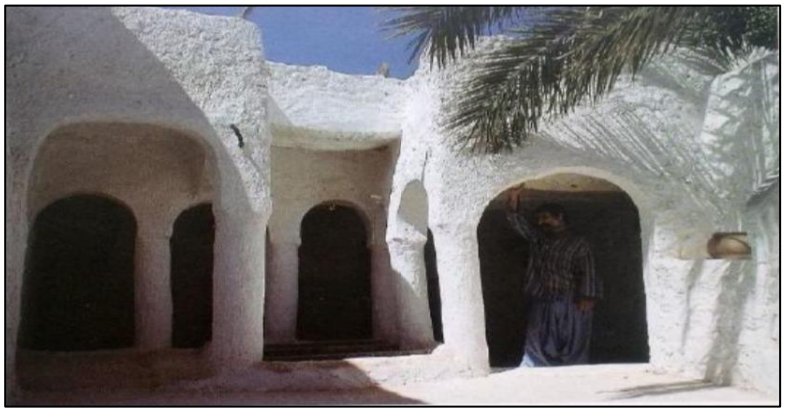
الصورة (16): الشباك في المنزل المزابي

المصدر: Ibid, p 110

- **<u>مواد البناء</u>**: تم إستخدام الموارد البيئية المتاحة محلياً (كالطوب، الخشب، أوراق النخيل ...)، لتلبية الإحتياجات المحلية في بناء المباني السكنية، وتساعد المواد المحلية في الإستفادة القصوى من الطاقة الطبيعية، والتقليل جدا من الحاجة إلى الطاقة الصناعية التي لم تكن أصلا متوفرة في ذلك الوقت، كما أن هذه المواد المحلية ليس لها تأثيرات سلبية على البيئة المحيطة، على العكس فهي توفر بيئة صحية ومريحة للساكنين.

- **<u>الإرتفاعات</u>**: يكون إرتفاع الفضاءات الداخلية منخفض محدود بطول قامة الإنسان كما في الصورة (17) وذلك لسببين، أولهما ضعف مقاومة وتحمل الجدران، وثانيهما من أجل توفير تهوية مناسبة

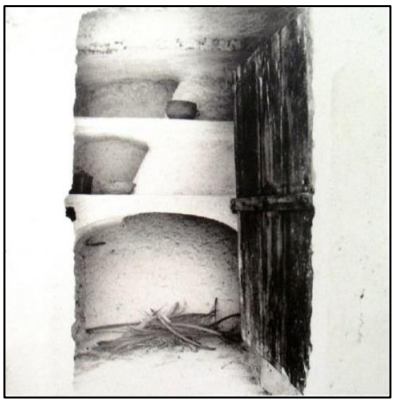
ففي المدن الصحراوية كلما إقتربنا من الأرض كلما كان الهواء أكثر برودة، لذلك نجد إنتشار إستخدام المائدة للأكل بدل الطاولة، والنوم على الأرض بدل السرير.



الصورة (17): إرتفاع المسكن بالنسبة لإرتفاع الإنسان

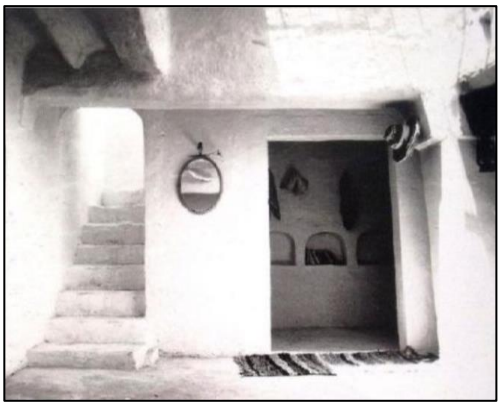
المصدر: Ibid, p 111

3. **<u>البساطة في طريقة العيش</u>:** تميزت بيوت بني مزاب ببساطة الفراغ الداخلي، فنجد أبعاد الغرف والفضاءات (الطول والعرض) متناسبة مع الإحتياجات البسيطة، كما أنها متناسبة مع الأثاث الداخلي البسيط وغير المتكلف، فالخزائن مثلا عبارة عن فتحات مبنية في الجدران الصورة (18) (19)، كما نجد شبه إنعدام للأشكال الزخرفية والتزيينية في البناء سواء من الداخل أو في الواجهات الخارجية.



الصورة (18): المطبخ المزابي

المصدر: Ibid, p 113

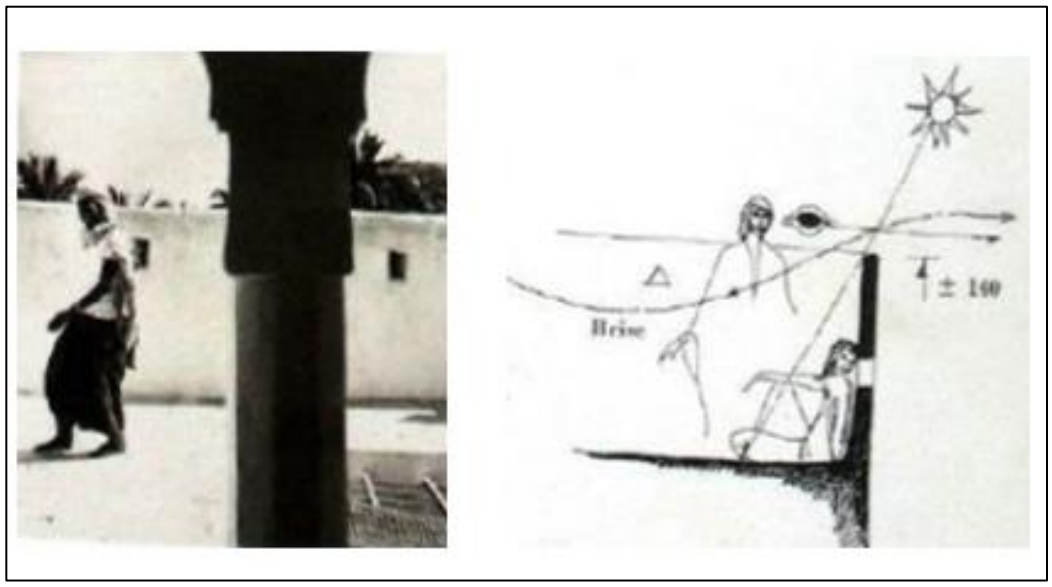


الصورة (19): غرفة الاستقبال في المسكن المزابي

المصدر: Ibid, p 106

4 الجيرة: علاقة الجيرة: تمتاز مساكن عمارة مدينة بني مزاب بـ:

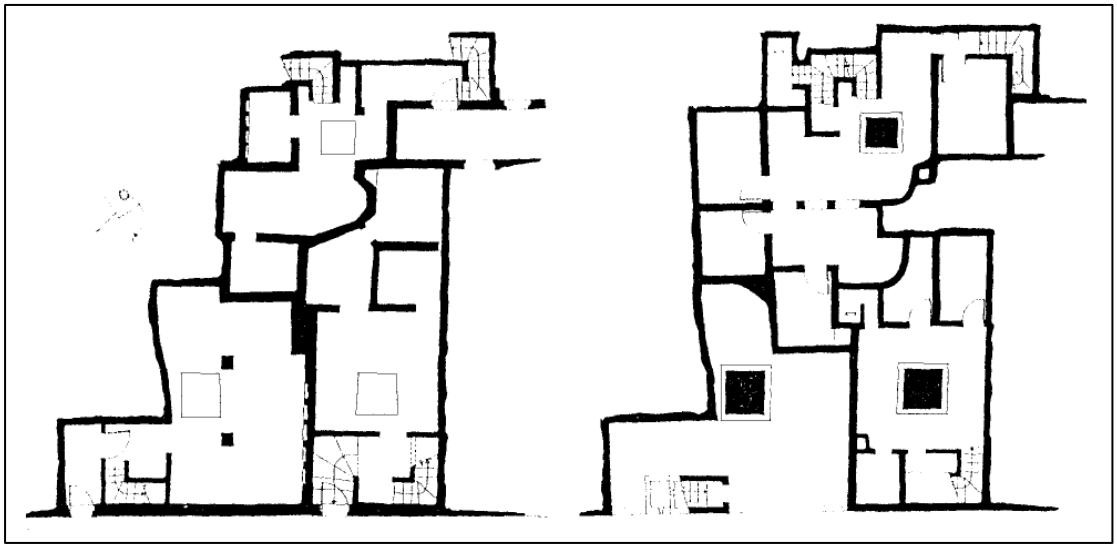
- بساطة وتشابه الواجهات الخارجة للمباني، وذلك لخلق نوع من التساوي وعدم التمييز بين أفراد المجتمع.
- تشابه مستويات البناء التي كانت في الغالب لا تفوق الطابق الأول، وذلك من أجل ضمان حرمة المنازل المتجاورة، فلا يمكن إختلاس النظر من سطح مسكن لآخر، ويبلغ إرتفاع جدار السطح حوالي 1.40م، ليسمح بمرور الأشعة الشمسية والهواء، بالرغم من أن هذا الإرتفاع لا يشكل عائق بصري بطريقة مباشرة ويسمح برؤية السطح من السطوح المجاورة، إلا أن له دلالة رمزية للتحذير من الرؤية، الصورة (20).



الصورة (20): رسم تخطيطي لمجال الرؤية من خلال جدار السطح

المصدر: André Ravéreau, Op, cit, p 48

- تجنب النوافذ والأبواب المتقابلة بين الجيران، لهدف احترام الآخر وخصوصياته.
- تراص الأبنية والتحامها وذلك من أجل التقليل من الشوارع والفراغات الخارجية، وذلك لهدف الحفاظ على خصوصية الأماكن، وتكون الجدران الخارجية للمنازل مشتركة بين الجيران كما نلاحظ في الصورة (21)، فمفهوم الملكية الخاصة ينطبق على الفضاء الداخلي للمنزل أكثر من الجدران الخارجية له.



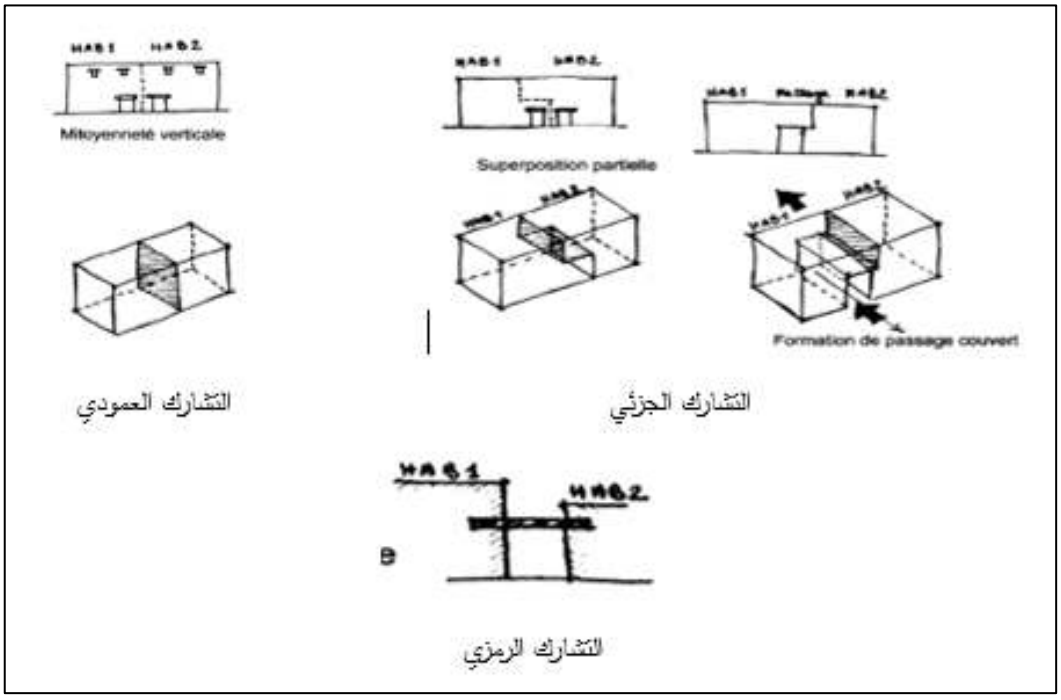
الصورة (21): تلاصق منازل بني مزاب (على اليسار الطابق الأرض، وعلى اليمين الطابق الأول)
المصدر: André Ravéreau, Op, cit, p 20.

التشارك لا يكون فقط بالجدران الخارجية، بل له ثلاث أشكال:[1]

- التشارك الجزئي: حيث يتشارك الجاران في جزء من المنزل يكون الطابق الأرضي لأحدهما والاطابق الأول للآخر كما في الشكل (00).

[1] André Ravéreau, Op, cit, p 20.

- التشارك العمودي: حيث يتشارك الجيران في الجدران الخارجة للمنازل، كما في الشكل (00).
- التشارك الرمزي: يتشارك الجاران المتقابلان عندما يفصل بينهما طريق في بناء جزء فوق الطريق له إستخدامات متعددة، ليشكل بذلك ممر مغطى يسمى "السقيفة" الصورة (22).



الصورة (22): أشكال التشارك في منازل بني مزاب
المصدر: L'habitat traditionnel de Menaâ, p 21.

يخصص الطابق الأرضي عادة للنساء في النهار، أما الطابق الأول الذي تكون به غرفة إستقبال الضيوف الخاصة بالرجال فيصعد إليه من مدخلين، الأول من سلم يقع في وسط الدار، يقع عادة بجانب غرفة حفظ المؤونة، أما الثاني فمن سلم داخل حجرة صغيرة مستقلة عن وسط الدار، حتى تجعل حركة الرجال ممكنة بين الخارج وغرفة الاستقبال دون تكشف على العنصر النسوي، وذلك للحفاظ على حرمة الدار.

III. العمارة القبائلية:

بالإستناد إلى دراسة بيار بورديو للمسكن القبائلي (كما ذكرنا في الدراسات السابقة)، فإن هذا الأخير يقوم على مجموعة من التقابلات التي تحكم تنظيمه الداخلي، وعلاقته بالعالم الخارجي.

1. الثنائية: ذكر /أنثى

المسكن عند القبائل هو المقر الشرفي للعائلة، والمرأة هي سيدته، فهو فضاءها الخاص بدورها الاجتماعي أما الرجل فمكانه خارج المنزل ولا يتواجد فيه (المنزل) في الغالب الا للأكل أو النوم. فهناك تشابه بين الثنائية رجل/إمرأة ومكونات هيكل المسكن، فالرجل يمثل رمزيا بالعمود الأساسي للمنزل "asalas alemmas" الذي وظيفته دعم وحماية المنزل من الخارج، لكن بمجرد عبور العتبة يصبح الفضاء مسؤولية المرأة، فالمرأة رمزيا تمثل بركائز المنزل "tagwejdit" ودورها دعم السقف (المنزل) الصورة (23)، وللقبائل مثل يعني في محتواه أن الرجل هو مصباح الخارج والمرأة هي مصباح المنزل.[1]



الصورة (23): هيكلية المنزل القبائلي (العمود والركائز)

المصدر: La maison traditionnelle kabyle axxam, publier le 20 avril 2014, http://quintessences.unblog.fr/2014/04/20/la-maison-traditionnelle-kabyle-axxam/

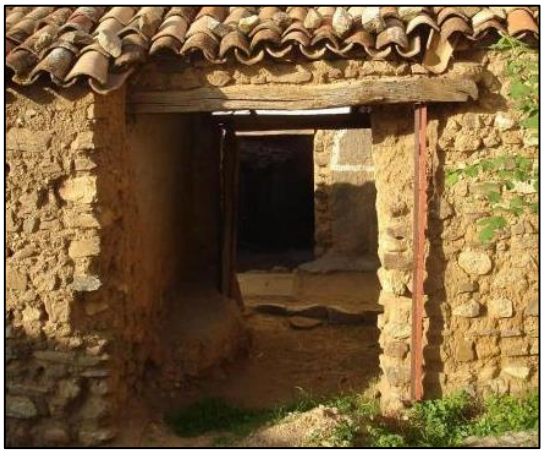
[1] Charly Guibbaud, **la maison kabyle élément structurant de la société kabyle**, centre de documentation historique sur l'Algérie, p 5.

2. الثنائية: خارج /داخل

تبنى المنازل بشكل جماعي حيث تشترك في الفناء الداخلي أو بشكل فردي ويسمى أخام axxam.[1] وتعتبر العتبة وتسمى "امنار" amnar أو "تيبورت" tebburt الحد الفاصل بين العالم الخارجي والفضاء الداخلي الذي يمثل شرف العائلة، ولا يمكن تجاوزها دون إستئذان لما لهذا الفضاء من حرمة فالحرمة مبدأ أساسي في حياتهم (القبائل)، الرجال الغرباء عادة لا يدخلون المنزل بل يستقبلهم رب العائلة في الخارج في مكان مخصص مجهز بمقعد يسمى "سرير" srir او "اغونز" aguns. يكون إما في جهة الواجهة كما في الصورة (24)، أو عند المدخل الذي يكون على شكل ممر مغطى بسقف، كما في الصورة (25)، تكون العتبة مرتفعة بالنسبة لمستوى المنزل، وهي في المخيال الشعبي المكان الذي يأوي كائنات فوق طبيعية تحمي المنزل، لذا لا يجب الجلوس فيها وإدارة الظهر لداخل المنزل.[2]



الصورة (24): مكان استقبال الرجال عند الواجهة



الصورة (25): مكان استقبال الرجال عند المدخل

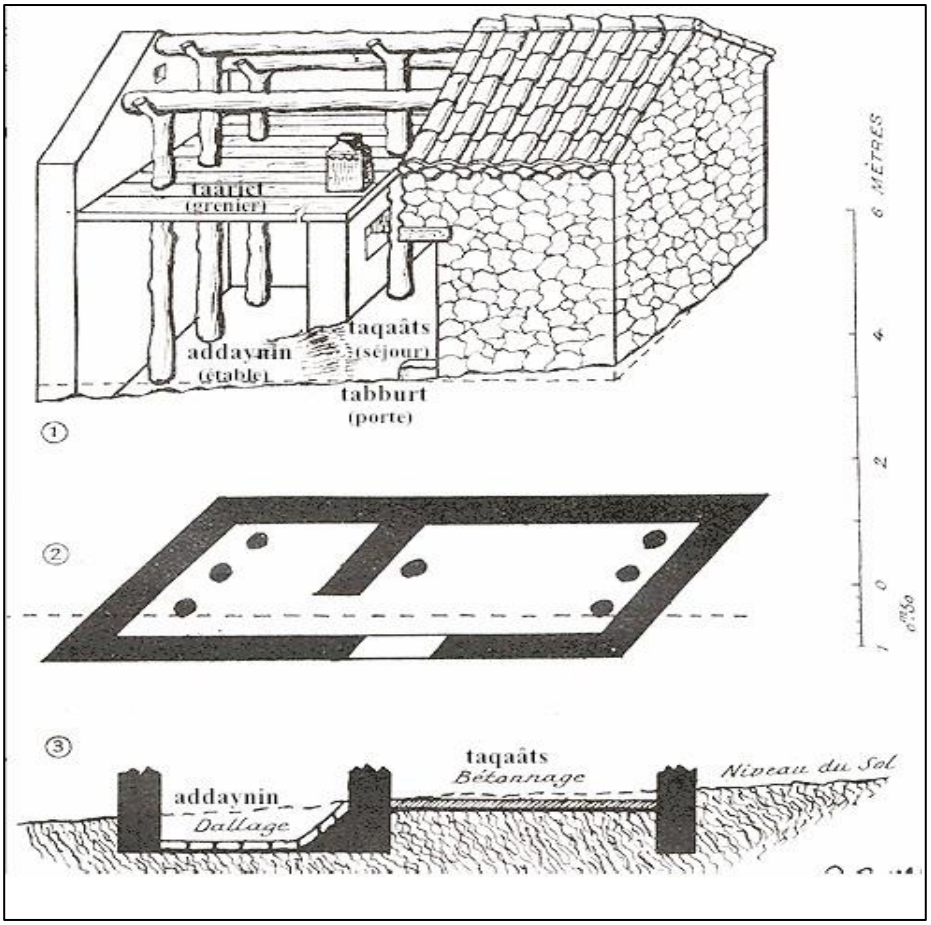
المصدر: Maison de compagne en Kabylie : Publié le 17/11/2007 à 12:00 par agoumatine http://www.maison-de-campagne.name/maison-de-campagne-en-kabylie/

[1] Ramon Basagana, Ali sayad, **habitat traditionnel et structures familiales en Kabylie**, mémoires du centre de recherches anthropologiques préhistoires et ethnographiques, Alger, 1974, p 18.

[2] Charly Guibbaud, Op, cit, p 11.

3. الثنائية أعلى/ أسفل – جاف/رطب – نور/عتمة

يقسم المنزل القبائلي حسب الوظيفة إلى ثلاثة أقسام: تاكات، أداينين، تاريكت، لكل قسم إسم شكل ووظيفة خاصة به كما يوضح الصورة (26)، القسم الأعلى الجاف المضيئ يتمثل في أداينين وتاكات. "أداينين" الذي تقام به أعمال النهار فهو مكان النار (الموقد والطبخ)، والبندقية التي ترتبط بالشرف، كما أنه مكان المنسج الذي يرمز لكل أنواع الحماية للمرأة، و"تاكات" الخاص بالوظائف الطبيعية كالنوم الجنس الإنجاب وحتى الموت، بالمقابل نجد جزء أسفل، رطب (يحوي جرار الماء)، معتم، يحوي على إسطبل الحيوانات

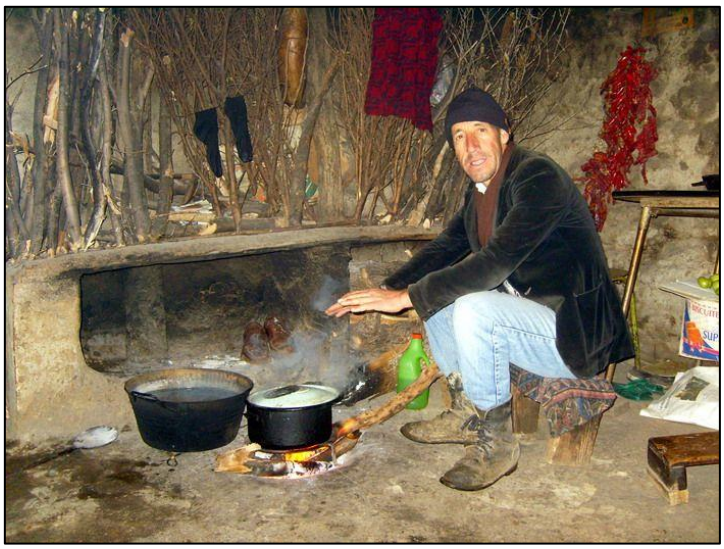


الصورة (26): تقسيم الفضاء الداخلي في المنزل القبائلي

المصدر: Charly Guibbaud, Op, cit, p6.

- **تـاكات Taqaat**: تقدر مساحته بالتقريب بثلثي المساحة الكلية للمنزل، مخصص لأفراد العائلة يرتفع بحوالي 40 سنتيمتر عن الجزء الباقي من المنزل، ويرتبط مباشرة بالمدخل، هذا الجزء مخصص لأهم الوظائف الحياتية التي يقوم بها الإنسان مثل الولادة، الموت، الاكل والإنجاب... الخ،[1] أهم مكونات هذا الجزء:

  - **الكانون El kanoun**: (المطبخ) وهو عبارة عن تجويف في الأرض بعمق 15 سنتمتر، وقطر 20 سنتمتر، كما في الصورة (27)، يتموضع في وسط الغرفة أو بالقرب من الجدار المقابل للجزء الخاص بالحيوانات 'addaynin' وحوله يوضع ثلاث أحجار بشكل مثلث لدعم أوعية طهي الطعام.[2] يعتبر أهم جزء في المنزل لأن حوله يلتف أفراد العائلة للأكل وتجاذب أطراف الحديث والتسامر والدفئ في أيام الشتاء الباردة.



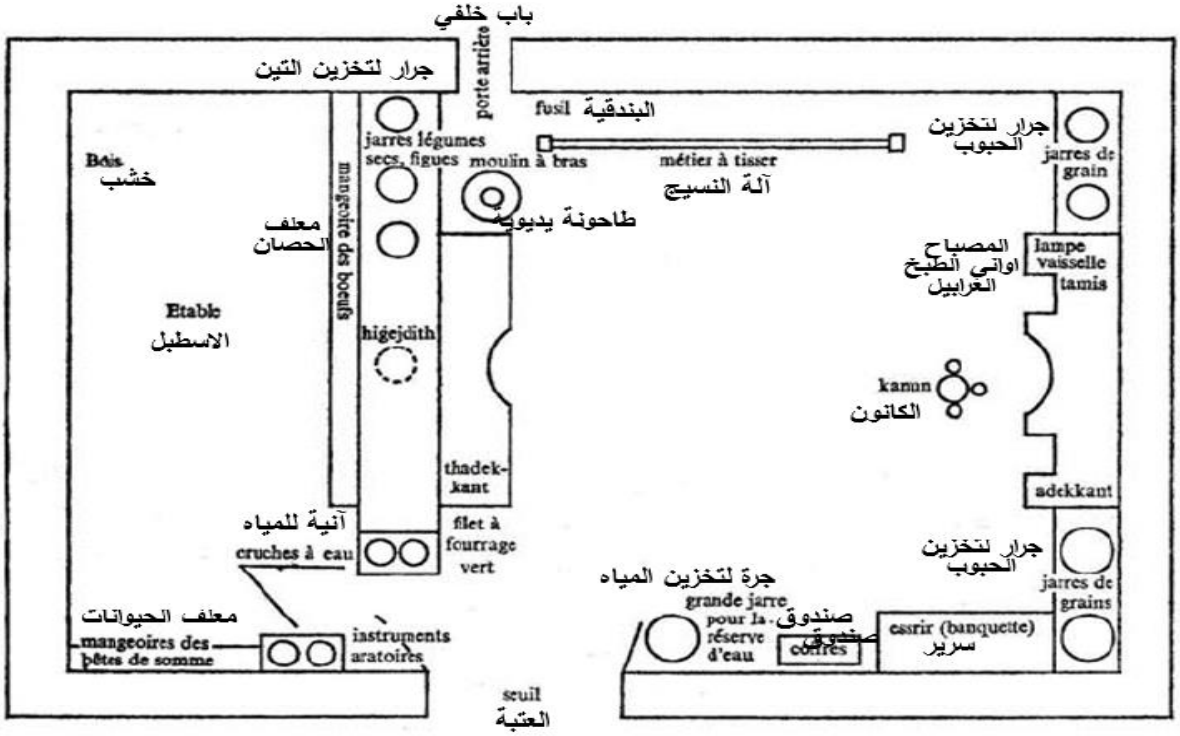
الصورة (27): المطبخ (الكانون) في المنزل القبائلي

المصدر: Maison de compagne en Kabylie, Op, cit

[1] Ramon Basagana, Ali sayad, Op, cit, p 21.
[2] Charly Guibbaud, Op, cit, p 7.

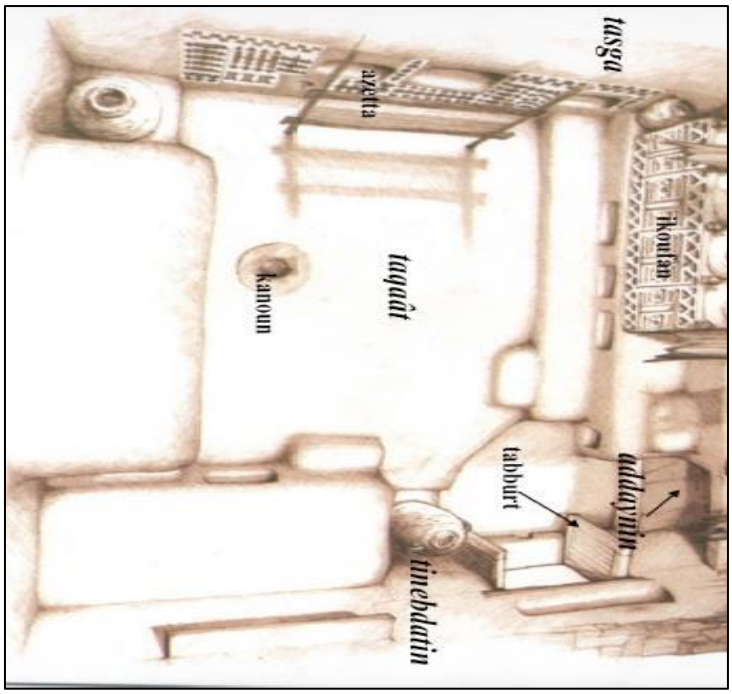
- **جدار تاسقا Tasga**: الجدار المضاء، هو الجدار المقابل للمدخل، ويتميز بكونه المكان الأكثر إضاءة في الغرفة، فيه نجد آلة النسيج ازيتا Azetta، وبمقابله تعلق البندقية الخاصة برب الأسرة، كما أنه المكان المخصص لولادة النساء، وكباقي المجتمع الجزائري فإن المجتمع القبائلي يفرح بولادة طفل ذكر، يقول المثل الشعبي القبائلي بمعنى "عند ولادة طفل ذكر فحتى جدار تاسقا يفرح".[1] ويعتبر تواجد آلة النسيج في المنزل القبائلي مهم، فهي في المخيال الشعبي تمثل وسيلة حماية من الشرور الخفية، فمنذ لحظة تثبيت ركائزها تأتي الملائكة لحراسة المنزل وافراده، كما أن القوى الشريرة لا تستطيع الاقتراب من مكان تتواجد فيه. كما أن حرفة النسيج في حد ذاتها تعطي للمرأة التي تمتهنها مكانة اجتماعية مرتفعة، يقول المثل الشعبي القبائلي فيما معناه: المرأة التي تصنع الصوف أصابعها تزهر.[2]
- **جدار تينبداتين Tinebdatin**: جدار الظلام، وهو الجدار الأكثر ظلمة في الغرفة، ويكون مقابل لجدار تاسقا، يخصص لتعليق الافرشة والاغطية المستعملة في الليل، يرتبط هذا الجدار بالاحداث المحزنة عكس جدار تاسقا، كما أنه المكان المخصص لغسل الميت قبل دفنه، يقول المثل الشعبي القبائلي: "عندما يموت شخص من المنزل فإن جدار تينبداتين يبكي"[3]

[1] Charly Guibbaud, Op, cit,, p 7.
[2] Ibid, p 10.
[3] Ibid, p 7.



الصورة (28): رسم تخطيطي للمنزل القبائلي (تعديل الباحث)

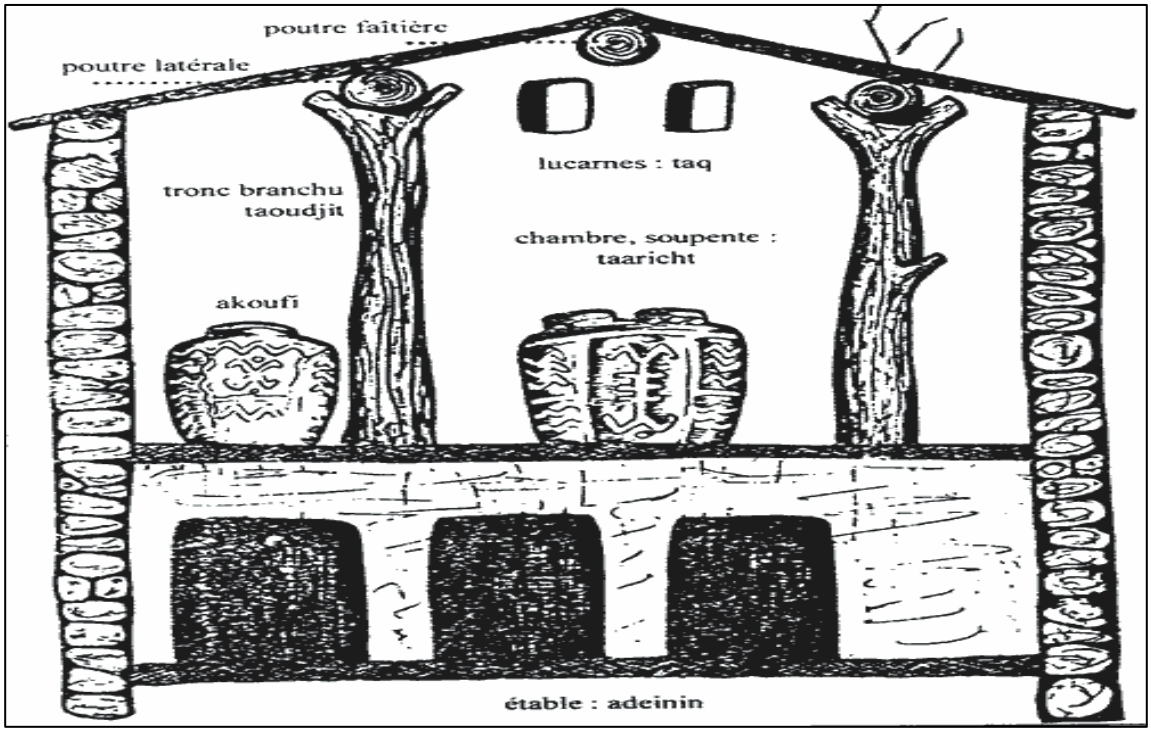
المصدر: Pierre bourdieu, **la maison kabyle ou le monde renversé**, Op, cit, p 740.



الصورة (29): رسم تخطيطي لمكونات غرفة المعيشة في النزل القبائلي

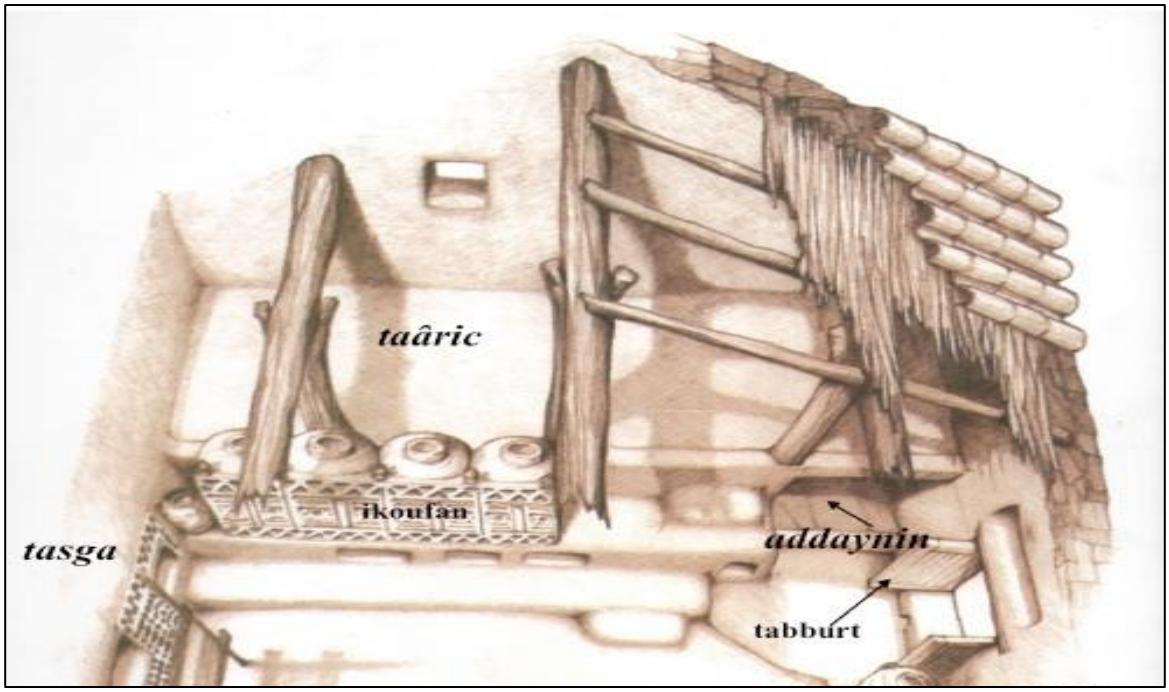
المصدر: Charly Guibbaud, Op, cit, p 8.

- **أداينين Addaynin**: مساحته تمثل ثلث مساحة المنزل، وهو المكان المخصص لمبيت الحيوانات التي تملكها العائلة، ما عدا الحمار الذي يبقى فالخارج. تتميز بمسستوى منخفض بحوالي 40 سنتمتر بالنسبة لباقي المنزل. وتشترك مع الجزء الخاص بالعائلة في المدخل الخارجي. سقفه المنخفض يشكل أرضية للجزء الثالث المسمى تاريك.
- **تاريكت Taarict**: هو المكان المخصص لحفظ المؤونة الغذائية التي تخزن في جرار كبيرة تصنع من الطين تسمى ايكوفان Ikoufan، كما أنه مكان نوم الأبناء.



الصورة (30): رسم تخطيطي لـ "اداينين" في المنزل القبائلي

المصدر: Charly Guibbaud, Op, cit, p 8.



الصورة (31): رسم تخطيطي لـ "تاريكت" في النزل القبائلي

المصدر: Ibid, p 8.

الخلاصة

لطالما كانت العمارة التقليدية في الجزائر أحد أهم العناصر التي تشكل الهوية اثقافية، وإنعكاس للثقافة السائدة في المجتمع، فقد كانت تلبي مختلف إحتياجات ساكنيها الذين كانوا هم مهندسيها، فهي خير مثال على قدرة الإنسان على تكيفه مع محيطه.

لذا وجب الحفاظ على هذه العمارة التقليدية بإعتبارها تراث عمراني، والإستفادة منه بالإستلهام منه، ولا نقصد بالإستلهام هنا نقل الأشكال والعناصر المعمارية خاصتها نقلا صريحا، أو تحويرها بما يتلاءم مع متطلبات البناء المعاصر، ولكن إستلهام مضمون وجوهر هذه العناصر بالقدر ذاته، وبالتالي إحياء روح وفلسفة هذا التراث العمراني.

ومهمة الحفاظ على التراث العمراني ليست مسؤولية مقتصرة على المؤسسات الحكومية كالبلديات أو وزارة السياحة والآثار فقط، بل هي مسؤولية جميع المتدخلين من مهندسين ومعماريين وخبراء، وحتى الساكنين أيضا، فالتراث العمراني ملك للجميع ولا بد أن يكون للجميع دور في حمايته.

الفصل الثالث

واقـع عمـارة المـسكن

في الجـزائر

تمهيد

من أجل فهم ظاهرة عمارة المسكن في الجزائر، سنقدم في هذا الفصل دراسة لواقع العمارة والسكن في الجزائر وذلك من خلال عرض نبذة تاريخية لتطور العمارة في الجزائر عبر مختلف العصور، ثم التطرق إلى موضوع السكن والسياسات الإسكانية المنتهجة في الجزائر بعد مرحلة الإستقلال، ثم عرض مختلف أنواع السكنات الموجودة في الجزائر.

أولا: التطور التاريخي للعمارة في الجزائر

الجزائر بلد متعدد الثقافات، وذلك نتيجة لتعاقب العديد من الحضارات عليها كالحضارة الرومانية، الحضارة الإسلامية والحضارة العثمانية ..إلخ، والتي خلفت وراءها الكثير من المباني والشواهد المعمارية لليوم، بالإضافة إلى خضوعها للإستعمار الفرنسي لفترة طويلة، كل هذا ساهم في تنوع أنماطها المعمارية. وفيما يلي سنتطرق الى أهم مراحل التطور التاريخي للعمارة:

1. عمارة ما قبل العهد العثماني

1.1 المرحلة البربرية: كان يقطن بشمال إفريقيا سكان محليين يعيشون في عزلة تامة عن العالم الخارجي، وقد عرفوا فيما بعد بالبربر، لم يحتفظ لهم التاريخ بآثار عن مدن معينة ماعدا بعض القرى الجبلية والحصون بإعتبار أنها كانت مجتمعات ريفية قبلية بالأساس.[1]

1.2 المرحلة البيزنطية: (من 480 ق م إلى 145 م): قيام دولة قرطاج وإمتزاج البربر مع القرطاجيين وتأثرهم إجتماعيا وحضاريا، فأخذوا عنهم كل التعاليم المدنية التي جاؤوا بها.[2]

1.3 المرحلة الرومانية: بعد سقوط قرطاج سنة 145 م على يد الرومان، بدأت مرحلة جديدة و معها حضارة جديدة، دام هذا الاحتلال نحو ستة قرون (576 سنة). [3] وطوال هذه المرحلة الرومانية تأسست شبكة جديدة من المدن على أنقاض سابقاتها، مدن ذات تخطيط روماني تميزت بتعدد

---

[1] Mahcen Ruissi, **population et société au Maghreb**, OPU, Tunisie, 1983, p 06.

[2] المدني أحمد توفيق، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي. الجزائر**، المؤسسية الوطنية للكتاب، 1986، ص 34.

[3] نفس المرجع، ص 93-98.

مرافقها الاجتماعية والدينية التي لازالت آثارها باقية لليوم أهمها: المعابد كمعبد تيمقاد وشرشال وتيبازة، المسارح كجميلة وقالمة وتيبازة، معاصر الزيتون، المطاحن ..إلخ

1.4 **المرحلة الوندالية:** قامت حضارتها على أنقاض الحضارة الرومانية، وقد تميزت عمارتها بالصبغة العسكرية.

1.5 **مرحلة دخول العرب الفاتحين (المرحلة الإسلامية):** حيث عرفت مفهوم جديد لدور المدينة والحياة الحضرية، وظهرت المدن العربية الإسلامية التي بنيت حسب الفكر الإسلامي وما جاء به هذا الدين من قيم ومبادئ وقد كثرت وتطورت هذه المدن بتعاقب الدويلات الإسلامية على الحكم في الجزائر، من أهم هذه الدويلات: الدولة الرستمية، الدولة الصنهاجية، الدولة الحمادية، دولة المرابطين، دولة الموحدين، دولة الزيانيين ... وآخرها الدولة العثمانية التي دخلت الجزائر في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي.

كانت البيئة من أهم عوامل التصميم في العمارة الإسلامية، بالإضافة إلى العوامل الإجتماعية والثقافية التي من أهمها عدم ظهور المرأة للعالم الخارجي، هذه العوامل هي التي أملت كثيرا من أساليب بناء المنشآت المعمارية، فالمنازل على الخصوص كانت تمتاز بالأبواب الواسعة والغرف الفسيحة والأرضية الرخامية والردهة والباحة التي تنصب فيها في العادة فوارة، وهذا ما يليق بالطقس الحار، كما أن الغيرة على المرأة وفكرة الحريم قد أدت الى قلة النوافذ في المنازل وندرة الشرفات التي قد تطل على الشوارع والمحلات العامة، وغالبا ما تفتح النوافذ اذا وجدت من الداخل، أما من الخارج فلا تفتح إلا في الحفلات ونحوها.[1]

[1] عبد الله سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 447.

عموما وحسب أغلب الكتابات، فإنه يمكن حصر عمارة ما قبل 1830 في الجزائر في نموذجين حضاريين أساسيين هما: النموذج الحضاري الروماني، والنموذج الحضاري الإسلامي.

2. العمارة في العهد العثماني(*)

تمثلت العمارة العثمانية أساسا في المساجد ونحوها (الزوايا، قباب) والقلاع والجسور والثكنات والدور والقصور. إن أهم ما يميز المسجد: الصومعة، المحراب، المنبر والعرصات، وكانت الزرابي التي تفرش بها بعض المساجد من النوع الجيد، كما أن بعض المساجد مبنية بالرخام والزليج المجلوب من الخارج (خاصة تونس وإيطاليا)، ويضاف الى ذلك الثريات الجميلة وقناديل الزيت والشموع في المناسبات الدينية، أما في القصور فقد إستعملوا أيضا النقوش الرشيقة والحدائق والمياه وتماثيل الحيوانات والفوارات، بالإضافة الى جلب المواد المرمرية الملونة والتفنن في الأشكال الهندسية. وقد إستمد البناة طريقتهم في البناء من حضارتهم القديمة التي شاعت أيام الأغالبة والحفصيين والزيانيين، كما إستمدوها من حضارة الأندلس فقد هاجر الأندلسيون أنفسهم إلى الجزائر وجلبوا معهم البنائين والمهندسين فكان تأثيرهم عظيما ولا سيما في القلاع والقصور.[2] وقد إستخدموا مواد بناء واقية من الرطوبة والحرارة، فكانوا يمزجون رماد الخشب والجير والرمل ويخلطونها ثم يرشون عليها الزيت والماء في فترات معينة، فتأتي من ذلك مادة بنائية جيدة تستعمل للأقواس والسقوف ونحوها من الأماكن التي يخشى منها تسرب الرطوبة وتقلبات الطقس.

---

* أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الى ندرة الأعمال والكتابات التي تتحدث عن العمارة في الجزائر في الفترة العثمانية، حيث أشار الى وجود فقط بعض الكتابات التي تكتفي بالتاريخ ووصف البناء خاصة المساجد والأضرحة والقصور، وصفا أدبيا.

[2] عبد الله سعد الله، مرجع سابق، ص 446 –448

إنتشرت عند الحضر وأثرياء المدن والموظفين السامين وبعض رجال العلم عادة بناء الأحواش في بساتينهم التي يملكونها خارج المدينة، وكانوا يزينونها بأنواع الأسلحة الثمينة وبعض الآلات الموسيقية والزرابي الرفيعة وجلود الحيوانات النادرة والتحف الفضية والذهبية والساعات.[1] أما الحصون والقلاع فقد كان يراعى فيها جانب الصلابة والمقاومة أكثر من الجانب الجمالي لأنها بنايات ذات طابع أمني.

كان التفنن في الخط والكتابة من وسائل التعبير الجمالي في المنشآت العمرانية العثمانية، في الوقت الذي غاب فيه التصوير، وقد كانت الكتابة على جدران وأبواب المساجد ومحاريبها، وكذلك القصور، كانت تجمع بين فن الخط الذي تعددت أنواعه والنحت.

3. العمارة في العهد الكولونيالي: (1830-1930)

نميز صنفين من العمارة في الجزائر في عهد الإستعمار الفرنسي:

- **عمارة بناها الجزائريون:** تميزت بالبساطة والتواضع، حيث كانت المساكن الفردية لا تتوفر في الغالب على ضروريات الحياة كشبكات الكهرباء والماء والغاز وشبكات التصريف، هذا في ما يخص السكن في المدن، أما في الأرياف فقد كانت المساكن رديئة جدا من الجانب المعماري والصحي وحتى الجمالي، وتفتقر حتى لأبسط مقومات المسكن اللائق نظرا للظروف المعيشية والصحية السيئة التي كان يعيشها المجتمع الجزائري.
- **عمارة بناها الإستعمار:** بعد أن بسط الإستعمار الفرنسي نفوذه على معظم الأقاليم والمدن الجزائرية وجد أن الشبكة الحضرية الموجودة لا تناسب إسترتيجياته، فمعظم السكان كانوا يعيشون

[1] عبد الله سعد الله ، مرجع سابق، ص 448.

نمط الحياة الريفية القبلية، فبدأت السلطات الفرنسية بإعادة تشكيل شبكة حضرية جديدة بالإعتماد على القديم منها وبإنشاء مراكز حضرية جديدة بشكل يساعدها في تحقيق فـكرة الإستيطان وإستغــلال الثروات خاصة الاقتـصادية منها، وقد شكلت نمطا معماريا متميزا من الناحية الوظيفية والجمالية، وقد تمثلت أغلبها في عمارة المنشآت العسكرية كالثكنات، المحتشدات والسجون، بالإضافة الى المنشآت المدنية وهي المؤسسات التي تخدم مصالحها كالإدارات والمدارس الفرنسية.

ومع بداية القرن العشرين إنتقلت السلطة الإدارية من سلطة الجيش الفرنسي إلى السلطة المدنية فظهرت أولى أشكال وأدوات التهيئة والتعمير في الجزائر، والتي كانت نسخ لما يظهر ويطبق في فرنسا، فمع نهاية الخمسينات ظهر بفرنسا أدوات قانونية في مجال التعمير لمواجهة متطلبات الحياة الحضرية وحاجيات السكان ونمو الإقتصاد وهو ما تطلب توسعات عمرانية بالإعتماد على المعايير التي تستجيب لنموذج المدينة الوظيفية المحدد في إطار ميثاق أثينا، وأحدث هذا التوجه الجديد بفرنسا الصدى بمستعمراتها وخاصة منها الجزائر، وظهر ما أصطلح عليه بـ "مخطط قسنطينة" المشهور المعلن عنه من قبل الرئيس ديغول حيث برمج إنشاء 1000 قرية جديدة في الجزائر، وكان مخطط قسنطينة المرجع الأساسي لظهور أدوات تهيئة وتعمير جديدة في الجزائر آنذاك تواصل العمل بها حتى بعد الإستقلال.[1] وكان لها الأثر الكبير في كل سياسات التعمير التي جاءت بعدها، بل إنها أصبحت مرجعيات أساسية برغم كل ما تحمله من مبادئ

[1] فريد بوبيش، **واقع التنمية العمرانية المستديمة في الجزائر**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع البيئة، جامعة بسكرة، 2019/01/24، ص 126.

ومعايير لا تناسب المجتمع الجزائري. فالعمران الذي أقامه المستعمر الفرنسي كان ذا طابع إستعماري بحت، بمعنى أنه كان يهدف بالدرجة الأولى إلى الإستيطان وإستغلال الثروات ووضعها في خدمته. وقد إستمر التأثير الكولونيالي في مجال العمارة والعمران في الجزائر لما بعد الإستقلال حيث يتضح ذلك من خلال هيمنة النسيج الحضري الأوروبي في أغلب المدن الجزائرية.

4. العمارة في العهد ما بعد الكولونيالي (1930-1962)

بينت الدراسات في مختلف المجالات المتعلقة بالعمارة، أن المدينة العربية بشكل عام والمدينة الجزائرية على وجه الخصوص قد تعرضت لتحديات معمارية كبرى في السنوات الأخيرة تتلخص فيما يلي:

- خلال القرن العشرين، و بظهور مجموعة من الإكتشافات في مجال البناء كالحديد والصلب والخرسانة المسلحة والزجاج ... وإستخدامها كمواد أساسية للبناء، بالإضافة الى ظهور ما يسمى بالعولمة ساعد ذلك في ظهور اتجاه فلسفي معماري عالمي حاول فيه رواد العمارة الحديثة نبذ كل ما له علاقة بالماضي والتنصل منه والسعي الى تحقيق رؤى مبتكرة تتماشي وروح العصر الجديد في تلك الفترة من خلال "الطراز المعماري العالمي" الذي انتشر على نطاق واسع على حساب الطراز المحلي الذي بدأ في الاختفاء تدريجيا، مما تسبب في تجريد أعمالهم المعمارية من كثير من أبعادها التاريخية والثقافية والبيئية والاجتماعية العريقة، وتحميل هذه الأعمال مفاهيم ودلالات رمزية جديدة بعيدة كل البعد عن ثقافة المجتمعات المحلية.

فالعمارة كمركز للبيئة المحيطة والمكان أصبحت انعكاسا لإنجازات صناعية ورؤى ثابتة أنتجت نمطا معماريا مجردا يستجيب للاحتياجات العامة دون الخاصة ويستند إلى ميول" عقلانية "ووظيفة بحتة.[1]

- كما نجد أن الأسباب التاريخية والتي تتمثل في الحركات الاستعمارية التي مرت على هذه المنطقة لها الأثر الكبير، ففي العهد العثماني لم تعرف المدينة بالمعنى الحديث، ما عدا حواضر قليلة. وفي العهد الفرنسي صارت المدن محل اهتمام الاستعمار الذي حاول أن يجعل منها امتداداً لما كان يسمى بالوطن الأم.
- كذلك أدى التطور العمراني الكبير والنمو الديمغرافي السريع الذي شهدته الجزائر في السنوات الأخيرة الى الاستغناء عن السياسات التعميرية والاكتفاء بعمليات إسكان غير مدروسة للسكان من جهة، وبذلك تم انشاء مشاريع عمرانية جديدة أسقط منها عامل الجودة بسبب الحاجة الملحة للسكن، كما أصبحت أطراف المدن الكبرى عبارة عن حزام من السكنات القصديرية الهشة والفوضوية الناجمة عن النزوح الريفي.

ومن جهة أخرى نجد أن إستعانة الدولة بالخبرة الأجنبية البعيدة عن الواقع الجزائري في إنشاء المشاريع والمخططات العمرانية قد أنتجت عمارة مجسدة لأفكار غربية تفتقد للبعد الثقافي والاجتماعي المحلي للمجتمع الجزائري.

[1] جمال الهمالي اللافي: **حول النمط المعماري والهوية المعمارية**،
http://mirathlibya.blogspot.com/2010/08/blog-post.html

وكذلك إنتشار المشاريع المعمارية الإقتصادية التي تشيد على نظام الوحدات القياسية المكررة أو "الموديل" التي ساهمت كثيرا في إختفاء العمارة المحلية.[1]

أنتجت هذه الأسباب الكثير من الفوضى والضياع في المدينة الجزائرية، وأصبحت بذلك تشكل مزيج من التشكيلات العمرانية والمعمارية المتنافرة وغير المتجانسة والبعيدة كل البعد عن بيئتنا وقيمنا الاجتماعية والثقافية، وبذلك أدت الى فقدان هويتها المعمارية.

ثانيا: سياسات الإسكان

كان ديوان الترقية و التسيير العقار OPGI يسمى سابقا "ديوان السكن للكراء المعتدل" وهي هيئة موروثة عن المستعمر الفرنسي, و قد إزداد دوره الوظيفي بفضل التنظيم الإقتصادي الجديد وخاصة بعد ظهور أزمة السكن وبذلك اصبح يسمى ديوان الترقية و التسيير العقاري بعد صدور القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 11 جوان 1985 المتضمن التنظيم الداخلي لدواوين الترقية و التسيير العقاري في الولاية 08/93 وهو يخضع لقوانين و قد أشرف على إنجاز مشاريع هذه الهيئة عدة مكاتب دراسات عمومية و خاصة، ساهمت في إنجاز المخططات ومتابعة الاشغال حيث قامت بإنجاز عدة مساكن جماعية تتوزع عبر البرامج التالية:

[1] فريد محمود شافعي، **العمارة العربية الإسلامية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها**، جامعة الملك سعود للنشر، ط2، 1982، ص 95

1. برنامج السكن العمومي الإيجاري LPL

كان يعرف سابقا بالسكن الاجتماعي, ظهرت سياسته في الفترة ما بين 1962 و 1977 كوسيلة لتلبية الحاجيات الضرورية للسكان آنذاك، وهو ممول من طرف الدولة بواسطة الخزينة العمومية وفقا لميزانية تحدد حسب المشروع لكنه أصبح في الوقت الراهن موجها فقط للفئة التي تسكن البيوت القصديرية أو تلك التي تعرضت منازلها للتخريب لحدوث كوارث طبيعية أو غيرها، كما يجب ألا يتجاوز دخل الأسرة المستفيدة من هذه الصيغة من السكن متوسط الدخل الفردي الوطني المقدر ب 24000 دج، وقد إستفادت تبسة كغيرها من المدن الجزائرية من هذا النوع من المساكن.

2. برنامج السكن الاجتماعي التساهمي LSP

ظهر هذا النوع من السكن بناءا على التعليمة الوزارية رقم 83 المؤرخة في 2002/04/28 الصادرة عن وزارة السكن و التعمير، و التي توضح كيفية تجسيد هذه المشاريع على أرض الواقع، وهو موجه للفئة المتوسطة الدخل، بحيث لا يتجاوز دخل الأسرة (الزوج + الزوجة) (الدخل القاعدي الأدنى X 6) دج بالإضافة لقرض بنكي، حيث يمول هذا النوع من السكن من الصندوق الوطني للسكن، وهي مؤسسة عمومية تابعة للدولة تقوم مقام و سيط بين الخزينة العمومية والصندوق الوطني للتوفير والإحتياط حيث يستفيد منه الشخص بعد تقديم طلب ودفع مقدار معين من المال حسب دخله ومساحة المسكن كما تمنح له الدولة دعم والذي كان يقدر ب 500.000 دج، ثم إرتفع ليصبح 700.000 دج، ومن شروط الإستفادة من الدعم ألا يكون قد إستفاد من سكن اجتماعي أو قطعة أرض مملكة ضمن التحصيصات السكنية.

3. برنامج السكن التطوري

ظهر هذا النوع من التحصيصات في إطار التعليمة المؤرخة في 1 أوت 1995، والمتعلقة بكيفيات و هي سياسة وجهت للفئات المتوسطة الدخل 18000-24000 دج، تتميز مساكنها بالتطور العمودي والأفقي، حيث تتكون هذه المساكن من مساحة إجمالية تتراوح بين 100-150 م2 مجهزة بمختلف الشبكات، ويساهم المستفيدين في عملية تجهيز التحصيص.

4. برنامج السكن عن طريق البيع بالإيجار

تم إستحداث هذه الصيغة من السكن في 2001/04/23 مساندة للأنواع المذكورة سابقا وتعمل على تخفيف الضغط المسجل في السكن الاجتماعي، كما أنه يمتاز بمبدأ الحصول على إمتلاك المنزل على شكل تسديدات شهرية من طرف المستفيد، حيث يخضع هذا السكن لعدة شروط أهمها:

- الدخل الشهري الأسري لا يقل عن 24000 دج الحد الوطني الأدنى ولا يتعدى ست مرات الحد المذكور.
- تسديد المبلغ مدة أقصاها 20 سنة ولا يتعدى السن 70 سنة.
- دفع المبلغ الاول المقدر بـ 25% من ثمن البيع على أربعة مراحل:
  - 10%عند قبول الملف
  - 5% عند استلام المفتاح
  - 5% عند امضاء العقد الاول للإستفادة
  - 5% بعد سنة من امضاء العقد

أما المبلغ الباقي فيسدد على شكل إيجار شهري دون فوائد.

5. السكن الترقوي المدعم

هي عبارة عن سكنات موجه للطبقة المتوسطة ذو مدخول شهري لا يقل عن 24000 دج, حيث يمكن للمستفيد أخذ قرض من البنك وهو دعم من طرف الدولة لتسديد تكاليف المسكن وفي كل مرة تخصم المستحقات من راتب المستفيد.

5.1. **السكن الجماعي** : تعتبر هذه الإنجازات من السكن ضمن الصيغ المختلفة مؤشرات تنموية رامية لسياسة واعدة و هادفة للتخفيف و القضاء على أزمة السكن.

5.2. **السكن النصف الجماعي:** بدأ بالإنتشار في العشرية الأخيرة, يتكون من طابقين (R+1) أي 4 سكنات، لكل سكن مدخل خاص بحيث لا تشترك في السلالم ولا في مدخل البناية.

ثالثا: أنماط السكن في الجزائر

لقد عرف السكن تحولات هامة بعد الإستقلال وذلك بإدخال أنماط سكنية جديدة

1. الأحياء القصديرية:

وصف الباحثون هذه الأحياء بكثير من الأسماء حيث يعرفها المعجم الفرنسي أنها تمثل أشكالا خاصة لبؤس السكن الحضري، وتتكلم اللغة الفرنسية على الأحياء القصديرية les taudis والمدن البائسة les villes misérables، و تعرف في اللغة الانجليزية بـ settlements squatters الجماعات التي تحتل أرض بغير حق، أو أحياء واضعي اليد، بالإضافة إلى the slums أو the shanty town

الفضلات، وأحياء السجون cites ward.[1] وتعرف أيضا أنها منطقة سكانية بنيت بطريقة غير قانونية في وسط المدينة القديمة أو بالقرب منها، وقد تبنى أيضا على هامش المناطق الحضرية، وتعرف الجمعية الاجتماعية لمدينة ريودي جانيرو Rio de Janeiro في البرازيل الأحياء القصديرية بأنها مجموعة من السكنات المبنية ذاتيا، ذات كثافة سكانية مرتفعة بنيت بطريقة فوضوية وبمواد غير مناسبة وبدون أي تدخل من المصالح العامة.[2]

ومن الواضح أن الجماعات ذات الدخل المنخفض والتي لها مستوى معيشي منخفض تلجأ مباشرة إلى الأحياء القصديرية التي تقدم المأوى الرخيص الثمن للنازحين الجدد غير القادرين على تحمل شراء أو إيجار وحدة سكنية جديدة، وتعيش هذه الجماعات في عزلة تامة عن المجتمع الحضري بعاداته وتقاليده وسلوكاته، وقد نجم عن ذلك ترييف للمدينة.

ويرى **ابرمزان** أن السياسة السكنية التي لا تعترف بحقيقة وجود وإستمرار هذه المناطق لا تؤدي في الغالب إلا إلى إزدياد نموها وقيامها في مناطق تؤثر على باقي أجزاء المدينة، و بما أنه لا مناص من تكوينها فيجب التخطيط لها وإقامتها في مناطق منتقاة وبناء إنشاءات تسمح بتحسينها مع الوقت في المخطط على حسب المعايير الدنيا للتصميم حتى تصل إلى مستوى أفضل من المستوى البدائي لها.[3]

نجد في دراسة قام بها مارشال كليفار Marchal Clivard أن الأحياء القصديرية هي أنماط من البناءات لها خصائص تميزها منها أنها سكنات غير مناسبة مع المحيط والمخطط الحضري، تفتقر إلى

---

[1] عبد الحميد دليمي، **دراسة في العمران السكن و الاسكان**، دار الهدى للطبع و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص 143.

[2] نفس المرجع، ص 144

[3] الهندسة المعمارية http://www.qatra.net/archi/whatarchi.htm

التجهيزات تمتاز بإكتظاظ وإزدحام كبير، وهي رمز يترجم بعض أنماط الحياة، وهي تحمل مجموعة من المعاني والقيم التي تظهر في سلوكيات صلبة وخشنة ولا مبالاة وخمول وعزلة إجتماعية. وتتصف بكل مظاهر التخلف والفقر وسوء التغذية، وتعتبر مصدر من مصادر الإجرام والسرقة والنهب.[1]

هناك من يعتبر أن الأحياء القصديرية نموذج للحياة المريحة وظاهرة جاءت قبل المجتمع المثالي لهذا أصبح الحي مكان تقارب وإتحاد ونقطة إلتقاء واجتماع، تظهر مثل هذه الأحياء كمدن هامشية نموذجية لها نظام ديمقراطي أين التضامن الشعبي يوحد السكان في مجتمع محلي واسع واعية بظروفها وبقوتها في عملية صراع الطبقات.[2]

بعد الإستقلال وجدت الجزائر مشكلة الأحياء القصديرية من ضمن المشاكل التي خلفها الإستعمار وأمام هذا الوضع إهتم المخطط بهذه الأحياء في عملية التنمية والإقتصاد، وفي سنة 1963 وضعت السلطة المركزية الجزائرية مشروعا للتغلب على ظاهرة أزمة السكن وذلك بإدخال ترميمات وتحسين مساكن الأحياء القصديرية وبناء التجهيزات الجماعية الضرورية.

تتميز الأحياء القصديرية بالخصائص التالية:

- من الناحية الجغرافية:

✓ تبنى بالمناطق المرتفعة وبالمنحدرات

✓ تبنى في اطراف المدينة

- من الناحية الثقافية

[1] عبد الحميد دليمي، مرجع سابق، ص 146

[2] نفس المرجع، ص 147

- ✓ تقارب عقلي وديني بين سكانها.
- ✓ المركز والمكانة صفتان وراثيتان اجتماعيا.
- ✓ الاستعانة بالعرف بدل القانون.

- من الناحية الاجتماعية

- ✓ سوء الحالة الصحية.
- ✓ انخفاض المستوى التعليمي.

- من الناحية التخطيطية

- ✓ طرق ضيقة و غير معبدة.
- ✓ صعوبة التنقل والممرات موزعة بشكل سيئ.
- ✓ لا توجد مرافق ضرورية ولا تجهيزات اجتماعية.
- ✓ البناء بمواد البناء الرخيصة مثل الطوب و الخشب والقصدير.

2. البناء الفوضوي:

البناء الفوضوي منطقة سكنية بنيت في النسيج الحضري بطريقة غير قانونية فوق أرض الدولة جميع قطع الأراضي التي بيعت إلى الخواص في عهد الاستعمار الفرنسي والتي بيعت بعده تعتبر غير مشروعة وفوضوية لأنها أقيمت بدون إستشارة المهندس ولم تدخل في المخطط الرئيسي للمدينة وهي غير موجودة في وثائق الولاية.

ظهر هذا النوع من البناء في الثلاثينات الأخيرة من جراء التنمية السريعة للبلاد، ومن جراء الموجات المتدفقة من سكان الريف إلى المدن ومن جراء الزيادة الديمغرافية المرتفعة وأزمة السكن. ويتميز

عموما بإنجازه بالمواد الصلبة الحديثة الغالية الثمن مثل الخرسانة، الحديد، الزجاج ..إلخ، ومن طرف أصحاب السكنات (بناءات فردية)، وقد بدأت تبرز هذه الظاهرة في عهد الإستعمار في شكل أحياء قصديرية ومع مرور الزمن وتحسن أوضاع السكان المهنية والاجتماعية وعن طرق سنوات كثيرة من العمل تغير شيئا فشيئا شكل المسكن والحي من حيث مواد البناء، وفي كثير من الأحيان يقلد في البناء نماذج سكنية من أحياء الأغنياء. [1]

يتطلب هذا النوع من البناء إكتساب بعض من المهارة والتي تعلمها سكان هذه المناطق عن طريق التقاليد، وإنتقلت من جيل إلى جيل، وكان إكتساب مختلف الحركات التقنية بطريقة سهلة من خلال مشاركة الأفراد في بناء عدة مساكن بطريقة التويزة، هذا التعاون المتبادل والتماسك الاجتماعي والتضامن الجمعي يوفر لكل أسرة بالمناوبة اليد العاملة الضرورية وإنشاء علاقة وثيقة بين التنظيم الاجتماعي للجماعة وبناء المساكن.

من أهم مميزات الإنجاز لهذا النمط من البناء أن صاحب المبنى يقوم بإنجاز مسكنه بطريقة تدريجية، فكلما حصل على دخل أكثر يوفر أكثر ويشتري مواد البناء، ثم كلما جمع مواد بناء شرع في إنجاز جزء من السكن، والشيء الذي يلفت الأنظار بالدرجة الأولى ويعتبر من أهم الأسباب التي أدت بكثير من سكان الحضر إلى البناء بطريقة فوضوية في أماكن شتى من المدينة بدون مراعاة البناءات الاجتماعية الموجودة تعود إلى غياب سياسة تخطيط ونظام للعمران على مستوى المدينة والإفتقار إلى قوانين تفسح المجال إلى العديد من سكان المدينة للإستفادة من شراء قطعة أرض صالحة للبناء.

[1] عبد الحميد دليمي، مرجع سابق، ص 158

3. الأحياء القديمة:

أدت أزمة السكن في عهد الإستعمار الفرنسي بالكثير من الفلاحين اللجوء إلى السكن بالأحياء القديمة لكونها صعبة الدخول وتعطي للسكان الحماية والطمأنينة، وتتميز هذه الأحياء من حيث النسيج الحضري بنقص التسهيلات الصحية الحديثة مثل التدفئة والإضاءة العمومية، مجاري المياه المستعملة كما تتميز واجهات المساكن بقلة نوافذها وضيقها وخاصة التي تطل على الشارع وذلك تشجيعا على الحياة المنعزلة والمغلقة، وحفاظا على خصوصية الحياة داخل المبنى، كما تتميز بكونها بسيطة وخالية من العناصر الزخرفية.

4. السكن الجماعي

يعرف هذا النمط من الإسكان في جميع بقاع العالم، وتجميع لعدة مساكن تبنى في عمارات متعددة الطوابق في الإرتفاع، كما يتميز بإستعمال السكان لفضاءات هذه العمارات جماعيا.

لقد نشأت فكرة السكن الاجتماعي بعد الحرب العالمية الأولى للتغلب على أزمة السكن والإسكان التي عرفتها الدول الأوروبية عموما نتيجة الخراب الذي حدث في قطاع الإسكان، وبعد الحرب العالمية الثانية زادت هذه الدول في إنتاج هذا النمط من الإسكان نتيجة للفوائد الإقتصادية التي يقدمها والمردود المرتفع بالمقارنة مع السكن الفردي، ويوفر هذا النوع من البناء أراضي كبيرة تستعمل كفضاءات خضراء وتسهل تمركز عدد كبير من السكان حول المناطق الصناعية والتجارية الكبرى بالمقابل لا تستغل الأراضي الزراعية.[1]

[1] عبد الحميد دليمي، مرجع سابق، ص 177.

وقد برز هذا النمط من الإسكان في الجزائر في عهد الإستعمار الفرنسي، في سنوات الخمسينات وقد أنجز المستعمر بعض الأحياء لتجميع سكان الريف في المناطق الحضرية لمراقبة الثوار والحد من الثورة، وبعد الإستقلال مباشرة وبهدف الحد من توسيع الأحياء القصديرية إنتهجت الجزائر سياسة البناء في الإرتفاع، ونظرا لعدم وجود إطارات جزائرية مختصة في بناء العمارة أستندت معظم المشاريع الإسكانية إلى شركات أجنبية ركزت على الناحية التقنية والإقتصادية فقط بهدف جلب الأرباح الكثيرة وتوفير أكبر وقت ممكن مع إهمال الجانب الإجتماعي والثقافي للسكان.[1]

إن حاجة الإنسان الماسة إلى ملجأ يأويه تدفعه عندما يحصل على سكن أن يتقبل مبدئيا أي نمط وبدون شروط، والمسكن بنية إجتماعية ثقافية بالدرجة الأولى قبل أن يكون مجموعة جدران وأرضيات وأسقف ونوافذ وأبواب، هذه الصناديق الصماء المستوردة تنجز في الدول الأوروبية للأسر النووية والعزاب لعدم وجود فكرة العائلة الممتدة عكس مجتمعاتنا، وهي على العموم مساكن عادية تستجيب لمتطلباتهم الشخصية للإنفراد وللنوم، الراحة، الدراسة الفردية، إستقبال الأصدقاء ..إلخ

المتجول في مختلف أحياء السكن الجماعي يلاحظ تغير في الكثير من أجزاء العمارة، خاصة في الشرفات والفتحات حيث أغلقت معظمها لأنها تسمح للمارة أو الجيران المقابلة أن ترى ما تفعله الأسر الأخرى داخل المسكن، لهذا السبب فإن العمارة الممثلة لأفكار تختلف تماما عن أفكارنا أهملت أحد أسس الثقافة العربية وهو الحرمة، حيث يجب على المسكن أن يحافظ على النساء من أعين الناس بالمقابل يجب أن يسمح لهن مشاهدة ما يجري بالخارج دون أن يراهن أحد.

[1] عبد الحميد دليمي، مرجع سابق، ص 178.

ومن المتعارف عليه أن العائلة الجزائرية تفرق بين الذكور والإناث عند النوم، فتوزع الغرف على أعضائها حسب الجنس، وتبين هذه القاعدة الأساسية أن المساكن ذات ثلاث غرف لا تستجيب أبدا لثقافة العائلة الجزائرية.

بالإضافة إلى ذلك تتميز الأسر والعائلات الجزائرية بكثرة الحفلات مثل الزواج، الختان، الحج المولد النبوي الشريف ..إلخ، التي تحتاج إلى مساحات كبيرة لإستقبال الأقارب والأصدقاء، عكس ما يوفره هذا النوع من المساكن.

ومن المعروف أيضا عند العائلة الجزائرية تخزين الكسكس والدقيق والزيت ومواد أخرى لتستعملها أيام الشتاء والشدة، وهذا يتطلب ركن وفضاء خاص يحتاج إلى دراسة تقنية وكيماوية، غير أن هذه الوظيفة ذات الأهمية الكبيرة لا نجدها في العمارات الجديدة.

كل هذه المؤشرات مجتمعة لعبت دور هام في تغيير حياة وسلوكيات أفراد الأسر داخل المسكن حيث يلجا البعض إلى الإمتداد على حساب مساحات أخرى ذات وظيفة مهمة، وتستعمل الشرفات كمطبخ أو كمكان لوضع الأثاث المنزلي أو مكان لتنظيف الأثاث.

مما سبق نستطيع أن نستخلص أن هذا النوع من العمارات مصمم بطريقة تختلف كل الإختلاف مع المكونات الثقافية، الاجتماعية، الديموغرافية، الدينية والإقتصادية للأسر الجزائرية. فمخططات العمارات هاته لا تتوافق مع نمط حياة الأسرة الجزائرية.

5. الفلل الفاخرة

ظهر هذا النمط من السكن في أوروبا وجاء إلى الجزائر عن طريق المستعمر الفرنسي، إن أصل كلمة فيلا تبعث إلى فكرة الإصطياف وما هو فاخر لتعريف إسكان مخصص لجماعات اجتماعية خاصة لها تنظيم مجالي خاص، وهي تعني أيضا البحث عن رفاه برجوازي والرغبة في التفاخر.[1]

الملاحظ في هذا النمط من العمارة في الجزائر أنها تتميز بـ:

- إستخدام أشكال وأحجام جديدة وبشكل مبالغ فيه في بعض الأحيان.
- تتضمن العديد من الغرف التي تبقى شاغرة غير منتفع بها.
- مخطط حر، وواجهة حرة (لا يعبر عن الوظيفة).
- الإستفادة من الأسقف والأسطح.
- الإهتمام والإعتناء الكبير بالمساحات الخضراء فيها.

[1] عبد الحميد دليمي، مرجع سابق، ص 194.

خلاصة الفصل

بعد الإستقلال إستفحلت أزمة السكن، فبالرغم من المشاريع السكنية التي إستحدثتها الدولة والتي كانت جلها تركز على الكمية أكثر من النوعية للحد من الطلب المتزايد على السكن، لذا جاءت معظم هذه المشاريع سكنات جماعية، كما أنها لم تراعي الخصائص الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية فكانت عبارة عن سكنات "موديل"، هذه المشاريع لم تغطي إحتياجات السكان نظرا لإرتفاع نسبة النمو الديموغرافي، وكذلك إرتفاع نسبة الهجرة من الأرياف إلى المدن، فكان دائما الطلب أكثر من العرض في السوق العقارية في المدن، وهذا ما نتج عنه ظهور أنمط سكنية فردية ذاتية البناء كالأحياء القصديرية والسكنات الفوضوية التي ظهرت كتجمعات داخل المدن وكأحزمة حولها، فكان الأفراد في بحث فقط عن سقف يأويهم ويمنح لهم العيش الكريم.

أنتجت هذه الأسباب الكثير من الفوضى والضياع في عمارة المدينة الجزائرية، فأصبحت بذلك تشكل مزيج من التشكيلات العمرانية والمعمارية المتنافرة وغير المتجانسة وحتى المتناقضة، والبعيدة كل البعد عن بيئتنا وقيمنا الاجتماعية والثقافية، وبذلك أدت الى فقدان هويتها المعمارية.

الفصل الرابع

مونوغـرافيا تـبسة

تمهيد

سنقدم في هذا الفصل دراسة مونوغرافية لمدينة تبسة بوصف المنطقة من جميع جوانبها ودراسة كل خصائصها وذلك من خلال البحث في مقوماتها الجغرافية، التاريخية، المعمارية الإجتماعية والثقافية وذلك بهدف الإحاطة بكل ماتمتاز به هذه المنطقة وما يميزها كمجتمع محلي عن غيره، وذلك من خلال دراستها:

- دراسة جغرافية
- دراسة تاريخية
- دراسة اجتماعية وثقافية
- دراسة عمرانية

أولا: دراسـة جـغرافـية

1. الموقع الجغرافي:

مدينة تبسة يطلق عليها بالأمازيغية تيفاست، عاصمة ولاية تبسة، أصبحت عاصمة الولاية سنة 1947 تقع في الشمال الشرقي للجزائر، حيث تقع الولاية (تبسة) بين خطي عرض 35-36 درجة شمالا و خط طول 8-9 درجة غربا، وتبلغ مساحتها حوالي 13878 كلم^2 يحدهاجغرافيا:

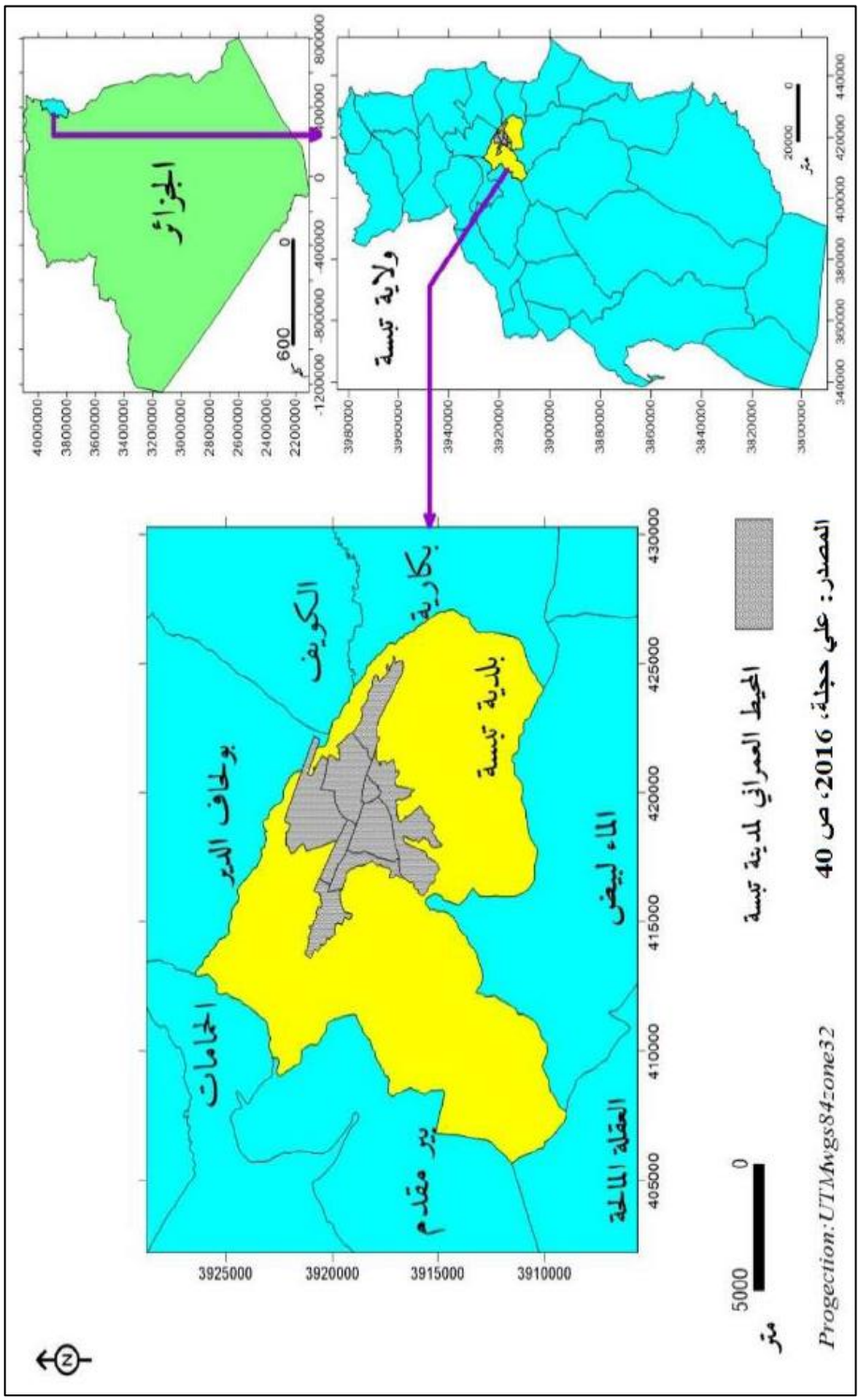
- شمالا ولاية سوق أهراس
- جنوبا ولاية الوادي التي تتقاسم معها واحات "نقرين" و "فركان"
- من الجنوب الغربي ولاية خنشلة
- من الشمال الغربي ولاية أم البواقي
- شرقا فتحدها الحدود التونسية في شريط حدودي يقاطع شرق المدينة والولاية طوله 300 كلم.

أما مدينة تبسة فتبعد عن العاصمة بحوالي 700 كلم، ذكرها المؤرخ **ديودور الصقلي Diodorus Siculus** الذي يرجح نشأتها إلى **هرقل Héracles** تحت إسم "**هيكتامبول Hictampol**" أي المدينة ذات المائة باب، وقد عرفت هذه التسمية حتى العهد الفينيقي حيث كانت مركزا تجاريا نشطا في التجارة بينها وبين قرطاج، يحدها جغرافيا كما نلاحظ في الخريطة (01):

- شمالا: بلدية بولحاف الدير وبلدية الحمامات
- جنوبا: بلدية الماء الأبيض و بلدية العقلة المالحة
- شرقا: بلدية الكويف وبلدية بكارية
- غربا: بلدية بير مقدم

خريطة (01): توضح موقع مدينة تبسة بالنسبة لولاية تبسة وبالنسبة للجزائر

المصدر: موقع ولاية تبسة، http://www.wilaya-tebessa.dz/presentation.php



2. التضاريس:

تضاريسها تشكل إمتدادا طبيعيا لسلسلة الأطلس الصحراوي، هذه الجبال الواقعة إلى الشرق من جبال الأوراس تعد صلة وصل طبيعية بين جبال النمامشة في الجنوب الغربي وجبال الظهرة التونسية في الشمال الشرقي،[1] متوسط إرتفاعها يتجاوز 1400 متر، ومما يزيد في أهمية موقعها إتصالها بجبال سوق أهراس من الناحية الشمالية وبجبال النمامشة الممتدة إلى جبال الأوراس من جهة الغرب، فهي بذلك تشكل حصنا طبيعيا من الزوابع الرملية ورياح السموم القادمة من الجنوب، كما تكثر فيها السهول الزراعية.[2]

أهم جبالها تتمثل في: جبل "دير" 1472 متر في شمال المدينة، يتميز بكثرة القمم والأودية ثم يبدأ في الإنحدار تدريجيا نحو سهل المريج الذي تشكل عن إنهيار في القشرة الأرضية وهو يمثل ممرا طبيعيا بين السهول العليا القسنطينية ومنطقة الهضاب التونسية[3]. وهضبة دير التي تنتج الكثير من الحبوب والنقاط المرتفعة منها مغطاة بالغابات التي توفر خشب البناء والتدفئة. ثم جبل "بورومان" 1545 متر و"أزمور" 1353 متر، وجبال "تبسة" 1500 متر، و"الصفصاف" و"العاتر" و"العنق" و"جرار" و"مهمل" التي تحاذي الحدود مع تونس، وبالصعود شمالا نصادف جبال "أم الذبان" و"الدكان" و"تروبية" و"وبكملال" و"قريقر" التي تحيط بسهل الشريعة الكبير، علاوة على جبال "تنولكة" و"كاريتة" و"رفانة" و"العنبة" و"مستيري" التي تشرف على سهل تبسة، أما في غرب تبسة فنجد سلسلة جبال أخرى قابلة للإستغلال

---

[1] Mitrad .A-E,**Considérations sur la subdivision morphologique de l'Algérie orientale**, R.Af,81, 1937, p568-569

[2] Feraud Ch, **notes sur Tebessa**, R.Af ,18 , 1874, p 442.

[3] Despois .J, Raynal.R, **Géographie del'Afrique du Nord-Ouest**, Payot, Paris, 1967,p178-185.

منها "راس الدلاع" الذي ينبع منه واد مسكيانة ، وحلوفة و متلوق 1253 متر، وزيتونة 1324 متر، هذه الجبال المشرفة على السهول والتي تتخللها الأودية توزع بطريقة لا تسمح لها بوقف المؤثرات المناخية الصحراوية التي يمكنها التغلغل بعيدا نحو الشمال.[1]

أما السهول فتتمثل في سهل "المرجة" الذي يبلغ متوسط إرتفاعه عن سطح البحر 850 متر تحده سلسلة من الجبال الشاهقة من كل النواحي مانحة إياه شكل قرن يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.[2]

3. المناخ

نظرا لموقعها الفلكي تنتمي تبسة مناخيا إلى المنطقة المدارية شبه الجافة المتميزة بإرتفاع الحرارة صيفا والبرودة والمطر شتاءا مع فترة جفاف طويلة خلال الصيف،[3] وتغطي الثلوج كل المرتفعات المحيطة بها بسبب الإنخفاض الشديد في درجة الحرارة، هذه الثلوج تذوب مع بداية فصل الربيع مشكلة سيولا جارية ينتعش بهل القطاع الزراعي.

و يتميز التساقط فيها بالقلة وعدم الإنتظام، إذ يبلغ سنويا ما بين 300-350 ملم، والهواطل الرعدية لا تستفيد منها الزراعة، وينتظر فلاحو المنطقة بصورة خاصة فصل الربيع بفارغ الصبر لهطول أمطار غزيرة يتوقف عليها إنقاذ الموسم الزراعي. ويزيد الإرتفاع من حدة هذا المناخ القاري صيفا وشتاءا

---

[1] Feraud. Ch, Op.cit, p 443.
[2] Despois .J, Raynal. R, Op.cit, p 180
[3] Albertini E, Marçais.G, Yver. G**, L'Afrique du Nord française dans l'histoire**, Archat, Lyon-Paris,1937,p 24

حيث يضرب الصقيع تبسة و نواحيها لمدة تزيد عن 20 يوما سنويا، ما بين شهري نوفمبر و مارس وهو ما من شأنه إلحاق أضرار بالغة بالمحاصيل الزراعية. [1]

تشير البيانات المأخوذة من محطة الأرصاد الجوية لتبسة ونواحيها أن درجة الحرارة لشهر جانفي هي بين ° 8-6 مئوية ، و بين °38-25 مئوية لشهر جويلية، والرطوبة النسبية تبلغ 67.2% في جانفي و44.4% في جويلية. من هذه المعطيات يمكن تحديد بعض المحاصيل التي تشيع زراعتها في المنطقة، وهي الطماطم والجزر والبصل الجاف والفلفل الحلو والبطاطا.[2]

ثانيا: دراسة تاريخية

1. أصل تسميتها

يرجع إسم "تـبسة" الى الأصل البربري الأول الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون، والذي يعتقد – حسب الترجمة اللوبية القديمة– بأنها تعني "اللبؤة"،[3] و قد وصفها **ياقوت الحموي** صاحب "معجم البلدان" فقال "إن مدينة تبسة بفتح التاء و كسر الباء و تشديد السين المهملة، هي بلد شهير من بلدان شمال إفريقيا، تقع بالقرب من مدينة قفصة إحدى مدن القطر التونسي".

وجاء ذكرها كذلك في كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف الإدريسي باسم "تبسة" وكتبها أبو عبيد البكري "تبسا" بالألف حيث قال عنها: "إنها مدينة كبيرة كثيرة الفواكه، مبنية بالصخر

---

[1] Nouschi.A ,**Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919, Essai d'histoire économique et sociale**, P.U.F,Paris,1961,p286

[2] مسعود عباس، **الموازنة المائية لشمال الجزائر (1980-1950)**، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير، غشراف د.حليمي عبد القادر، قسم الجغرافيا، جامعة الجزائر، 1983، ص 115-116.

[3] أحمد عيساوي، **مدينة تبسة و أعلامها**، دار البلاغة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2005، ص 24.

الجليل على نهر كبير كثير الفواكه والأشجار لا سيما الجوز الذي يضرب به المثل لجلاله وكبره وطيبه، وفيه أقباء يدخلها الرقاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء، يسع القبو الواحد ألفي دابة."

ويشتق غيسينيوس إسم تبسة من الكلمتين الفينيقيتين "بيت" و "أبسيت" ومعناهما بيت الجفاف.1

ويعدها المؤرخون مدينة نوميدية المنشأ ضاربة في أعماق التاريخ، يقال أنها أسست قبل العهد الفينيقي سنة 814 ق م، وقد اتخذها الفينيقيون مركزا هاما لرحلاتهم ومبادلاتهم التجارية حيث يعود استيلاء القرطاجيين عليها الى حوالي 247 ق م ومدينة تبسة بها آثار قديمة للنوميديين والقرطاجيين والرومان والبيزنطيين والمسلمين.2

ولما دخلها الإغريق شبهوها بمدينة "تيبس" الفرعونية لكثرة خيراتها والمعروفة اليوم بـ "طابة" وبعد دخول الرومان سموها بـ "تيفست" لسهولة نطقها، ومع الفتح الإسلامي تم تعريبها فأصبحت "تبسة" – بفتح التاء وكسر الباء مع تشديدها وفتح السين– وظلت هذه التسمية ملازمة لها إلى اليوم.3

2. تبسة عبر التاريخ:

2.1. تبسة في العصور ما قبل التاريخ و العصور الحجرية:

الانسان الذي استوطن منطقة تبسة عاش اثني عشرة الف سنة قبل الميلاد و تطور عبر عشرات السنين في منجزاته حيث صنع ادواته و اسلحته من الاحجار و الصوان و غيرها و هي حقبة طويلة

---

[1] عبد السلام بوشارب، **تبسة معالم ومآثار**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، ط1، 1996، ص9.

[2] صالح فركوس، **تاريخ الجزائر – من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال–**، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، ص32.

[3] أحمد عيساوي، مرجع سابق، ص 24.

قسمها علماء التاريخ الى عدة ادوار يتم ذلك حسب تشذيب القطع الحجرية و اطلق عليها بالعصور الحجرية يبدو انه لم تقع اي دراسات و لا تنقيبات لتصنيفها حسب تطوراتها و التعاقب الزمني عليها.1

وحددت بالمواقع التي اكتشف الاثريون فيها نماذج من صناعتهم الحجرية التي على اثرها اعتقد كثير من الباحثين في التاريخ القديم، بأن منطقة تبسة كانت آهلة بالسكان في العصور ما قبل التاريخ, لعثورهم على بعض المخلفات الأثرية, فبعد التنقيب العلمي والدراسة أعطيت صورة واضحة لكل المراحل والحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة (قبل اكتشاف الكتابة الليبية), وخاصة الأماكن التي مكث بها ذلك الانسان طويلا مخلفا بصماته داخل الكهوف وعلى جدران الجبال كدليل لوجوده مثل: قبور القسطل بعين الزرقاء2, و(متكي ناور) بالماء الأبيض، وتازبنت بالشريعة، وفج غليلاي، وخنقة الموحد، ورماديات (سيدي محمد الشريف) على روابي جبل الزيتون, ورسوم الكهوف الحمراء على مسافة قريبة من جبل الدكان جنوب المدينة, تعود إلى العصر الحجري القديم (الباليوليتي)، وتعاصر الأدوار الشيلية والأشولية المستوية والعاترية, حيث توصل الانسان إلى اختراع الفؤوس اليدوية من لب الحجارة بعد تشذيبها, استخدمها للهجوم و الدفاع, كما استعمل شظاياها كمكاشط وسكاكين وسهام3.

ولقد وضع العلماء مخططا توضيحيا لأشهر مواقع ما قبل التاريخ تتمثل في المواطن التالية: (ونزة, بوخضرة, جبل القسطل, مرسط, برج القائد, الكويف, بولحاف الدير, بكارية, الحمامات, جبل المستيري, جبل قريقر, تازبنت, الماء الأبيض, الشريعة, قساس, ثليجان, بئر السبايكية, المزرعة, الدرمون, قنطيس,

---

[1] **تبسة –مونوغرافيا سياحية –**، مديرية السياحة لولاية تبسة، صادرة عن مديرية النشر لمديرية السياحة لولاية تبسة، 2007، ص 2.

[2] عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 10

[3] صالح فركوس، مرجع سابق، ص 12

الجرف، رأس العشر, بئر العاتر, وادي جبانة). ولقد قدر تاريخ هذه المواقع بواسطة كربون 14 (المشع) 6800سنة ق.م, والحضارة القفصية قدرت بـ 6100ق.م.[1]

- ✓ **العصر الحجري المتوسط (الالف الثالثة قبل الميلاد)**

كما اكتشفت مواقع كثيرة لهذه الثقافة القفصية من أهم مراكزها تبسة (في جبل الدريمين بلاد النمامشة), حيث أصبحت الأدوات أكثر تنوعا و دقة مثل النصال, المثاقب، والمكاشط وكذلك رماديات خنقة الموحد، كما عثر بها على 42 محلزة في منطقة نصف قطرها 30 كلم و تدعى بالرماديات (الببوش)، كان الانسان حين ذاك يأكل الحلزون ويرمي بصدفه، حتى تراكمت وكونت تلال استخرجت منها شظايا تعود إلى الطور القصي الذي قدر تاريخها بـ 2900 سنة ق.م.[2]

- ✓ **العصر الحجري الحديث**

بدأ الانسان العاقل في التطور, حيث أخذت صناعته تزداد تنوعا و دقة, فصول الانسان في تلك الفترة إلى مستوى متطور من التحضر, نتيجة للأدوات و الوسائل المستعملة في حياته (المثاقب, السهام), فكان العصر الحجري الحديث, الذي بدأ فيه الانسان استغلال الزراعة و الرعي و بناء الأكواخ. و قد ذكر الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه (تاريخ الجزائر العام) مدينة تبسة في العصر الحجري الأوسط: "عرفت منطقة تبسة نوعا من التقدم البشري. و ذلك باستعمال عظام الحيوانات, و بيض النعام, فصنعت منها الأوعية و الإبر و السكاكين و المساحي, و هذبت فيها الأدوات الحجرية نوعا ما, و انتقل السكان

---

[1] تبسة –مونوغرافيا سياحية– مرجع سابق، ص 03

[2] صالح فركوس، مرجع سابق، ص 12

من المغارات إلى الأكواخ المستديرة و المربعة, و عني الانسان في هذا الدور بالمدافن, فكانت القبور فيه على شكل هدم مبني بالحجارة."[1] و هذه من الأدلة المادية على أن الانسان توصل إلى مرحلة الزراعة و الرعي و الانتاج و تحزين الطعام و البذور, و بداية حياة الاستقرار فعلا, و منها تحول إلى مرحلة التعبير عن أفكاره, بالرسوم على الأواني الفخارية, و على العظام و العاج و قشور بيض النعام بالرموز الكتابية. و قد تكونت الفترة الممهدة لاكتشاف الكتابة (تماغت أوتيفيناغ) و التي لم تحل رموزها بعد, و عليه يمكننا مساندة رأي طائفة من كبار المؤرخين الذين ذهبوا إلى أن النوميديين الليبيين توصلوا قبل قدوم الفينيقيين إلى الشواطئ الجزائرية سنة 1200 ق.م, إلى معرفة الفلاحة و الرعي و تربية الحيوانات و بناء الأكواخ التي آلت إلى مساكن و قصور, و أصبحوا يعيشون في نظام اقتصادي و اجتماعي و سياسي[2], و يقال أن ظهور السفن الفينيقية يعتبر حادث كبير يفصل بين العصور التاريخية و ما قبل التاريخ[3].

وقد عرفت المنطقة في ما قبل التاريخ أشكالا عديدة من الديانات , فعبدوا الشمس و القمر, وعبدوا المياه فجعلوا الها استدرار المطر, وما يفسر عبادتهم لهذه الأنواع أن المنطقة ذات طبيعة جافة, تتطلب المياه دائما خاصة وأنها رعوية, كذلك أن الانسان للتحرر من مشاكله يلجأ لعبادة ما يراه حلا لها, وبالإضافة إلى هذه العبادات كانت في السابق بالمنطقة عبادات أخرى طوطمية, التي جعلوا فيها كلا من الكبش والثور والقرد والأسد والثعبان, وقد عبدها الانسان التبسي لأنه كان يخشاها, ما عدا الكبش الذي كان يثمل له شيئا ذا قيمة عالية لأنه أفضل وأرفع الحيوانات بالنسبة إليه, زيادة على الديانة الطوطمية فقد

---

[1] احمد عيساوي، مرجع سابق، ص 25.

[2] نفس المرجع، ص 26.

[3] احمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 07.

عبد الانسان في المنطقة كلا من الحجارة والجبال والكهوف[1]. وشكلت هذه العبادات ما عبر عنه تايلور Tylorبالرواسب الثقافية التي بقيت دفينة في اللاشعور للإنسان التبسي, والتي يمكن ملامستها من خلال الممارسات الاعتقادية في حياته اليومية.

2.2. تبسة في العهد الفينيقي

وصل الفنيقيون إلى سواحل الشمال الافريقي (عنابة, بجاية) سنة 1200 ق.م, حيث بسطوا نفوذهم السياسي دون حروب بشمال افريقيا, وبدأت المبادلات التجارية والرحلات, وشيدوا المدن والمراكز التجارية من أهمها "Cartage", وبعد الحروب البونقية توغلوا إلى داخل البلاد, فبنوا سوق أهراس و تبسة في القرن 5 قبل الميلاد. تأثر سكان تبسة بالحضارة البونقية في كل الميادين, حتى دخلت منطقة تبسة تحت نفوذ قرطاج السياسي لمدة تزيد على نصف قرن, ولا يعلم متى وكيف خرجوا منها.[2] وفي سنة 247 ق.م أصبحت مدينة تبسة مركزا ناشطا في المبادلات التجارية بينها وبين قرطاج, وفي سنة 163 ق.م أصبحت تبسة تابعة لدولة ماسينيسا, أما بالنسبة لعمرانها حيث ذاك فإن المصادر التاريخية تجعل تبسة في الدرجة الثانية بعد قرطاج, لما عرفته من ازدهار اقتصادي وعمراني والرقي الحضاري.[3]

بالاضافة إل ما جلبه الفينيقيين للمنطقة من أساليب وعناصر ثقافية, جلبوا معهم دياناتهم التي تفاعلت وامتزجت مع الديانات المحلية, فتكون بذلك خليطا أدى إلى التنوع في الممارسات والاعتقادات, وتمثلت ديانات هذا العهد في: الاله بعل حامون, الاله تانيت, الاله بعل ادير , الاله ملقارت, الاله أشمون. وكل

---

[1] محمد الصغير غانم، **الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا**، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص ص 10-69.

[2] صالح فركوس، مرجع سابق، ص 33.

[3] تبسة –مونوغرافيا سياحية– مرجع سابق ص 03.

هذا الآلهة في الأصل فينيقية لكن الأهالي أضافوا عليها رواسبهم الادراكية السابقة التي أدت إلى التأثير في طبيعتها, وقد شملت هذه الاضافات أشكالها, طريقة العبادة, وتقديم القرابين, والنذر...إلخ.

2.3. تبسة في العهد الروماني

دخل القرن الأول بعد الميلاد وأصبحت الأحداث متداخلة وغامضة (اعتمد فيها المؤرخون على الفرضيات تقريبا) لا سيما بعد موت (يوليوس) قيصر في 39 ق.م, فكان التنافس والصراع على السلطة. فجاء الامبراطور (فسبيان) الأول في نهاية حكمه, وعلى رأس اللواء الثالث (فرقة أغسطس) المؤلف من 550 فارس و6000 من المشاة الرومان, وجيش من المرتزقة, نقلها من قابس وحيدرة ليتمركز بها في تبسة, لموقعها الاستراتيجي ولتهدئة الأوضاع وحماية المنطقة بالجهة الشرقية من تبسة إلى ساحل عنابة من الجهة الغربية من تبسة إلى موريتانية, ولم ينعم الرومان بالهدوء فالأراضي التي استعمروها هي ملك للقبائل المدربة على حرب العصابات من أيام يوغرطة. سخر الرومان 4000 رجل للعمل في المشاريع الزراعية والعمرانية من الرقيق والأهالي, فشيدوا الخزانات على الأنهار لجمع المياه, أما بالنسبة للمعابر والطرق فلقد هيأ الجيش شبكة من الطرق تربط: تبسة قرطاج, تبسة قسنطينة , تبسة لمباز (باتنة), تبسة تلابد (قفصة), واكتملت هذه الطرق في سنة 122 م تحت قيادة (هدريان). وعند اشتعال ثورات سنة 118م امتدت إلى الأوراس واضطرت (تراجانوس) بالانتقال سنة 122 بقسم كبير من الكتيبة الثالثة من تبسة إلى لمباز غربا 170كم, لقمع الثورات هناك وبعد ذلك تربع عرش الامبراطورية (سبتيم سيفر) وإبنه (كراكلا) (الأمازيغ) من سنة 193 إلى 217م فكانت من أحسن الفترات التي عرفت ازدهارا.[1]

[1] عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 15.

في هذه الفترة سنت قوانين وعرف حق المواطنة, وبلغ عدد سكان تبسة 50000 نسمة, ولذلك بني المسرح المدرج والسور القديم, والجسور السبعة على واد زعرور, وقوس النصر, ومعصرة برزقان وغيرها من المعالم التي لا تزال شاهدة إلى حد الآن.

***أسباب زوال ملكهم:** لقد اتحكر الامبراطور دفليانوس السلطات وادعى الربوبية فكان شعاره (الشمس لن تغرب) وأكثر من فرض الضرائب على الأهالي, قسم الامبراطوية إلى قسميين, تزعم الصراع ضد المسيحيين فانتصروا عليه سنة 313م وبعد ذلك كثر الفساد والتنافس على السلطة وتعددت المذاهب وتمرد الجيش, فزال ملكهم وزحف الوندال على ممتلكاتهم سنة 429 م.[1]

نظرا لمكوث الرومان في المنطقة مدة طويلة, فقد كانت تأثيراتهم الثقافية بالغة الوضوح في كثير من المعالم الدينية والثقافية للإنسان التبسي, هذا بالإضافة إلى أن هذا التأثير شمل بالضرورة الجانب الديني للإنسان التبسي, خاصة وأن الرومان قد تعددت دياناتهم بالمنطقة, وكان أشهرها: الاله ساترون, الاله كايلسيتيس, الالهة ديانا, الاله فينوس, الاله أبولون, الاله نبتون... وغيرها, وما يقال على هذه الآلهة أنها مستوحاة جميعها من الآلهة الشرقية (القرطاجية), إلا أن الأهالي في المنطقة لم يقوموا بعبادتها كما هي بل قاموا بالتغيير فيها حسب مدركاتهم الذهنية فيها حسب مدركاتهم الذهنية وما يتوافق مع معتقداتهم, هذا مع أن بعض الأهالي احتفظوا بدياناتهم السابقة.[2]

---

[1] صالح فركوس، مرجع سابق، ص ص 53-54.

[2] محمد الصغير غانم، مرجع سابق، ص ص 109-129.

2.4. تبسة في العهد الوندالي

بعد العصف بالكيان الروماني في افريقيا الشمالية نظار للعوامل العديدة السالفة الذكر, اضطر الحاكم الروماني للاستنجاد بـ (جنسريق) ملك الوندال, فاستغل الوندال الفرصة وشنوا حملة عسكرية انطلاقا من اسبانيا, اكتسحوا من خلالها كل مواطن في طريقهم, حيث وصلوا إلى تبسة سنة 439م فهدموا كل ما بناه الرومان خلال أربعة قرون, فعرفت هذه الفترة ركود كبيرا في جميع الميادين[1] ثم عادوا بعد ذلك للبناء والتشييد بعد تفطنهم للأخطاء التي ارتكبوها، فشيدوا وزرعوا, والدليل على ذلك الاكتشافات في بئر العاتر بتاريخ 1928/9/21 تحت اشراف السيد (البيرين) حيث عثر على 45 لوحة مكتوبة تتضمن عقود بيع وشراء في الفترة بين (496-493), ومقبرة كبيرة مترامية الأطراف في حي ذراع الإمام, وقرب السكة الجديدة مدرسة "الدكتور سعدان", وتعود إلى نهاية القرن الرابع وبداية السادس الميلادي, تحتوي هذه المقبرة على شواهد تعود إلى العهد الوندالي الغامض, قد ثبت عليها اسم المالك وأعماله وإسم الكاتب لذاك التابوت تخليدا له.[2]

2.5. تبسة في العهد البيزنطي

أرسل الامبراطور (جستيان) جيوشه إلى شمال افريقيا بقيادة (بليزاريوس) الذي وصل إلى تبسة سنة 533م وانتصر على الوندال وطردهم من تبسة التي كانت من أكبر المدن حينها فأصبحت في عهدهم الولاية الثانية بعد قرطاج و هي احدة الولايات السبعة في افريقيا, تلقوا مقاومة شديدة من قبل الأهالي (البربر) الذين اعتبروا غزوهم لا يختلف عن باقي الغزوات التي تعرضوا لها فشنوا ضدهم ثورات وحرب

---

[1] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 14.

[2] تبسة –مونوغرافيا سياحية– مرجع سابق، ص 05.

عصابات سنة 535/534م فأجبر (بليزار) على العودة إلى عنابة ومنها إلى (بيزنطة) وخلفه البتريق صلمون بقيادة الجيش فكان له بالتصدي ملك الأوراس (فذياس) مدرعا بـ30ألف فارس ومقاتل, حسب ما ذكره الرحالة بريكوب, ولما اشتد الضغط على البتريق (صلمون) جمع حوالي 800 عامل من أسرى الحرب والبربر وجاء بالمهندسين والمعماريين من قرطاج وتاله وشرع في بناء أسوار لحمايته وجيشه من الهجمات المحتملة من كل مكان فبنى على التوالي:[1]

01/- القلعة الحالية المحيطة بالمدينة العتيقة ويقال أيضا الوحيدة في العالم التي ظلت على حالها من تلك الفترة.

02/- سور حول مبنى البازيليك المشيد في العهد الروماني.

03/- سور حول تبسة القديمة.

04/- وحوالي 50 برج للحراسة ومراقبة العدو, و ضلوا على هذه الحال إلى أن جاءت المعركة الفاصلة بين (صلمون) والأمير (أنطلاس) قائد قبائل الفراشيش ولوائه واللمامشة على ضفة واد زعرور (خارج الحصن) فانهزم صلمون وأسر وقتل سنة 546م تحت الأسوار التي بناها بنفسه, وباتت كل المنطقة في فوضى وتدهور إلى ان جاء الفتح الاسلامي العربي سنة 647 فكانت مقاومة البيزنطيين ضعيفة جدا فتولت ملوك البربر القيادة عن طريق (الكاهنة) داهية بنت ماتيا الزناتية فتصدت للفاتحين المسلمين العرب إلى أن انتصر عليها (حسان بن نعمان) وقتلها جنوب مدينة تبسة 701م/64هـ.

[1] صالح فركوس، مرجع سابق، ص 64.

2.6. تبسة في العهد الاسلامي

تعتبر مدينة تبسة من المدن الاولى التي وصلها الاسلام بالنسبة لباقي المدن الجزائرية, فالمعركة الاولى بين (جرجير) ملك الروم وعبد الله بن أبي سرح كانت سنة 29هـ/647م قرب سبيطلة التي تعتبر تابعة إدرايا إلى تبسة وهي بدورها تنتظر مواجهة زحف المسلمين, لما وصل عقبة بن نافع على رأس 10 ألف مقاتل سنة(49هـ/681م) وفتح قرطاج وشرع في بناء القيروان من 50 إلى 55هـ توجه بكامل قواته صوب تبسة لفتحها، حيث كان بها أميرا قويا على رأس جيش يفوق 18 ألف مقاتل, التقى الجيشان خارج أبواب سور تبسة, بعد 20 يوما من الحصار وبقيادة عبد الله بن جعفر وفيصل الرفاعي وسليمان استطاع المسلمون فتح ثغرة في السور بالجهة الشرقية فدخل عبد الله إلى داخل السور بعد سقوط أكثر من 5000 من جيش الأمير و2000 مجاهد وجاء حينئذ عقبة بن نافع وهو الذي رفع راية (لا إله إلا الله) ثم مر عليها في حملته الثانية 62هـ/682م مع عبد اله بن أبي سرح ودخلوا تبسة دون أي مقاومة تذكر.[1]

تم فتح تبسة على إثر حملتين قام بهما حسان بن نعمان الاولى في اشتباك انتصرت فيه الكاهنة وقضت على قائد فرسان حسان و80 من رجاله على ضفاف وادي البلاء وجبال سرديـاس وتاغده (20كم غرب سنية), والثانية حاد فيها حسان لمواصلة الفتح حوالي ما بين 69هـ و 88هـ في معركة عنيفة درات رحاها في المنطقة الممتدة من قصر الجم بتونس إلى بئر ماء قرب بئر العاتر أين انتصر عليها حسان وقتلها ومن ثم عرفت المنطقة الاسلام وتعاليمه فدرست اللغة العربية ومبادئ الاسلام.[2]

---

[1] عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 18.

[2] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 73.

- مقاطعة تابعة القيروان في عهد الأغالبة.
- ظلت ضمن نفوذ الفاطميين في عهد الخليفة المعز لدين الله (311هـ/333هـ) و احتلها الهلاليون 442هـ.
- كما تبعت مدينة تبسة دولة الموحدين التي بسطت نفوذها على كامل المغرب العربي من (555هـ/627هـ) الموافق لـ(1160م/1226م).
- كانت تابعة للدولة الحفصية (627هـ/892هـ) الموافق لـ1230 ثم الدولة الزيانية.

أما الإدارة العثمانية في تبسة سنة 1575م تحت قيادة النوبا (لقب آغا) الذي كان مجهزا بأربعين مدفعا وبعد بسط نفوذهم الادراي والسياسي, شددوا الحراسة وأكثروا الضرائب مما أدى إلى عدة ثورات تحت قيادة زعماء اللمامشة والحراكتة, انتصر عليهم باي قسنطينة في الاخير من سنة (1824/1739)[1]

2.7. تبسة تحت الاستعمار الفرنسي 1830-1962

زحف الفرنسيون على منطقة قسنطينة سنة 1836, إلا أن منطقة تبسة وهي تعتبر استراتيجية عرفت أول محاولة للاستيلاء سنة 1842م تحت قيادة الجنرال Rondon وباءت بالفشل نظار لتصدي الأهالي فأعاد الكرة سنة 1846 مع العقيد (سترنوت) وكانا مجهزين بمدافع لدك الحصون, فهدموا جانبا من السور جهة الجنوب ودخلوا المدينة, وشيدا بها ثكنة جنوب القلعة سنة 1856م ليتحكموا بها, طبق المستعمر أثناء احتلاله المدينة سياسة اقطاعية شبه عسكرية, تعسف بالأهالي وتشدد في أحكامه مما أدى إلى تعطل الحياة, فضاق بهم الضرع فهاجر منهم ما يزيد عن 700 نسمة إلى الجنوب و الصحراء بينما كان عدد سكان المدينة 2370 نسمة سنة 1870 يعيشون في الفقر والجهل والمرض حتى سنة

[1] تبسة –مونوغرافيا سياحية– مرجع سابق، ص 06.

1954, حين قامت ثورة التحرير الكبرى كان دور تبسة استراتيجي أثناء ذلك, لكونها المدافع عن الحدود الشرقية للبلاد بحكم موقعها كانت معبر للأسلحة و الثوار مما حمل العدو على إزالة حوالي 300 ألف ساكن عن منطقة الحدود وسكان الجبال, و وضع خطي (شال و موريس) المكهربين وأبراج للحراسة إلا أن الثورة أصبحت شعبية و لم تتوقف فاشتد الصراع طيلة 7 سنوات كاملة دفعت خلالها مدينة تبسة ثمنا باهضا، فحسب الاحصائيات المتوفرة تقدر ضحايا حرب التحرير بالمنطقة 4214 شهيد و 9243 من ضحايا الحرب, ولا يزال يشاهد الزائر إلى يومنا هذا معاقل ومحتشدات وأبراج الحراسة التي أقامها المستعمر.[1]

ثالثا: دراسة اجتماعية وثقافية

1. السكان:

بلغ عدد سكان ولاية تبسة حسب إحصائيات 2007 حوالي 675.732 نسمة (331.111 إناث و 344.621 ذكور) يتوزعون على 28 بلدية و 12 دائرة،

تتميز هذه الولاية بالنزعة القبلية والعشائرية، أهم هذه العشائر ونسبهم في مدينة تبسة: "النمامشة": 55%، "أولاد سيدي يحي": 25 %، "أولاد دراج": 10 %، مزيج من باقي الأقليات 10% أولاد سيد عبيد، أولاد ملول، الفراشيش، الزغالمة وغيرهم.

[1] عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 23.

2. اللـغة:

إن اللغة السائدة والمستعملة في المجتمع التبسي هي اللغة العربية البدوية ويظهر ذلك جليا من خلال مطابقة ومقارنة ألفاضها مع المعيار الذي وضعه إبن خلدون للتفريق بين اللهجة البدوية واللهجة الحضرية، كنطق الـ "ڤ" بدلا من الـ "ق" في العديد من الكلمات، لكن هذا لا يمنع أن تكون تلك اللهجة لهجة عربية نقية الأمر الذي سهّل إنتشار وإشتهار الشعر الشعبي وخاصة الشعر الملحون والقصائد. زيادة على ذلك يتكلم النمامشة إلى جانب إتقانهم اللغة العربية المستعملة في التعاملات، نفس اللغة التي يتكلم بها الطوارق والقبائل في جرجرة والتيبو في الصحراء والجوانش (les Guanches) في جزر الكناري آلا وهي اللغة البربرية. (La langue libyco berbère)

3. الصناعات التقليدية: نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **صناعة الطين:** معظم الصناعات الطينية في تبسة هي صناعات معاشيه كـ " الثريد"، "الطاجين" "الجرة" ..إلخ.
- **صناعة النسيج والصوف:** تتميّز منطقة تبسة عن العديد من المناطق الأخرى بصناعة "الزربية النموشية" التي كانت ولا زالت رمزا من رموز الهوية الثقافية والحضارية للمنطقة إنطلاقا من تميّزها وخصوصياتها.

زيادة على ذلك هناك صناعة " البرنوس" الذي يأخذ العديد من الدلالات فهو يعبر على الطبقة الاجتماعية التي ينتمي لها مالكه وذلك بالنظر إلى نوع الصوف المستخدم في صناعته ولونه حيث توجد برانيس من الصوف الأبيض العادي وهي لعامة الناس، كما توجد برانيس الوبر ذات اللون البني المتدرج من الفاتح إلى القاتم وهي أغلى أنواع البرانيس لذلك يقتنيها شيوخ القبائل وأعيانها لما لهم من نفوذ ومكانة

مادية، من جهة أخرى يعبر "البرنوس" على كبرياء الرجل وفحولته وهيبته. ونفس الكلام يقال على " القشّابية." بالإضافة إلى صناعة "الحايك"، "السفساري"، "الملاية"، "الملحفة"، "البخنوق" بالنسبة للنساء.

4. الفنون الشعبية:

تشتهر منطقة تبسة بموسيقى الناي "القصبة" وهي زواج بين الطبوع الأوراسية والألحان التونسية، والتي تكون مصحوبة بما يعرف بـ "البندير"، حيث تعتبر حلّة الإحتفالات المحلية، زيادة على نوع آخر يسمى "الطرق" وهو شعر شعبي لا تصاحبه موسيقى، مثله مثل "الطوّاحي" الذي تشتهر به قبيلة أولاد سيدي عبيد.

كما تشمل الفنون الشعبية في تبسة على الرقص، حيث يختص الرجال بالرقصة التقليدية المسمّاة "الرحبية " يصاحبها دوما اللعب بالأسلحة النارية "البارود "، أمّا رقص النساء فيعرف بـ "الحزام"، دون أن ننسى الرقصة المعروفة بـ "التهوال" وهي رقصة مرتبطة بنوع من الإحتفالات يدعى "الزردة" يقال أنها تفرج ما في القلوب، وتروّح عن النفوس، وتخرج المكبوتات.

5. الألعاب الشعبية:

يوجد العديد من الألعاب التي توارثتها الأجيال ومازالت حتى اليوم، نذكر منها: لعبة الخربقة، لعبة الحّد، ألعاب الفروسية.

6. الأكلات الشعبية:

عنصر مادي تمّ توارثه عبر الأجيال من خلال المرأة، ومن أهم هذه الأطباق الشعبية التي تطبع خصوصية المنطقة نجد: الكسكسي، لبركوكش، البوتشيش، الرغدة، الشخشوخة، كسرة الشحم، المسخّن.

رابـعا: دراسة معمارية

1. السكن في تبسة:

1.1. مراحل التطور العمراني: مرت عملية التطور العمراني بـ 6 مراحل[1]:

- **المرحلة الأولى: قبل 1846**

هي سنة دخول الفرنسيين كانت المدينة عبارة عن النواة الأولى المحاطة بالسور البيزنطي وتبلغ مساحتها حوالي 8.9 هكتار. حيث كانت مربوطة بعدة طرق تعتبر حاليا طرق وطنية:

- طريق يربط مدينة تبسة (تيفاست) بقرطاج (تونس)
- طريق يربط مدينة تبسة (تيفاست) بقسنطينة (سيرتا)
- طريق يربط مدينة تبسة (تيفاست) بتيمقاد (باتنة)

- **المرحلة الثانية: من 1846 إلى 1932**

بعد تهديمهم لجزء من السور، قام الفرنسيون ببناء ثكنة داخل السور البيزنطي في الجهة الجنوبية سنة 1852، وعملوا على بناء عدة مباني سنة 1872، حيث إستبدلوا بعض السكنات العربية التقليدية إلى إستعمارية، ثم أخذ العمران يتوسع خارج السور بشكل فوضوي يفتقر إلى التخطيط وهو ما دفع الفرنسيين إلى إصدار مخطط التهيئة سنة 1931 وبلغت مساحة ما شيده الفرنسيين 44.45 هكتار.

[1] **السكن في تبسة**، مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية تبسة

- **المرحلة الثالثة: من 1932 إلى 1962**

بلغت مساحة المدينة 126.05 هكتار سنة 1962 بزيادة مقدارها 72.7 هكتار، أما العمران في هذه الفترة فقد أخذ شكلا منظما لأنه كان ثمرة مخطط التهيئة 1931 حيث عمل الفرنسيون على إشغال الجيوب الفارغة، كما توسع العمران بإتجاه محوري الطريقين الرئيسيين في المدينة آنذاك (طريق شمال جنوب، طريق شرق غرب).

- **المرحلة الرابعة: من 1962 إلى 1972**

لم تعرف المدينة توسعا كبيرا عقب الإستقلال حيث إستغلت المساكن التي تركها المستعمرون بعد هجرتهم، كما ظهرت توسعات ببناء مساكن جديدة للنازحين من الأرياف بحثا عن العمل، بلغت المساحة المستهلكة : 39.33 هكتار.

- **المرحلة الخامسة: من 1972 إلى 1988**

شملت مدينة تبسة الترقية الإدارية سنة 1974 مما جعلها تستفيد من عدة مشاريع من أجل بعث ديناميكية جديدة فيها وتنميتها، وشهدت أكبر تسارع في وتيرة توسعها المجالي نتيجة لإنجاز عدد كبير من المساكن بعضها أنجز من طرف الخواص دون ترخيص من المصالح المختصة، والبعض الآخر في إطار المناطق السكنية الجديدة ZHUN، هذه الأخيرة تركزت في الجهة الغربية للمدينة وقد بلغ عدد المساكن المنجزة في هذه الفترة 8959 سكن، كما ظهرت عدة خدمات ومرافق جديدة كمقر الولاية المطار، المعهد الوطني للتعليم العالي وغيرها من التجهيزات، بالإضافة إلى توطين المنطقة الصناعية ومنطقة النشاطات، وقد إستهلك العمران في هذه الفترة مساحة تقدر بـ 1472 هكتار بمعدل زيادة 92 هكتار للسنة.

- **المرحلة السادسة: بعد 1988**

عرفت مدينة تبسة إستمرارا في وتيرة التوسع العمراني، إذ واصل العمران زحفه في الإتجاه الغربي للمدينة على طول الطريق الوطني رقم 10 (الاتجاه الأنسب لتوسعها) بسبب عوائق التوسع التي تميز باقي الجهات بالمدينة، كما حدث تكثيف للبناء في الجيوب الفارغة والتي أستغلت معظمها في تغطية النقص في التجهيزات، أما منطقة التوسع فقد خضع العمران فيها إلى التخطيط المسبق فأنجزت فيها مشاريع سكنية طغى عليها السكن الجماعي، وحرصت السلطات على تزويدها بمختلف المرافق والتجهيزات الضرورية للسكان، ومن وراء كل هذا حدث اتصال عمراني بين المدينة والتجمع الثانوي "علي مهني" سنة 2002 ليصبح هذا الأخير ضمن المحيط العمراني، إتسعت المدينة في هذه المرحلة بـ 850.62 هكتار.

1.2. توزع الأحياء والمساكن عبر القطاعات

تتقسم مدينة تبسة إلى تسعة قطاعات، تتوز الأحياء على هذه القطاعات كما هو موضح فالجدول التالي (01)، كما يوضح الجدول عدد السكنات ونسبتها حسب نوعها فردية أو جماعية. ونلاحظ من هذا الجدول أن المسكن الفردي يسيطر على الحضيرة السكنية للمدينة بنسبة 64.02 %.

جدول (01): توزيع الأحياء والسكنات عبر مختلف القطاعات في مدينة تبسة

المصدر: مديرية السكن والتجهيزات العمومية

القطاع	أهم الأحياء المكونة له	نوعية السكن			
		السكن الفردي		السكن الجماعي	
		العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
01	حي الفوبور-حي تيفاست-حي الزهور	1082	**60.45**	708	**39.55**
02	حي لارموط، حي الكنيسية، حي المرجة، حي ذ ا رع الإمام	8391	**78.31**	2324	**21.69**
03	حي لارموط، حي الكنيسية، حي المرجة، حي ذ ا رع الإمام	9902	**94.34**	594	**05.65**
04	حي 3ماي-حي كوبيماد-حي سواعي-حي الكرامة-حي 535 مسكن-حي 6511 مسكن-حي 455 مسكن-حي سوناطيبا	2365	**39.00**	3698	**61.00**
05	حي المطار، حي طريق عنابة، حي فاطمة الزه ا ره	1796	**64.44**	991	**35.56**
06	حي رفانة-ي جبل الجرف	151	**12.16**	1090	**87.83**
07	المنطقة الصناعية	19	**100.00**	00	**00.00**
08	حي الوئام-حي 155 مسكن	780	**20.81**	2968	**79.19**
09	حي سكانسكا-حي علي مهني-حي الجيريدون	361	**18.49**	1591	**81.51**
المجموع		24847	**64.02**	13964	**35.98**

2. أهم الاثار المعمارية

تتميز مدينة تبسة بالعديد من الآثار، تقع معظمها في وسط المدينة، نذكر منها على سبيل المثال:

- **قوس النصر كاراكلا**

أحد أهم المعالم الأثرية التي تعتبر تحفة معمارية رائعة وفريدة ومن أحسن ما شيد الرومان في مدينة تبسة. تأسس هذا المعلم سنة 211/212 بعد الميلاد بأمر من القائد "**كورنااليوس**" على شرف الإمبراطور "**كراكلا**" في حقبة الازدهار الروماني[1]. يضم هذا المعلم أربعة جهات كل جهة مهداة إلى أحد أفراد العائلة الحاكمة عائلة (سبتيم سيفار)، أقيم قوس كاراكلا بطريقة فريدة على شكل مربع ويرفع فوقة قبة كما أكد ذلك علماء الاثار.

أجريت عليه أكثر من عملية ترميم خلال الحقبة الإستعمارية، مازال إلى اليوم يحافظ على طابعه المعماري رغم زوال ثلاثة أعمدة بسبب الحروب القديمة.



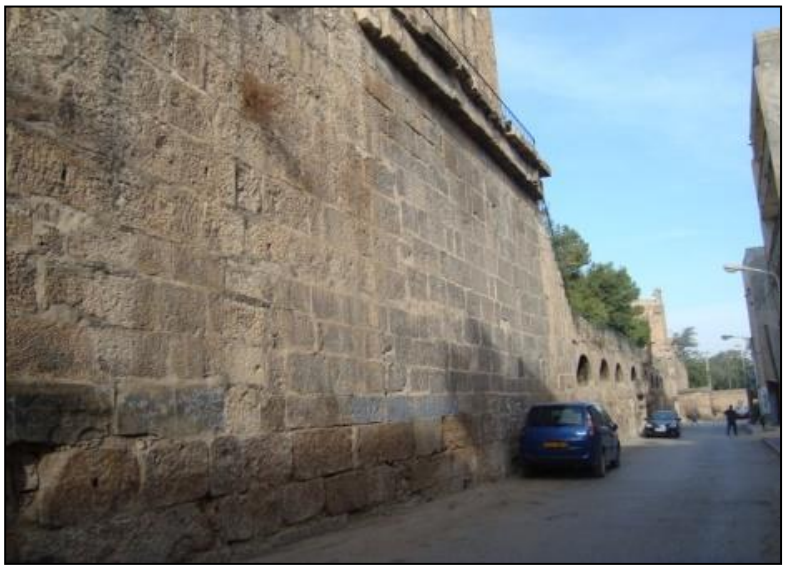
صورة (32): صورة حديثة لبوابة النصر –آثار تبسة

المصدر: موقع ولاية تبسة، مرجع سابق

[1] تبسة مونوغرافيا سياحية، مرجع سابق، ص 13.

1.1السور (الحصن أو القلعة)

أحد أروع وأضخم البنايات الأثرية الموجودة بالمدينة. تأسس هذا المعلم سنة 535 ميلادي على يد القائد الروماني "**سولومون**" **في عهد الإمبراطور** "**جستنيان**"،[1] شيد هذا الصرح الأثري لحماية المدينة وبسط سلطان البيزنطيين في المنطقة وضرب الأعداء. حسب المؤرخين، فإن هذا المعلم كانت أغلب أجزائه منهارة وقام الفرنسيون بترميمها خلال الحقبة الإستعمارية كما إستعملوا جزءا كبيرا منه كثكنة عسكرية. لهذا المعلم ثلاثة أبواب أصلية : باب كاراكلا – باب سولومون وباب شهلة، ثم أضاف الفرنسيون ثلاثة أبواب صغيرة أخرى، تعرض خلال سنوات 1960–1970م الى تهديم باب شهلة وباب قسنطينة خضع لعملية ترميم وتنظيف بمادة الرمل مرة خلال سنوات 1980، أقيمت عليه عدة دراسات من طرف علماء الاثار يعيش هذا المعلم وضعية جد متدهورة جراء رمي الأوساخ وحرق جدرانه وتشوه منظره وإنتشار الباعة والمتسولين حوله.



صورة (33): صورة حديثة للسور البيزنطي –آثار تبسة
المصدر: موقع ولاية تبسة، مرجع سابق

[1] تبسة مونوغرافيا سياحية، مرجع سابق، ص 12.

1.2المدرج المسرحي

هو من البنايات الأولى التي شيدها الرومان بالمنطقة، فقد تم بناؤه في عهد القنصل الخامس الإمبراطور "**فسباس يانوس**" سنة 75 ميلادي،[1] أستعمل هذا المدرج كملعب أو مسرح وأحيانا لألعاب المصارعة بين الفرسان وأسرى الحرب أو مع الحيوانات المفترسة. حسب العالم **سيري دوروش** فقد تم إكتشاف شكله الدائري أثناء عمليات الحفر والذي يقدر قطره بـ 65-50 مترا .

بالنظر الى عمليات الحفر التي قام بها العلماء يعتبر المدرج المسرحي حديث الإكتشاف سنة 1859 حسب السيد "**هول**" مكتشف هذه الرائعة المستديرة، لهذا المدرج أربعة مداخل وحجرات للفرسان والعبيد والحيوانات لمفترسة، يعد المدرج المسرحي مصنفا وطنيا ويعتبر أحد المتاحف على الهواء الطلق موقعه مسيج لكنه يتعرض يوميا لرمي الأوساخ بسبب جواره للسوق كما أنه مغمور بالتربة ويتطلب دراسة شاملة لإبرازه وتهيئته .



صورة (34): منظر لآثار المدرج المسرحي –آثار تبسة

المصدر: موقع ولاية تبسة، مرجع سابق

[1] تبسة مونوغرافيا سياحية، مرجع سابق، ص 13.

1.3 البازيليك

رائعة تاريخية وتحفة مربعة، هي بيت الآلهة عند الرومان وكثير الشبه بالبيت المربعة، تأسس هذا المعلم في عهد الإمبراطور "**سبتيم سيفار**" سنة 193–217 م، وقد تم إهداؤه إلى "**مينارف**" آلهة الحكمة في تلك الحقبة، وفي سنة 1889 إتخذه الفرنسيون متحفا ويحيطه سور لا يعرف تاريخ تأسيسه.

يقع معبد مينارف على يمين قوس النصر من الجهة الداخلية له شكل مستطيل تتقدمه أربعة أعمدة متشابهة طوله 19 متر وعرضه 9 أمتار ومدخله الرئيسي بسلم هرمي الشكل وله بوابة كبيرة تتقدمها بيت الالهة عند الرومان وبها غرف سفلية مقوسة الشكل.



صورة (35): صورة حديثة للباز يليك –آثار تبسة

المصدر: موقع ولاية تبسة، مرجع سابق

1.4معصـرة برزقـــال

شيدت حوالي سنة 78م في عهد الإمبراطور "**تراجانوس**"، وتعتبر أكبر معصرة زيتون في أفريقيا حيث صنفت كمعلم أثري سنة 1980،[1] تقع على الطريق الرابطة بين مدينة تبسة ومدينة بئر العاتر على بعد35 كلم جنوب تبسة، كانت تستغل في عصر الزيتون، أكتشف هذا المعلم من طرف الفرنسيين وتشير المراجع إلى أن هذه المعصرة كانت تضم طوابق وتغطي أكثر من 2000 متر مربع.

معصرة برزقال مقسمة إلى أربعة أقسام رئيسية بجدارين متوازيين، وتوجد بها سبعة أبواب في كل واجهة، وتضم كل جهة عدة معاصر، يعطي هذا المعلم صورة واضحة عن الحياة الإقتصادية والفلاحية بالمنطقة في عهد الرومان وتصنف الثانية بعد معصرة الناظور بتيبازة، تعرضت أكثر من مرة إلى النهب والحفر العشوائي وهي اليوم في حالة تهميش قصوى بعدما كانت سابقا محجة للزوار ومعلما سياحيا هاما

[1] تبسة مونوغرافيا سياحية، مرجع سابق، ص13.

خلاصة الفصل

من خلال تقديم دراسة مونوغرافية لمدينة تبسة فقد تحصلنا على قاعدة معرفية للمجتمع التبسي مجال الدراسة الميدانية وخصائصه الاجتماعية والثاقفية لتساعدنا في فهم ما سيتم تناوله وتحليله في الإطار الميداني، فهذا الفصل عبارة عن فصل تمهيدي للجانب الميداني.

الباب الثالث

الإطار الميداني

تمهيد الإطار الميداني

جاءت هذه الدراسة للبحث في عمارة المسكن بإعتبارها منتوج ثقافي رمزي، وكذا البحث عن مختلف الدلالات الإجتماعية والثقافية التي تظهر في التمثلات والتصورات والمعتقدات والممارسات المرتبطة بالمسكن والتي تعكس هوية المجتمع، لذا ومن أجل الإجابة على التساؤلين الثاني والثالث لإشكالية بحثنا هذا، فقد ركزنا في الإطار الميداني على البحث في:

أولا: تمثلات وإعتقادات سكان مدينة تبسة تجاه مساكنهم، وكان موضوع الفصل الرابع من هذه الدراسة والذي عنون بـ: **المسكن في المخيال الشعبي** والذي قسم إلى عنوانين هما:

- المسكن بإعتباره تمثل يعبر عليه برمز
- المسكن كل إعتقاد يعبر عليه بطقس

ثانيا: إنعكاس الممارسات السكنية والمجالية وما تنتجه من أبعاد ثقافية وعلاقات إجتماعية على عمارة المسكن، من جهة ومن جهة أخرى تأثير العمارة على الثقافة، وهو موضوع الفصل الخامس من هذه الدراسة والذي عنون بـ **المسكن: من فضاء مُنتَج إلى فضاء منتِج**

ولإعتمادنا أساسا على منهج التأويل الرمزي في البحث في معنى ودلالة الرموز، والتي تظهر إما من خلال الأشكال والعناصر المعمارية التي تدخل في تكوين المسكن، وإما من خلال السلوكات والممارسات المرتبطة به بإعتباره فضاء معاش، وإما من خلال الملفوظ الشفهي كالأمثال الشعبية المتداولة، فقد

إستـعنا في جمع المـادة المـيدانية على التـقنيات التـالية :

- الملاحظة المباشرة: لكل ما يدخل في التكوين الداخلي والخارجي للمسكن من أشكال مادية ووظيفية ومواد بناء، وتفاصيل جمالية ..إلخ.
- الملاحظة بالمعايشة: حيث أننا (الباحث) ننتمي للمجتمع المدروس وهو المجتمع التبسي، وهذا ما ساعدنا في معايشة مختلف الطقوس والسلوكات المتعلقة بالمسكن.
- الإستعانة بالإخباريين: حيث تم الإستعانة بثلاثة نساء كمخبرات، تم الإعتماد عليهن في جمع وتحليل المادة الميدانية، وقد أخترن بعناية نظرا لما تملكن من صفات ساعدتنا في البحث، حيث تميزن بتجاوز العقد السادس من العمر، ناهيك عن أنهما لم تتلقيا أي تعليم في صغرهما، وهذا ما ميزهن بتمسكهن القوي بالعادات والتقاليد والطقوس والممارسات التقليدية، كما أنهن من قدماء سكان الحي وهذا ما جعلهن ملمات بتفاصيل الحي وسكانه.
- المقابلة: حيث تم إجراء مقابلات مع عينة تتكون من 30 شخص من كلا الجنسين، للبحث في تمثلات وتصورات ومعتقدات السكان حول مساكنهم، بالإضافة إلى البحث في طبيعة العلاقات الإجتماعية بين الأفراد داخل المسكن وخارجه وتأثيرها على عمارة المسكن.
- التصوير الفوتوغرافي: بإستخدام الصور الفوتوغرافية لجمع كل ما يمكن توثيقه من أشكال وعناصر معمارية تدخل في إنشاء المسكن.

الفصل الخامس

المسكن في المخيال الشعبي

تمهيد:

المسكن من منظور أنثروبولوجيا الرمز والمخيال يتجاوز كونه فضاء مادي إلى كونه فضاء رمزي إجتماعي وثقافي، يعكس هوية ساكنيه من خلال الممارسات السكنية والعلاقات الاجتماعية التي تنتج داخل حدوده.

يعرف الأنثروبولوجي **مارسال موس** Marcel Mauss الممارسة السكنية بأنها ظاهرة كلية، تتعدد فيها الأبعاد والدلالات المتضمنة في الأشكال المادية والتعبيرات السلوكية، هذه الأبعاد والدلالات يمكن قرائتها لفهم ما تتضمنه من تصورات وقيم.

سنقدم في هذا الفصل تحليل سيميائي لمساكن حي من أحياء مدينة تبسة "حي جبل الجرف" حيث يعتبر من أقدم أحياء مدينة تبسة، تتميز عمارته بكونها عمارة شعبية بناها سكانه إنطلاقا من إحتياجاتهم وتمثلاتهم، وبذلك فهي تعكس ثقافتهم وهويتهم، هذا التحليل السيميائي من خلال وحدات رمزية أختيرت بشكل يخدم الموضوع، تمثلت هذه الوحدات في:

- **الأشكال المعمارية:** التي تتمثل في المكونات والعناصر المعمارية التي تدخل في تكوين المسكن وتضم:

✓ **الشكل:** فنقصد به النمط المعماري والأشكال المادية المكونة للمسكن على مستوى المخطط والواجهات، بالإضافة إلى مكوناته الداخلية من أثاث.

✓ **الوظيفة:** فبالإضافة إلى وظيفة المسكن الأساسية والمتعارف عليها والمتمثلة في إيواء ساكنيه، إلا أن له وظائف أخرى ثانوية وقد تكون مخفية ترتبط بالتصورات الذهنية التي يكونها الأشخاص حول مساكنهم. فهي تختلف من مجتمع محلي لآخر.

- ✓ **الرمز**: فالتصورات الذهنية التي يكونها الأشخاص حول فضاء مسكنهم تظهر على شكل رموز وممارسات. فعمارة المسكن لا تقتصر فقط على هندسة الفضاء، بل تتعدى ذلك إلى مجموع التمثلات والممارسات المجالية.

- **الأفكار الشعبية**: والتي تمثلت في: التمثلات، المعتقدات، الملفوظ الشفهي كالأمثال.
- **الممارسات الشعبية**: التي تتمثل في الطقوس، العادات وبعض السلوكات اليومية.

أولا: المسكن: تمثل ورمز

I. حميمية المسكن:

الحميمية حسب المعجم اللغوي هي العلاقة التي تحكمها المودة العميقة المتبادلة، وهي بشكل عام الشعور بالإنتماء بإتجاه شيء ما (شخص أو مكان أو ...)، فالحميمية هي شعور بالإكتفاء.[1] يخلق الإحساس بالحميمية تجاه المكان من خلال الإحساس بوجود علاقة خاصة تربطك به، شعورك بعلاقة إنتماء، ألفة وأمان لهذا المكان، كما تتجلى علاقتنا الحميمية بالمكان الذي نسكن فيه من خلال الإنطباعات والمشاعر التي يتركها فينا خاصة بعد مغادرتنا له، فالحميمية تجاه المكان هي تلك العاطفة الجياشة التي نشعر بها تجاهه. وتخلق تجاه المكان إنطلاقا من إرتباطه الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش، للوجود، لفهم الحقائق الصغيرة، لبناء الروح، للتراكيب المعقدة والخفية، لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة.[2] وتزداد هذه الحميمية كلما زاد إنغلاقه على ذاته، فالأماكن المغلقة تعطي إحساس بالأمان والألفة لأنها ترمز إلى الخفي والسري والخاص.

---

[1] جيلبير دوران، مرجع سابق، ص 225.

[2] ياسين النصير، **إشكالية المكان في النص الأدبي دراسات نقدية**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1986، ص 395.

1. المسكن تحقيق للوجود وإمتداد للذات

يعرف **غاستون باشلار G. Bachelard** المسكن بأنه زاويتنا وركننا من العالم، وهو عالمنا الأول وفضائنا،[1] هذا ما نستشفه من إجابات المبحوثين على سؤال ماهو مفهومك للمسكن؟ وسؤال ماذا يمثل بالنسبة لك ؟ فكانت الإجابات كالتالي:

- كي تكون عندك الدار تقدر تعيش متهني، ومهما واش يصرالك في النهار في آخر الليل تلقى وين تحط راسك باه ترتاح (في مسكنك تعيش مرتاح فمهما يحدث لك من مصاعب في الحياة ستجد في آخر النهار مكان للراحة).
- كي تكون عندك دار تعيش بقدرك، وواحد ما يقدر يهينك، الدار تمد قيمة للعبد (في مسكنك تعيش بقيمتك ولا أحد يستطيع إهانتك).
- غير دارك اللي تلمك (مسكنك فقط الذي يحتويك)
- دارك تقدر دير فيها واش تحب، وكيما يقول المثل الشعبي "دارك تستر عارك" (مسكنك تستطيع أن تفعل فيه ما تريد)
- داري أكيد هي أكثر بلاصة نعيش فيها مرتاح خاطر أنا المسؤولة عليها وعلى تأثيثها وتنظيمها يعني كلشي فيها كيما نحب أنا. (المسكن أكثر الأماكن المريحة بالنسبة لي، لأنني أنا(المبحوثة) المسؤولة عليه وعلى تنظيمه وتأثيثه، وكل شيء فيه كما أريد).
- "من خرج من دارو قل مقدارو" معناه أنو الدار تمدلك قيمة وقدر خير ماتبقى هايم فالشارع.

---

[1] القصير عبد القادر، **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)**، دار النهضة العربية، بيروت، 1999 ص. 169

من قراءة هذه الخطابات نجد أن المسكن يمثل في المخيال الشعبي الفضاء الذي يشعرنا بالإكتفاء والأمان والراحة والإستقلالية، وهو محميتنا الخاصة، وهو عالمنا المصغر الآمن الذي نعود إليه محتمين به من العالم الخارجي غير الآمن، كما أنه يزخر بتفاصيل ذواتنا التي تنعكس على جميع مكوناته، فمن مخطط المسكن وما يحتوي من غرف وأبعادها وطريقة توزيعها، إلى أبسط أثاثه وزخارفه هو نتيجة رغبات وميولات وذوق ومبادئ صاحبه، فهي تعكس القيم المادية والإجتماعية والجمالية ذات الدلالات الثقافية.

فعلاقة الإنسان بمسكنه تتجاوز علاقته بكيانه الفيزيقي وحدوده المادية، وتتعدى ذلك الى علاقة ترابطية تبادلية تؤثر وتتأثر بكامل تفاصيل حياته ومزاجه، يقول أحد المبحوثين يعمل ميكانيكي سيارات في شرح طريقة تخطيطه لمنزله ليجعل منه المكان الآمن الذي يعود إليه بعد عمل شاق ليوم كامل في ورشته: عند المدخل فناء واسع فيه مصدر مائي (حنفية) لتنظيف يديه ورجليه، بالإضافة لدورة مياه، فالفناء بالنسبة له يمثل فضاء للتخلص من آثار العالم الخارجي (العمل) وتهيئته للدخول لباقي فضاءات المسكن فهو الوسيط بين الفضاء العام المفتوح (الشارع) والفضاء الخاص المغلق (المسكن)، أما رمزيا فهو فضاء مفتوح تلتقي به العناصر الأربعة للطبيعة وهي: الأرض، الماء، الهواء والشمس، ليمثل بذلك الكون المصغر الخاص بأصحاب المسكن، بعد الفناء ينتقل إلى رواق وهو فضاء موزع لباقي فضاءات المسكن حيث يجد أولا السلم فينتقل إلى غرفة النوم التي تكون بالطابق الأول ليرتاح قليلا بعيدا عن الضجيج فالطابق الأول يحوي فقط غرف نوم وبذلك فهو يمثل فضاء الراحة، بعدها يعود إلى الطابق الأرضي إلى المطبخ للأكل، وغرفة الجلوس أين يجتمع مع باقي أفراد أسرته، فمخطط المسكن يتماشى مع تفاصيل معاشه اليومي، وحتى أثاثه الداخلي، فنجد أن الأثاث البسيط الذي يعكس الحالة المادية البسيطة للأسرة يعكس أيضا طريقة حياتها، وإهتماماتها ونمط تفكيرها، فبعض الأثاث قديم جدا، ومنه حتى المتوارث من

الأجداد (مثل بعض الأواني أو الأفرشة) حيث صرحت زوجة المبحوث أنها لازالت تملك بعضا من الأشياء (بعض الأواني النحاسية والألبسة) التي تعود لأمها، ويعكس ذلك إرتباط الأسرة بماضيها خاصة الأم التي تحتفظ بقدر الإمكان بكل ما هو قديم وقابل للإستعمال، وذلك كشكل من أشكال الحنين إلى الماضي وبتعبير المبحوثة "نشم عليها في ريحة ماما الله يرحمها"، كما أن معظم الأثاث ذو صفة تشاركية (كالتلفاز، خزانة الملابس، المكتبة .. إلخ)، من أجل أن تحافظ العائلة على العلاقات الترابطية المتينة بين أفرادها.

إن الإنسان في حاجة دائمة إلى الإقرار بوجوده، والبرهنة على كينونته، وذلك من خلال الإقامة في مكان ثابت، سعيا وراء رغبة متأصلة في الإستقرار وطلب الأمن للذات،[1] فالمكان ليس عاملا طارئا في حياة الكائن الإنساني، وإنما معطى سيميوطيقي، والمكان يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني ليصبح جزءا منه، فالمكان هو الفسحة التي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم.[2] ويعتبر المسكن أكثر الأماكن إرتباطا وصلة بأصحابها، فمسكن الإنسان إمتداد لذاته.

والمسكن يشبه جسم الإنسان في تخطيطه، فتقسيم المسكن الى أجزاء حسب الوظيفة (جزء للنوم وجزء للأكل وجزء للاستراحة ...الخ) يستدعي مثيلاتها التشريحية أكثر مما قد تثير من تخيلات معمارية، إذ يشبه بودوان المنزل بالجسد فيرى أن الغرف تمثل الأعضاء، وتمثل النوافذ العيون التي يرى من خلالها العالم الخارجي، وتمثل الممرات الأحشاء الداخلية، ويرى ريلكه Rilke أن السلالم تمثل العروق التي

---

[1] حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)**، المركز الثقافي العربي، ط 1، المغرب، 1990، ص 53.

[2] خالد حسين حسين، **شعرية المكان في الرواية الجديدة–الخطاب الروائي لإدوارد الخراط نموذجا**، مؤسسة اليمامة، ط1، الرياض، 2000، ص 60.

تصل بين مختلف الأعضاء (الغرف).[1] كما يعتبر **غاستون باشلار G. Bachelard** المسكن كائن حي فيقول: البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول.[2]22

2. إنغلاق المسكن على ذاته:

أشار الباحث شاكر لعيبي في كتابه "العمارة الذكورية" إلى مصطلح "الإستقلالية" الذي يميز المسكن العربي، وهو تعبير يشير إلى الإكتفاء الذاتي للمسكن العربي، وسعيه إلى أن يكون مجتمعا مصغرا منغلقا على نفسه، ويمتلك أقل العلائق مع المجتمع الكبير الذي يتمثل في العالم الخارجي، فهذا العالم (الخارجي) معادي ويتوجب التقليل قدر الإمكان من الإحتكاك به، وقد إستطاع المسكن محل الدراسة الإنغلاق على ذاته من خلال التقليل قدر المستطاع من الفتحات نحو الخارج، وإذا وجدت فقد أحكم إغلاقها، فنجد بعض الواجهات تخلو من النوافذ، وجدران مرتفعة، ونوافذ وأبواب محكمة الإغلاق، كل هذه المميزات المعمارية تهدف الى عزل العالم الداخلي للمسكن عن خارجه.

- **واجهات شبه الصامتة**: نقصد بالواجهة الصامتة الواجهة التي لا تحوي على أي نوع من أنواع الفتحات (نوافذ، أبواب، شرفات، أسطح، فرندات ..الخ). الفتحات في الواجهات بالإضافة لدورها الجمالي والوظيفي الذي يتمثل في الإضاءة والتهوية، فهي وسيلة من وسائل التواصل مع العالم الخارجي والإستمرارية معه، فالنوافذ وأبواب الشرفات عادة ما تكون مصنوعة من مادة الزجاج الذي يسمح للمجال البصري بتجاوز المجال الفيزيقي المبني وبذلك تعطي للساكن إحساس

[1] جيلبير دوران، مرجع سابق، ص 221.

[2] Marion Segaud. et autres (sous-direction), Op, cit, P 6

بإستمرارية الداخل مع الفضاء الخارجي المحيط، كما أن الشرفات والأسطح هي فضاءات "خاصة/عامة" تسمح بالتواصل المباشر والسريع مع الشارع.

في المجال المكاني للدراسة، نجد أن المساكن تتميز بواجهات شبه صامتة كما في الصورة (35) فهي بالرغم من أنها تحتوي على شرفات غير أنها لا تؤدي وظيفتها كمكان للراحة، والنوافذ في معظم الأحيان تكون مغلقة ولا تفتح إلا قليلا مع وجود ستائر تحجب الرؤية خاصة إذا كانت في الطابق الأرضي أو كانت تطل على شارع رئيسي كما في والصورة (36) وذلك لحجب الرؤية، ويكون الحجب هنا من الجهتين (الداخلية والخارجية)، فكما يحرص صاحب المسكن على ضمان حجب مسكنه عن العالم الخارجي، فهو يسعى أيضا لإبعاد العالم الخارجي عن مسكنه، فالنوافذ والشرفات هنا تنحصر وظيفتها الأساسية فقط في التهوية بالأساس والإضاءة ولا تسمح بالإتصال بالعالم الخارجي بصريا إلا في الحدود الضيقة، ويهدف ذلك إلى ضمان زيادة عزل المسكن عن العالم الخارجي وإنغلاقه أكثر على ذاته من أجل زيادة حميميته، فأكثر ما يعطي الحميمية لمكان ما هو إنغلاقه على ذاته.

- **إرتفاع جدران السطوح:** إن إرتفاع جدران السطوح كما في الصورة (36)، والذي قد يصل في بعض الأحيان إلى إرتفاع طابق كامل، ليس فقط من أجل الأمن والحماية من اللصوص، وإنما من أجل زيادة إنغلاق المسكن على نفسه، فالسطح عادة يستخدم كمكان لتجفيف الغسيل في النهار، أو كمكان للإستراحة تحت نسمات الهواء الباردة في ليالي الصيف الحارة، فهو فضاء يستغل في فترات محددة وقصيرة من اليوم، وبالرغم من ذلك فالساكنين يحرصون على إنغلاقه على العالم الخارجي.

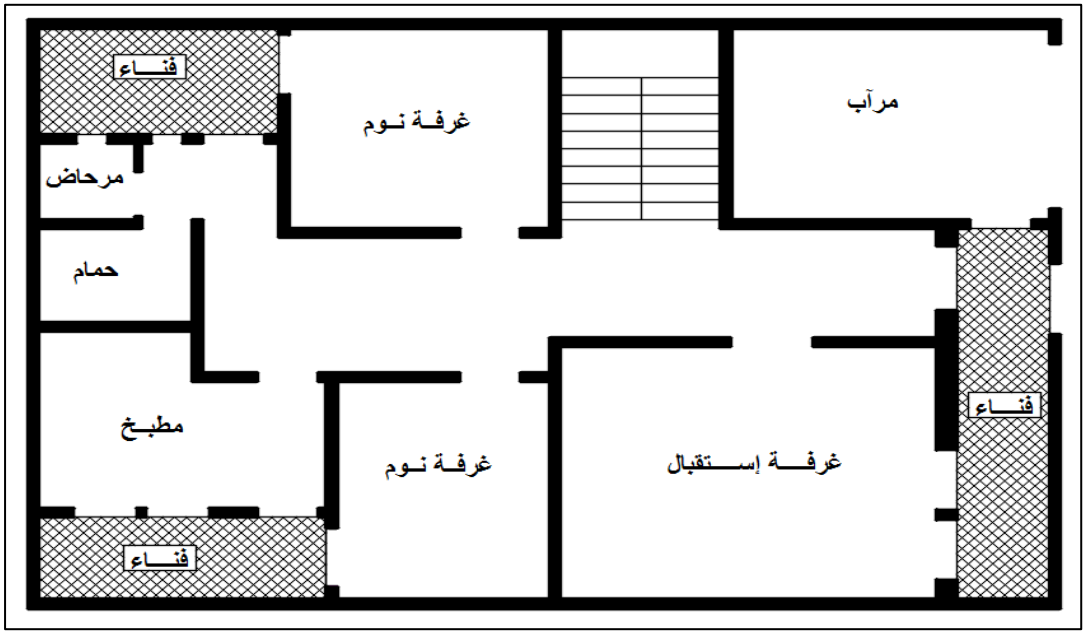


الصورة (36): واجهة أحد المساكن (وهي تشبه الكثير من الواجهات) وهنا نلاحظ أن الطابق الأرض يحتوي على نافذتين صغيرتين (هما نافذتا الحمام وبيت الراحة) والطابق الأول يحوي نافذة واحد مغلقة لا تفتح إلا نادرا، أما بقية الغرف فلها نوافذ تطل على الفناء الداخلي (الحوش) وهذا لتوفير الخصوصية للمسكن. المصدر: الباحث



الصورة (37): واجهة أحد المساكن، نلاحظ أن جزء من الشرفة قد تم غلقه ببناء جار، والجزء الباقي تم غلقه بنافذة حديدية بالإضافة إلى ستارة غير كاشفة، كما نلاحظ ارتفاع جدار السطح. كل هذه الإحترازات من أجل ضمان خصوصية المسكن. المصدر: الباحث

- **<u>التوجيه الى الداخل</u>:** حيث نجد أن مخططات معظم المنازل تعتمد على مبدأ التوجيه الداخلي حيث تطل النوافذ على أفنية داخلية بدل الشارع، كما نلاحظ في الصورة (37). وهذا ما يتيح حرية إستعمال هذه النوافذ في الفتح، وكل هذا من أجل الحفاظ على خصوصية المسكن وما داخله من أعين المتطفلين، في مجمل تصريحات المبحوثين فبالإضافة للدور الرئيسي للفناء الداخلي وهو توفير كل من الإضاءة والتهوية لمختلف الغرف المتصلة به، فإن له دور نفسي وروحي يتمثل في كونه بديل عن العالم الخارجي، فالفناء يمثل الكون المصغر الخاص بأصحاب المسكن



الصورة (38): شكل تخطيطي لإحدى المساكن، حيث نلاحظ أن صاحب المسكن قام بخلق ثلاث أفنية صغيرة في مختلف زوايا المسكن لتفصله عن العالم الخارجي، حيث أن النوافذ (ممثلة بفتحات) بالإضافة إلى المدخل الرئيسي تطل على هذه الأفنية، وليس لها إتصال مباشر بالعالم الخارجي. المصدر: الباحث

- **<u>أبواب ونوافذ مغلقة بإحكام</u>:** أغلبية مساكن مجال الدراسة كان لها باب خارجي إضافي حديدي يغلق بإحكام، أما النوافذ المطلة على الخارج فنجدها غير كاشفة للفضاء الداخلي كما في الصورة (36) فإما نجدها قد صنعت من الزجاج غير الكاشف أو مضاف إليها ستائر من الداخل، كما يضاف إليها من الخارج شبابيك حديدية، وحسب رأي أصحاب هذه المساكن فإن هذه العناصر وظيفتها هي توفير الحماية والأمان.

إن للأبواب والنوافذ بالإضافة لوظيفتها الأساسية التي تتمثل في كونها عنصر الإنفتاح على العالم الخارجي، فإن لها دلالة رمزية تتمثل في كونها تمثل مصدات إجتماعية، فهي بشكلها وحجمها وصلابتها تعطي إنطباع بأن المسكن فضاء خاص وحميمي ولا يمكن لأي كان الدخول إليه بسهولة، فهي بالمقابل عنصر الإنغلاق ومنع كل أشكال الإختراق.

II. <u>المسكن والحرمة:</u>

1. <u>المرأة: حرمة الدار</u>

المسكن بالنسبة لسكان مجال الدراسة فضاء خاص جدا وحميمي، يحتاج حسب التقاليد لإجراءات إحترازية لدخوله وذلك للحفاظ على حرمته وحرمة ما داخله والذي يتمثل أساسا حسب ما صرح به أغلبية المبحوثين في "المرأة"، فالمرأة في الذهنية الشعبية هي رمز الشرف، ولا بد من الحفاظ على هذا الشرف بستره، والمرأة حتى وإن كانت تشغل وظيفة تظطرها للخروج، تبقى بمجرد إنتهائها من العمل ودخولها المنزل لا بد أن تصان داخله ولا تتكشف أمام الآخر الغريب عن أهل المسكن، فالمرأة تمثل الحرمة والحرمة هي مالا يحل إنتهاكه بأي شكل من الأشكال (حتى لو بالنظر)، وتمثل العتبة أول حاجز رمزي في المسكن والذي يعيق إنتهاك حرمة المسكن.

إن الإعتقاد المتوارث في هذا المجتمع المحلي (والذي هو جزء من المجتمع الجزائري) لعلاقة الرجل بالمرأة والتي تتميز بالهيمنة الذكورية التي تتجسد في هيمنة الرجل على المرأة والإيمان بشرعنة تسلطه في كافة المجالات معتمدا في ذلك على الإيمان بفوقيته، يجعل من المرأة ملكية خاصة للرجل (ليس الزوج فقط، قد يكون الأب أو الأخ أو الإبن)، وبذلك فهو في سعي دائم لحماية هذه الملكية من خلال وضع الحدود لفضائه الفيزيقي، وقد أشارت **جرمان تيليون Germaine Tillion** عن ذلك في كتابها "الحريم و أبناء العمومة" بقولها: «ليس هناك شيء أكثر كشفا للمجتمع المغاربي من المظهر الفيزيقي المادي للقرية والدوار والمنزل العربي الحضري، فحول هذا المنزل نجد أسوارا عالية بلا نوافذ تحفها زجاجات مكسرة، وحول القرية نجد كل الدفاعات الطبيعية من الخنادق إلى الشوك الهندي الذي يحيط الخيم إلى قطعان من الكلاب المتوحشة، ولكن أكثر من توحش الكلاب نجد ذلك التقديس للمكان والذي تقترن حمايته بالشرف أو الحرمة». فالحرمة كما إعتبرتها **تيليون Tillion** هي "نوع من التقديس الوحشي للفضاء"[1]

2. العتبة: تجسيد رمزي للحرمة

العتبة (العَتْبَة باللغة العامية) هي الحد الفاصل بين العالم الخارجي والداخلي للمسكن، تكون عند المدخل مباشرة، وفي بعض المنازل يتم خلق مساحة صغيرة بعد المدخل مباشرة تعتبر فضاء "نصف خارجي/ نصف داخلي" يهيئ للإنتقال من الشارع الى المسكن، من العام إلى الخاص، كما نجد بعض المداخل تشبه مدخل البيت العربي الإسلامي الذي يتميز كما ذكرنا في الفصل السابق بإنكسار يخلق فضاء يحفظ للعائلة نوع من العزل البصري عن الشارع في حالة ما إذا فتح الباب.

[1] سليمان بومدين، مرجع سابق، ص 50.

العتبة تفصل بين عالمين مختلفين: العالم الخارجي (الشارع) الذي يمثل الفضاء العام والعالم الداخلي (المسكن) الذي يمثل الفضاء الخاص، كما أن شكلها الذي يتمثل في إرتفاع بسيط يشبه درجة السلم يوحي بكونها حاجز لابد للوقوف عنده قبل الدخول.

أما عبورها (خاصة من الشخص الغريب عن أهل المسكن) فيتطلب حسب تصريحات المبحوثين سلوكات خاصة تتجسد في: قبل العبور قد يلجأ الشخص إلى إصدار صوت تنبيهي (كأن يقول بسم الله بصوت مرتفع) أو السعال، أو طرق الباب ثم الإبتعاد قليلا منتظرا الإجابة، أو إرسال طفل صغير للطرق أما عند الدخول فيكون إتجاه النظر إلى الأرض، وتبقى كل هذه السلوكات من أجل المحافظة على خصوصية المسكن وحرمته، يقول أحد المبحوثين: "لازم تستأذن قبل ما تدخل ديار الناس وهذه وصانا عليها ربي في القرآن"، بمعنى لا بد من الإستئذان قبل دخول مسكن الغير وهذه من تعاليم ديننا الحنيف فقد أوصانا الله تعالى بذلك، فقد جاء في سورة النور، يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29)"[1]

[1] القرآن الكريم، سورة النور، الآية 27-29.

III. المسكن بين الذكورية والأنثوية

1. المسكن والهيمنة الذكورية

يراعي مخطط المسكن بدرجة أساسية توفير أجواء إجتماعية مثالية للرجل، بينما يسعى الى عزل المرأة وتقييد حريتها حتى داخل المسكن، وهذا يوضح لنا مفهوم الذكورية في العمارة، هذا المفهوم الذي يتجسد من خلال الشكل المادي الظاهري للمسكن وكذلك في طريقة إستغلال الفضاء الداخلي والسلوكات التابعة لهذا الإستغلال.

- **الرجل من يصمم مخطط المسكن:**

الرجل هو من تكون له صلاحيات تصميم المسكن (عدد الغرف، حجمها وموقعها)، أو تعديله حسب رغبته وإحتياجاته، خاصة إذا كان المسكن فردي مستقل عن مسكن العائلة، أما المرأة فلا يكون غالبا لها دور في ذلك، وفي الكثير من الأحيان يقوم الرجل ببناء مسكنه قبل زواجه، فلا يكون للمرأة فرصة للمشاركة في تخطيط التصميم، بالمقابل نجد أن المرأة غالبا لا تطمح إلى المشاركة في تخطيط التصاميم، وقد صرح العديد من النسوة اللاتي تمت مقابلتهن والحديث معهن بإعترافهن بأن تصميم مخطط المسكن هي مسؤولية الرجل وحده، وهو يعرف جيدا كيف يجب أن يكون المسكن، كما أن له معرفة بمواد البناء المتاحة في السوق وأسعارها، ففي إعتقادهن أن الرجل هو القادر على إدارة جل الشوؤن العامة للأسرة بما لا تستطيعه المرأة، وهذا الإعتقاد نجده عند المرأة والرجل على حد سواء.

- **أهمية الفضاء الرجالي على الفضاء النسوي داخل المسكن:**

كما ذكرنا سابقا فإن مخطط المسكن يراعي بدرجة أساسية توفير أجواء إجتماعية مثالية للرجل بالرغم من أنه لا يقضي وقتا كثيرا في المسكن، فمعظم وقته يكون خارجه (مكان العمل أو السوق نهارا

وفي المقهى أو الشارع مساءا)، نجد أن غرفة الجلوس التي عادة ما تخصص للضيوف الرجال، أما الضيوف النساء فيستقبلن في غرفة من غرف النوم أو المطبخ، نجدها هي أكبر الفضاءات مساحة والأقرب للمدخل، كما أنها الفضاء الذي يحظى بإعتناء أكبر بالجانب الجمالي من حيث الأثاث والديكور. كما نجد أيضا تمييز بين غرف الأبناء الذكور وغرف البنات من حيث المساحة والأثاث أيضا، حيث وفي أحد المساكن التي زرناها في مجال الدراسة، وهو مسكن مكون من ثلاثة غرف نوم وغرفة جلوس ومطبخ وحمام ومرحاض وفناء، تسكنها عائلة مكونة من خمسة أفراد: الوالدين وبنتين إحداهما في المرحلة المتوسطة والأخرى في المرحلة الإبتدائية وأصغرهم طفل في المرحلة الإبتدائية، نجد أنه قد خصص غرفة نوم للوالدين، وغرفة نوم للبنتين، وغرفة نوم خاصة للطفل، فالطفل بالرغم من كونه الأصغر سنا لكنه حظي بغرفة فردية، كما كانت لها عناية خاصة من حيث الأثاث والديكور، فالإعتقاد السائد يفرض أهمية وأولوية الرجل (الذكر) مهما كان (أب، زوج، أخ، إبن ..) على المرأة (الأنثى) حتى في أبسط السلوكات وهذا الإعتقاد أيضا نجده عند المرأة والرجل على حد سواء.

العمارة من الحقول التي تجسد لنا مفهوم "النزعة الذكورية"*هذا المفهوم الذي يسعى إلى فرض تمييز بين الرجل والمرأة، تمييز يعطي للرجل الأفضلية، قد تصل في بعض الأحيان حتى الى التحقير والدونية للمرأة، ولا ترتكز هذه النزعة على العامل الجنسي (البيولوجي) بقدر ما ترتكز على الإعتقاد بأهلية الذكور وقدرتهم على تحمل أعباء الحياة العامّة بما لا تستطيعه الإناث، وهو الإعتقاد الذي إنتقل من الذكور الذين هم مصدره والأحرص على إشاعته، إلى الإناث اللاّئي لم يلبثن مع الوقت، من تقبله

* النزعة الذكوريّة في الاجتماع الإنسانيّ، نزعة عريقة في التاريخ، تعود إلى آلاف السنين، منذ تَفَكُّك النظام الأميسيّ (الماتْرِيَرْكيّ)، ونشأ في أعقابه النظام الأبويّ (البَطْرِيَرْكيّ) غداة إنقسام المشاعة البدائيّة وبداية نشوء ظاهرة تقسيم العمل وتفرُّغ الرجل حينها للعمل (الاقتصاديّ).

ثم الإيمان به. فالنزعة الذكوريّة هي إعتقاد جمعي يسعى إلى تحقيق رغبات "الأنا الذكورية" من خلال سيادة الذكر وهيمنته وتسلطه على حساب المرأة، ومن خلال سلبها لحقوقها وحرياتها الفردية.

تظهر النزعة الذكورية منذ بداية تخطيط المسكن الى غاية السكن فيه، بشكل معلن ومرئي من خلال التخطيط الفيزيقي الذي يعطي أهمية وأفضلية للفضاء الذكوري على الفضاء النسوي، وبشكل غير معلن أين تظهر أيضا على شكل رموز وسلوكات إيحائية وملفوظ شفهي في المعاش اليومي، فنسمع الخطابات:

- "الدار ماكانش" ويقصد بها أن المرأة غائبة عن المسكن.
- "قاتلك الدار جيب معاك .." يقولها الطفل لأبيه عندما يكون هناك غرباء معه.
- "الدار لاتيين" بمعنى أن المرأة منشغلة.

فالدار هنا يقصد بها المرأة (أو الزوجة)، وقد أستبدلت لفظيا لأن البوح بها وبإسمها ممنوع أمام الغرباء فيستبدل بضمير الغائب "هي"، أو أشياء وجمادات ذات صلة بها تنوب عنها.

أما فيزيقيا، فالرجل يعتمد في وضع مخطط للمسكن على ما يراه هو مناسبا متجاهلا دور ورأي المرأة، فيخطط بناءا على إحتياجاته ورغباته المشروطة بوعيه الإجتماعي والثقافي الذي يعكس نظرته لنفسه بأنه هو المفكر والمسؤول، بالمقابل يعكس نظرته للمرأة بأنها "ملكية خاصة له لا بد من أن تتبعه في كل شيء حتى في رأيها، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا بد من حمايتها بإبقائها بعيدة عن أعين الغرباء، ويتم ذلك من خلال وضع الحدود والحواجز لفضائه الفيزيقي (كما ذكرنا سابقا).

2. المرأة في المسكن بين الحرية والسجن

- **المسكن عالم المرأة**

نجد في الجانب اللغوي، أن المسكن له دلالة أنثوية، ففي اللغة العربية نجد المسكن بمختلف أشكاله: الغرفة، الدار والصومعة كلها مؤنثة، وفي اللغة الفرنسية la maison بصيغة المؤنث، وحتى في قواعد اللغات الهندو–أوروبية فإن المسكن يكون بصيغة المؤنث، فالمسكن يمثل أنموذج الحميمية الأنثوية.[1]

الأنثى هي روح البيت، وهي التي تمنحه الحياة، ووجودها في البيت يمنح الحياة لكل مكوناته، كما يصنع بداية الحياة اليومية لساكنيه، نستشف هذه العلاقة بين الأنثى والمسكن في الذهنية الشعبية لدى سكان المجتمع المدروس من خلال الملفوظ الشفهي، فنجد خطاب: "وقتاش تدير الدار" أو "وقتاش تستبيت" التي تقال للذي لم يتزوج بعد، وهي بمعنى متى ستؤسس البيت، ويقصد بها متى ستتزوج، كما نجد المثل الشعبي "يجعل في كل ثنية ولية وفي كل ميعاد فارس" وهي جملة بصيغة الدعاء يتمنى فيها أن نجد في كل سفر "ولية" أي مرأة وهي كناية عن مكان نأوي إليه ونرتاح فيه، وعند كل موعد أو وقت شدة فارس وهي كناية عن الرجل الشهم. فالبيت يمثل المرأة (الزوجة أو الأم أو الأخت)، والمرأة تمثل البيت، وكلاهما يمثل الإستقرار والطمأنينة والراحة، إن هذه العلاقة الوثيقة المرأة–الدار تقوم على أسس أخلاقية واجتماعية، والشرف والرجولة والقوامة والعورة هي المفاتيح الأساسية لفهم هذه العلاقة.[2]

---

[1] جيلبير دوران، مرجع سابق، ص 225.

[2] بن معمر عبد الله، مرجع سابق، ص 87.

لما كانت هذه العلاقة بين المرأة والدار تصل إلى درجة التطابق، وهذا ما أكدته الأبحاث والدراسات التي توصلت إلى متلازمة الخارج/الرجل–الداخل/المرأة، صار المسكن بالنسبة للمرأة هو عالمها، ففيه تجد حريتها وتقضي معظم وقتها، فمن الناحية السيكولوجية فإن المرأة العربية على العموم تتفاعل روحيا مع المكان أكثر من الرجل، لأن المنزل هو الفضاء الوحيد الممنوح لها اجتماعيا،[1] فهي تعتبره مملكتها الخاصة لذلك تقوم على الإعتناء به وبكل ما يحتويه، فهي المسؤولة عن التنظيم الداخلي له، وقد أكد المبحوثين من الرجال على أن المرأة هي المسؤولة عن الشؤون الداخلية للمسكن، وأن الرجل دوره ثانوي قد لا يتعدى شراء المستلزمات التي تحتاجها المرأة، وإن كان في بعض الأحيان تتحمل المرأة هذه المسؤولية.

ويعتبر المطبخ أهم فضاء يرمز للمرأة، ففيه تقضي معظم وقتها وجهدها للعناية به، حتى أنه من بين المسميات التي تطلق على المرأة "الكوزينة" بمعنى المطبخ، كما يرمز المدخل أيضا للمرأة، فهو فضاء ذو طابع أنثوي، لأنه مكان إلتقاء النسوة من أجل الحكايات اليومية والأخبار السريعة.

- **المسكن سجن للمرأة:**

المنازل هي بمثابة تحصينات نسائية[2]، فكما تعمل على إخفاء النساء عن العالم الخارجي، يساعد التخطيط الداخلي لها على عزلهن عن الفضاء الرجالي لحمايتهن من الرجال الغرباء، فنجد أن غرفة إستقبال الضيوف الخاصة بالرجال (الصالة) يكون مدخلها قريب للمدخل الرئيسي وليس لها أي إتصال

---

[1] شاكر لعيبي، **العمارة الذكورية، فن البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي**، دار رياض الريس للنشر، ص 123.

[2] نفس المرجع، ص 47.

مجالي بالغرف الأخرى، بالمقابل يكون المطبخ في الغالب (وهو الفضاء الذي تتواجد به المرأة معظم الوقت) بعيد عن المدخل، وغير مرئي بالنسبة للشخص الداخل.

ولا يتجسد العزل في التخطيط المجالي فقط، وإنما أيضا في طريقة إستغلال هذا المجال والسلوكات المصاحبة له، ففي حالة وجود شخص غريب (ضيف) في غرفة الجلوس يغلق الباب، وتبقى النساء منعزلات في معظم الوقت إما في المطبخ أو غرف النوم، كما نجد في معظم المساكن إضافة ستار في الجهة الداخلية للمدخل الرئيسي للسماح للنساء بفتح الباب الخارجي والتحدث للطارق من وراء ستار، كما تضاف الستائر إلى كل النوافذ المطلة على الخارج (كما شرحنا ذلك سابقا).

كذلك يراعي مخطط المسكن بدرجة أساسية توفير أجواء إجتماعية مثالية للرجل، بينما يسعى إلى عزل المرأة وتقييد حريتها، فحتى تصاميم المساكن التي بنيت أو عدلت في الآونة الأخيرة والتي تتبع الأسلوب الحداثي تعكس موقف الرجل من المرأة المتفتح نظريا فقط، فنجد مثلا وجود أنواع من الأسطح والشرفات (balcon, terrasse, véranda) والتي تتمثل وظيفتها (نظريا) في توفير فضاء للراحة والإستمتاع، نجدها في ميدان الدراسة أنها إما تبقى فضاءات تظهر جمالية الواجهات دون إستخدام وظيفي، أو تستخدم كمخزن لبعض الأغراض المنزلية، ويقتصر إستخدامها في الغالب على الذكور فقط، كما نجد تصاميم نوافذ زجاجية كبيرة الحجم وبشكل حديث تضاف إليها ستائر داخلية غير كاشفة، فهذه الأشكال المعمارية الحداثية من حيث التصميم، التقليدية من حيث الإستخدام، تعكس السعي الدائم للرجل إلى الهيمنة على المرأة من خلال عزلها والتقليل من ظهورها للعالم الخارجي، فالمرأة التي أصبحت اليوم تتواجد في أماكن العمل والشارع والفضاءات العامة (وقد تكون حتى غير محجبة) لازال لا يسمح لها بإستخدام الشرفات والأسطح إلا للضرورة ولغير وظيفتها الأساسية، كما لا يسمح لها بالظهور للعالم

الخارجي من خلال النوافذ والأبواب، وهذا إعتقادا من الرجل أنه يحافظ على حرمة مسكنه، بالمقابل نجد أن النساء لا يمتلكن أي رد فعل ضد هذه الهيمنة.

تظهر النزعة الذكورية من خلال نظرة الرجل للمرأة بأنها "ملكية خاصة له" وجب عليه إخفائها من أجل حمايتها، في هذا الصدد يقول بيار بورديو في كتابه "الهيمنة الذكورية" وهو عبارة عن دراسة ميدانية في منطقة القبائل في الجزائر أجريت في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين، يقول فيه: *"المجتمع مكان يفرض فيه الرجل مكانه ذكراً متوحشاً ذا صوت يزمجر وقبضة قاسية، يستمر الذكر في طقوسه الصوفية، وقد تحلى بالذهب والأرجوان وتزين بالريش مثل المتوحش، متمتعاً بالملذات المشبوهة للسلطة والهيمنة، فيما نحن نساؤ(ه) يُغلق علينا في منزل العائلة، من دون أن يُسمح لنا بالمشاركة"*[1].

نستشف أيضا معنى أن المسكن هو سجن للنساء من خلال المثل الشعبي الذي يقول "المرا في حياتها عندها ثلاث خرجات: تخرج من كرش أمها لدار بوها، وتخرج من دار بوها لدار راجلها، وتخرج من دار راجلها للقبر" ومعناه أن المرأة في حياتها لها ثلاث إنتقالات مكانية، حيث تنتقل من بطن أمها لمسكن والدها، ثم من مسكن والدها إلى مسكن زوجها، ثم من مسكن زوجها إلى القبر، فالمرأة بمعنى هذا المثل الشعبي مكانها الأساسي في هذه الحياة هو المسكن، ولا تغادره إلا عند الموت.

[1] بيار بورديو، **الهيمنة الذكورية**، ترجمة، سلمان قعفراني، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2002، ص 147.

ثانيا: المسكن: إعتقاد وطقس

الإنسان من زاوية نظر أنثروبولوجية هو كائن طقوسي، يسعى من خلال ما يقوم به من ممارسات طقوسية إلى محاولة للتفاعل والسيطرة عن كل ما يتجاوز قدراته الواقعية المحدودة، فالطقس هو أفعال وإحتفالات سحرية، تستهدف توجيه قوى غيبية لإستحداث تأثير معين. والطقس كما عرفه عالم الإجتماع الفرنسي **ج.كازانوف Jean Cazeneuve** بأنه "يظهر كفعل مطابق لعرف جماعي تتدرج فعاليته على المستوى ما فوق الطبيعي، وهو يتجلى بكل خصوصية في العادات والتقاليد العرفية التي تبرز ذاتها ليس فقط داخل العالم الطبيعي، بل كذلك في علاقة الإنسان بالعالم مافوق الطبيعي."[1] كما يعرفه الباحث **فراس السواح** بأنه "مجموعة من الإجراءات والحركات التي تأتي إستجابة للتجربة الدينية الداخلية وتهدف الى عقد صلة مع العوالم القدسية".[2] فالطقس هو تلك السلوكات الرمزية والشعائر التي يؤديها الأفراد بشكل تكراري وفي أوقات معينة، من أجل إسترضاء كائنات العالم ما فوق الطبيعي، فهي ذات طابع قدسي.

من بين المجالات التي تظهر فيها ممارسة الطقوس مجال العمارة الشعبية، أين يقوم الأفراد ببناء مساكنهم بمفردهم (سواء في مرحلة التخطيط أو مرحلة البناء) دون حاجة الى مهندسين وخبراء في العمارة، فيخضعون البناء في مختلف مراحله إلى مجموعة من الطقوس والممارسات الشعائرية، كما تستمر هذه الأخيرة حتى إلى مابعد السكن، وظيفتها حسب الإعتقادات السائدة هي جعل المسكن قابل للسكن وحمايته من الشرور.

---

[1] Cazeneuve Jean, **sociologie de marcel mauss**, PUF, paris, p66.

[2] فراس السواح: **الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ص 129.

I. ليس الإنسان وحده من يشغل الفضاء:

من بين الرواسب المتجذرة في المخيال الشعبي تلك المعتقدات التي تفسر بعض مشاكل ومآسي الإنسان في وجود جن (أو أرواح) تسكن معه في نفس المكان قادرة على إيذائه، لذا يسعى الإنسان في محاولة دائمة للسيطرة عليها لحماية نفسه وتحسين أوضاعه، ويرجع أصل هذا الإعتقاد حسب **يحي هويدي** الباحث في الفلسفة حيث يذكر في هذا الصدد: "أن السمة الغالبة للتصورات الدينية عند سكان الشمال الإفريقي إعتقادهم بأن العالم تشيع فيه أرواح خبيثة وطيبة تتشكل بأشكال متعددة، وبأن هذه الأرواح تطول إقامتها أو تقصر في أمكنة معينة ... وأغلب الظن أن البربر في العصور الحديثة قد ورثوا هذا التصور الديني عن أجدادهم القدماء من الوثنيين".[1] كما ذكر في مراجع عديدة أن الأصل في هذا الإعتقاد يرجع إلى حضارة بلاد الرافدين، حيث كان السكان يعتقدون أن أرواح الموتى الذين لم يدفنوا تحت الأرض أو لم تقام لهم مراسيم جنائزية تبقى هائمة على وجه الأرض على شكل أشباح غاضبة ومنزعجة تتربص بالأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها وإيفائها حقها، أو للإنتقام منهم وذلك بتخويفهم وإلحاق الآذى بهم كالمرض.[2] ويعتقد سكان مجال الدراسة أن هذه الكائنات هي إما أرواح موتى قد تكون جن وشياطين، وفي الغالب تكون لديها إحتياجات ورغبات، كما أن لها سلوكات فقد تغضب وقد تبتهج وقد تشارك البشر في بعض تفاصيل حياتهم، وقد تحذرهم من شر ما، أو تطلب منهم شيئا، ويتفاعل الناس بدورهم معهم عن طريق الطقوس.

---

[1] يحي هويدي، **تاريخ فلسفة الإسلام في الشمال الافريقي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص 16.

[2] نائل حنون، **عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط 2، 1986، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص 123.

حسب المقابلات التي أجريت مع سكان مجال الدراسة الميدانية (سكان حي جبل الجرف)، فقد إستطاع الساكن إيجاد طريقتين للسيطرة على الأرواح التي تقاسمه الفضاء للتخلص من أذيتها أو تجنب ظهورها من حين لآخر وبأشكال مختلفة، وذلك إما بطردها نهائيا أو بإسترضائها، عن طريق طقوس وممارسات خاصة.

يتم طرد الجن (أو الأرواح) من المكان بتحصينه عن طريق الرقية الشرعية وذلك بقراءة القرآن الكريم (خاصة سورة البقرة)، ورش ماء مرقي (ماء مقروء عليه القرآن) على زوايا وجدران المسكن وتعليق إطارات على الجدران بها آيات قرآنية، كذلك غلق الأبواب والنوافذ وقت المغرب لأنه وقت تنتشر فيه الشياطين وذلك حسب حديث للرسول عليه الصلاة والسلام،[1] بالإضافة إلى ذكر البسملة (بسم الله) عند دخول المسكن أو الغرف.

أما إسترضائها ومحاولة التعايش معها في نفس المكان فيتم عن طريق القيام بمجموعة من الطقوس تتم في مراحل مختلفة بداية من عملية بناء المسكن (وضع الأساسات) إلي مابعد السكن فيه، فالمعتقد السائد عند المجتمع التبسي أن الأرواح تستمر في مشاركة المسكن مع ساكنيه، وتتفاعل معهم، كما تظهر من حين لآخر بأشكال مختلفة، وسنذكر فيما يلي بعض هذه الطقوس بشيء من التفصيل:

- **<u>الذبح (سيل الدم)</u>:** تشتري الأسرة أحد أنواع الماشية (إذا كانت ميسورة الحال)، أو الطيور كالدجاج (إذا كانت متوسطة الحال)، وتذبحها عند عتبة باب الدار (في بداية عملية البناء، أو

---

[1] عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا ، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ » رواه البخاري (3280) – واللفظ له – ومسلم (2012)،

عند دخوله أول مرة للسكن فيه) حتى يسيل الدم على العتبة، ويتم تلطيخ هذه الأخيرة (العتبة) وبعض الجدران الداخلية بدم الذبيحة، وذلك من أجل إرضاء الجن التي كانت تسكن المكان وهو مهجور، وإبعادها بطريقة سلمية، فالدم هنا هو نوع من أنواع القرابين التي تقدم إلى الجن لإستسماحها للسكن في ذلك المكان، فالدم يوظف رمزيا لعقد نوع من الحلف مع مالك المسكن المؤنث شعبيا (مولات العتبة) وإتقاء شره وإنتقامه.[1]

تاريخيا تقول الأسطورة بأن طقس تلطيخ العتبة والجدران الداخلية بالدم بشكل اليد المفتوحة يرجع إلى إعتباره طقس ديني عند اليهود يسمى بالخامسة، وحسب التقاليد الدينية اليهودية وما يوجد في كتابهم يعود تاريخها الى عهد سيدنا موسى لما كان في مصر، أن الله أعلم موسى عليه السلام أنه سيضرب مصر بغضبه ويسلط عليها ما يسميه اليهود "العشرة جروح"، وطلب منه أن يذبح كل رب أسرة يهودي خروفا وأن يصبغ أعمدة بيته بدم الأضحية، وبالفعل فعل كل اليهود ما أمر به موسى عليه السلام وبدؤوا يصبغون أعمدة البيوت بدم الأضحية، ولكن الوقت كان قصيرا جدا ورأى سيدنا موسى أن الخطر قادم فأمر الرجال أن لا يصبغوا كل الأعمدة لأن الوقت يداهمهم فطلب منهم أن يدخلوا أيديهم في الدم وأن يتركوا أثر اليد الملطخة بالدم على كل منزل وفعلو كلهم ذلك، وغدا كان يسمع نحيب العائلات المصرية بحيث ما من بيت إلا ومات فيه طفلا ولكن اليهود لم يسقط عليهم السخط وحفظهم الله ولكن هم ظنوا أن اليد المرسومة بالدم هي التي حفظتهم، ومنذ ذلك الحين صار رسم "الخامسة" رمز للحفظ وللحظ عند اليهود، وأخذه العرب دون فهم أصله. غير أن للكاتب الأمريكي **هنري كلاي ترمبل** رأي آخر، إذ يشير في

---

[1] شلحت يوسف، **الأضاحي عند العرب**، ت. خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2013، ص ص 115، 116

كتابه "عتبة العهد" الى أن رمز "ختم اليد الحمراء" ليس وليد الأديان السماوية، فقد كان علامة مميزة على أبواب المنازل وأوراك الحيوانات في بابل القديمة، وكان هذا الطقس تكريسا من أصحابه لعهد مقدس يربطهم بممتلكاتهم من عائلات وحيوانات، كما ظهر هذا الرمز في الحضارات القديمة منحوت على الحجر والعظام يمثل الآلهة، ففي بابل وآشور وفينيقيا ومصر كان يمثل رمز لآلهة الحياة والخصوبة، وعند الكلدانيين هي تشخيص لآلهة القمر. كما ذكر الكاتب **هنري كلاي ترمبل** أن هذا الرمز قد ظهر أيضا عند الهنود الحمر حيث كانوا يطبعون بها أجسادهم في طقس ديني، أو على ألبستهم أو دروعهم.[1]

- **إعداد وليمة:** تكون في اليوم الأول من السكن، حيث يقوم الساكن بإعداد وليمة (عادة ماتكون كسكس) على شرف الأرواح التي تسكن المكان مع إستخدام لحم الحيوان المذبوح على العتبة للطهي، ثم توزع على أهل المسكن والضيوف والجيران، وتعتبر هذه الوليمة نوع من عقد تحالف مع الأرواح لإسترضائها، وأخذ الإذن منها لشغل المكان، فالوليمة طقس يدعوا الأرواح لقبولهم مشاركين لهم للمكان، كما يساعد هذا الطقس على زيادة أواصر العلاقات القرابية مع الأهل والجيران.
- **إستعمال البخور**: كان إستعمال البخور في الطقوس الدينية منذ القدم، فقد إستعمله الساميون،[2] ويروي **هيرودوتس** أن الف تالنت (وحدة قديمة للوزن) من البخور كانت تقدم على مذبح بعل

---

[1] **خميسة: قصة تميمة عابرة للأديان تحرس صاحبها، موقع أصوات مغاربية،**
https://www.maghrebvoices.com/a/maghreb/458562.html

[2] بدوي عبد الرحمن، **تاريخ التصوف في الإسلام من البداية حتى نهاية القرن الثاني**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، 1978، ص 115.

في عيده السنوي، كما كانت تستعمل لتعطير المواضع التي يفترض أن الآلهة ستحل بها، كما يستخدمه اليوم المسلمون واليهود والنصارى في طقوسهم الدينية.

تستعمل البخور لتطهير المكان وتطييب رائحته إسترضاءا للجن، وتستخدم أنواع كثيرة للبخور أهمها: "الجاوي" "السرغيس" "العود" "أم الناس" "الشب" "لبان ذكر" ... حيث تحرق هذه المواد على الجمر في إناء من طين وتطوف بها أرجاء المنزل خاصة الزوايا، ويستحب في ذلك الوقت بين العصر والمغرب، لأنه الوقت الذي تكثر فيه حركة الجن والشياطين.

تظهر هاته الطقوس ضعف الكائن الإنساني أمام هذه الكائنات فوق الطبيعية، وتصوره بأنها تملك سيطرة عليه وعلى الفضاء الذي يشغله، وبأن لها القدرة على إيذائه في حال إذا ما لم يقدم لها طقوس الولاء لإرضائها، لذا فهو يحاول إسترضائها بشتى الطرق.

II. البركة كإعتقاد:

البركة إصطلاحا تعني الكثرة في الخير ونمائه وإستمراره، والتبرك بالشيء هو طلب الخير عن طريقه، وتبارك بالشيء أي تفائل به، والشيء المبارك هو الشيء كثير الفوائد والمنافع.[1]

البركة من المفاهيم المتجذرة في العقل الجمعي للمجتمع الجزائري ككل، وهي تفسير ميتافيزيقي لزيادة الخير، سواءا كان في الوقت، الصحة، الأموال أو الأولاد ..إلخ، فأينما تحل البركة يتسع الوقت وتتحسن الصحة وتزداد الخيرات وتكثر الإنجازات، ويصلح شأن الأولاد، وقد ذكر هذا المصطلح في القرآن الكريم، كقوله تعالى: «قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ

[1] إبراهيم أنس وآخرون، مرجع سابق، ص 51.

رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ[1]»

وفي الأحاديث النبوية الشريفة كقول الرسول الكريم: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا؛ بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ»[2].

ينتمي سكان المجتمع المدروس إلى الطبقة الشعبية التي تتميز بضعف المستوى المادي والمعيشي لذا فقد كان إعتقادهم قوي في مفهوم البركة، لأنها بالنسبة لهم حسب إعتقادهم سبب في زيادة رزقهم وتحسن مستواهم وقد جسدوا هذا الإعتقاد في شكل طقوس وممارسات في حياتهم اليومية، كما ظهر في ملفوظهم الشفهي كالأذكار مثل البسملة عند بداية كل عمل، والأدعية مثل "اللهم بارك لنا فيما رزقتنا" كما نجد من الأمثال الشعبية المتداولة "البراكة في القليل" و"عشاء واحد يعشي عشرة" التي تدل على أنها إذا حلت البركة فالقليل يصبح كثير وكافي.

حسب ما صرح به المبحوثين فمن بين الطقوس والممارسات التي يقوم بها سكان المجال المدروس طمعا في زيادة الخير في مساكنهم نجد: دفن قطعة من الذهب أو الفضة في المكان الذي سيبنى عليه المسكن عند بداية بناء أساساته، وعائلات أخرى تخلط ريش الدجاج المذبوح على العتبة مع دم الذبيحة وتدفنه في العتبة، وهنا يرمز كلا من المعدن الثمين والريش إلى الخير فالإعتقاد يقول أن الحاجة قيمتها من قيمة أساسها. أما عائلات أخرى فتقوم بوضع خميرة الخبز في الماء حتى تتخمر ويتضاعف حجمها ثم تضعها في أساس الدار عند بداية البناء، فالخميرة هنا هي تجسيد مادي للرزق، والإعتقاد يقول أنه كلما تفاعلت الخميرة مع الماء وزاد حجمها زاد الرزق في المسكن.

---

[1] القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية 9-10.

[2] صحيح مسلم، ص 1373.

تقوم أيضا بعض العائلات بوضع بعض الأغصان الصغيرة لبعض النباتات البرية (التالمة، الخبيز ..) في أركان المسكن عند رأس كل سنة تبركا بها فيقولون "حتى يجي العام أخضر كيما لحشيش"، فاللون الأخضر الذي يرمز للخير يجب أن يكون حاضرا في المسكن.

عائلات أخرى تقوم برش العطر في عتبة المسكن قبل السكن فيه، أو وضع الحناء على العتبة والأعمدة والجدران الداخلية للمسكن.

نجد أيضا بعض العائلات التي تقوم بدحرجة قطعة نقدية عند دخول المسكن أول مرة، إعتقادا بكثرة الرزق وجريانه في المسكن كجريان تلك القطعة النقدية.

نجد أيضا طقس تقوم به العروس عند دخولها إلى بيتها أول مرة حيث تقوم بوضع "الدهان"* في يدها ثم تمسح بيه المدخل قبل دخولها.

كل هذه الطقوس هي للتفائل بزيادة الخير، بالمقابل نجد أيضا التطير (التشائم) من بعض الممارسات التي قد تنقص من الخير والبركة في البيت حسب ما يعتقده سكان مجال الدراسة، فنجد كمثال على ذلك تجنب ترك البيت مظلم وقت المغرب، كذلك تجنب كنس البيت وقت المغرب ..إلخ

تتمثل طقوس جلب البركة في فكرة إستحداث صورة رمزية حسية لزيادة الخير والرزق، وذلك من خلال تجسيد الخير في صورة مادية، تحت بدأ الشبيه يستدعي الشبيه (الشيء يأتي بمثله)، وقد أطلق عليه جراف دو لاسال Graf de la salletd في دراسته المتعلقة بالمعتقدات والعادات الخاصة بالمنزل لدى المسلمين في تونس والتي ذكرناها في الدراسات السابقة بـ "السحر التعاطفي".

---

* زبدة طبيعية تصنع محليا.

الإعتقاد في مفهوم البركة جاء نتيجة للظروف المعيشية المتدنية التي يعيشها المجتمع، وكل هذه الطقوس والممارسات تعكس تصورات الأفراد لفكرة البركة والتفائل بالخير كوسيلة رمزية لمحاولة تحسين أوضاعهم المادية.

III. العين (الحسد) حق:

من أكثر المعتقدات الشعبية التي يؤمن بها أفراد المجتمع الجزائري على العموم "العين حق"، ومن خلال ما صرح به المبحوثين الذين أجريت معهم المقابلات فإن مالك البيت يسعى إلى درء العين عن مسكنه بعدة طرق منها:

- **الخمسة**: هي إحدى مظاهر المعتقدات الشعبية المتجذرة في المخيال الشعبي، تسمى "الخمسة" أو "الخامسة" أو "يد فاطمة"، وهي طلسم يعتقد بأنه يحمي من الشر والعين والحسد، وجالبة للحظ أيضا، ونجدها في كل شيء خاصة الحلي، البناء، الزخارف.

يرجع أصلها كما نجد في كتاب "عتبة العهد" للكاتب الأمريكي **هنري كلاي ترمبل** عندما طرح رأي مؤرخ الفن **والتر ليو هيلدربر** بأن هذا الرمز قد يكون له جذور مسيحية، فهو يمثل يد مريم العذراء وهي تمد أصابعها الخمس، وقد إستعملها المسيحيون لحماية الأم والجنين وللتبرك بها ودرء الشر، وهناك من يعتقد أنها إشارة إلى مريم أخت النبي موسى ويد المساعدة التي قدمتها له.[1] أما عند المسلمين فهي صورة رمزية لسورة الفلق، كل أصبع يمثل آية، فبدلا من أن يقرأها

[1] **خميسة قصة تميمة عايرة للأديان تحرس صاحبها، موقع أصوات مغاربية،** مرجع سابق.

الناس للتعوذ من العين يعلقون الخمسة كرمز لها، ومن هنا صار الرقم خمسة رمز له دلالة الحماية من العين.

تتمثل الخمسة في المسكن بعدة أشكال:

- ✓ **عجلة (سيارة) فوق سطح المسكن:** تظهر في الواجهة الأمامية للمسكن، ويمثل شكلها الدائري صورة رمزية للرقم خمسة بالإغريقي.
- ✓ **اليد المرسومة على الأبواب:** عبارة عن يد مفتوحة ذات خمسة أصابع، تكون على شكل رسم أو نقش في واجهة المسكن أو المدخل مثلما نلاحظ في الصورة (37) والصورة (38)، كما نجدها في عدة أماكن داخل المسكن وقد نجد داخل اليد رسم عين بشرية أو أشكال حيوانات أو نباتات.

- **واجهات غير مكتملة:** ينتمي سكان مجال الدراسة كما ذكرنا سابقا إلى الطبقة الشعبية الفقيرة وهذا ما يبرر الحالة المتدهورة لواجهات المساكن، فهي غير مكتملة البناء ولا يراعى فيها الجانب الجمالي ولا الزخرفي، غير أنه ومع الحديث مع المبحوثين وجدنا أن الكثير من المساكن أصحابها تركوها بهذه الحالة عن قصد حتى لا تجلب لهم الحسد والغيرة من كل من يراها.



الصورة (39): تبين طبع الكف (شكل الخمسة) على الباب الخارجي للمسكن وذلك لدرء عين الحاسد

المصدر: الباحث



الصورة (40): تبين طبع الكف (رسم شكل الخمسة) على الجدار الخارجي للمسكن

المصدر: الباحث

خلاصة الفصل

المسكن في مدينة تبسة ليس فقط بناء هندسي تتحكم فيه الحالة المادية والتكنولوجيا التي أصبحت تظهر من خلال كل ما يحيط بالفرد، ولا تقتصر وظيفته فقط على إيواء ساكنيه، بل يتعدى ذلك إلى كونه فضاء رمزي يؤدي وظائف في إطار منظومة من قيم ومعتقدات وتمثلات أنتجها المخيال الشعبي والعقل الجمعي للمجتمع التبسي.

من خلال دراستنا لرمزية المسكن فقد توصلنا إلى:

- المسكن هو فضاء حميمي يساعد ساكنيه على تحقيق وجودهم والإحساس بذواتهم، فهو عالمهم الخاص ومحميتهم التي تشعرهم بالإكتفاء والأمان والراحة والإستقلالية، لذا فعمارته تعترف ضمنيا بوهمية العالم الخارجي وتكتفي بأقل العلائق معه.
- عمارته تعمل بالدرجة الأولى على "حجب المرأة" من خلال العزل الفيزيقي بين العالم الأنثوي الداخلي والعالم الذكوري الخارجي، وهذا يظهر من خلال إنغلاقه (المسكن) على نفسه ووجود حواجز وهمية تعيق من الدخول مباشرة له، ويعكس هذا صورة المرأة في العقل الجمعي، فهي تعتبر ملكية خاصة للرجل، وهذا ما يجعله في سعي دائم لإحكام السيطرة على كينونتها الفيزيقية من خلال حجبها وإخفائها داخل المسكن، وتعتبر هذه النزعة الذكورية شكلا من أشكال الهيمنة الذكورية حسب **بيار بورديو Pierre Bourdieu**، وبالرغم من أن هذا التصور (الهيمنة الذكورية) يسعى المجتمع إلى إخفائه لما فيه من إنتهاكات إجتماعية ودينية، لكنه يظهر بصورة

حتمية ومعلنة، بشكل مباشر وغير مباشر، في شكل إشارات ورموز يعكسها الطابع المعماري للمسكن، وتعكسها السلوكات والطقوس التي تصاحب الممارسة السكنية.

- إن الممارسات والسلوكات والطقوس المصاحبة للممارسة السكنية والتي هي تجسيد فعلي للمعتقدات السائدة توحي إلى أن الإعتقاد الديني في المجتمع المدروس لا يرجع أصله للدين الإسلامي فقط بل هو مزيج يجمع بين معتقدات إسلامية، ومعتقدات دينية وتصورات ميتافيزيقية متوارثة من حضارات قديمة لا نجد لها أثر في الدين الإسلامي، بل وفي بعض الأحيان نجدها تناقضه، كما يرجع أصل بعضها الى أفكار وخرافات وأساطير سادت في حضارات غابرة

الفصل السادس

المسكن: من فضاء مُنتَج

إلى فضاء منتِج

تمهيد

مارس الإنسان العمارة منذ القديم، فقام بتصنيع عمارة لتشكل له الملجأ والأمان الذي يحميه من الخارج ويوفر له البيئة التي تضمن له خصوصيته ويحقق من خلالها الكثير من مقومات بقائه (كما رأينا في الفصل السابق)، فتفنن في تصنيع العمارة المناسبة والأفضل له وذلك بالإنطلاق دائما من إحتياجاته وتطورت هذه العمارة في ظل تطور إحتياجات الإنسان، لكنها ظلت (العمارة) دائما حصيلة تفاعل الإنسان مع بيئته سواءا المادية أو الاجتماعية.

في هذا الفصل سنحاول الإجابة على التساؤل الفرعي الثالث لإشكالية هذا البحث من خلال إلقاء الضوء على بعض الأبعاد الاجتماعية والثقافية للممارسة السكنية والتي إنعكست على عمارة المسكن سواء من الخارج أو من الداخل، بالمقابل ماذا أنتجت لنا هذه الهارة من ثقافة، وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى عنوانين:

1. **الفضاء داخل المسكن:** تناولنا فيه ما يحدث داخل حدود المسكن وتأثيره على عمارته من خلال:
    1.1. شكل الأسرة والروابط العائلية
    1.2. خروج المرأة للعمل
2. **الفضاء خارج المسكن:** قسمناه إلى نوعين من الفضاء، حيث تناولنا كل فضاء وما يحتوي من تمثلات وممارسات وعلاقات إنعكست على عمارة المسكن:
    2.1. الفضاء الفيزيقي
    2.2. الفضاء الاجتماعي

أولا: داخل حدود المسكن

1. الأسرة والروابط العائلية داخل المسكن

الأسرة هي الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، فيها تبدأ حياة الأفراد فتصنع أولى خبراتهم وتجاربهم كما تتحدد أولى خياراتهم ومبادئهم وقيمهم، فتتشكل بذلك شخصياتهم ويتحدد سلوكهم ونمط تفكيرهم، فهي مؤسسة من مؤسسات المجتمع تحتاج إلى بيئة مناسبة لأداء وظائفها، تتمثل هذه البيئة في المسكن الذي يتطلب أن يتوافق مع خصوصية ومتطلبات ووظائف الأسرة.

ونظرا للتغيير الناتج عن التطور التكنولوجي السريع وما صاحبه من نمو ديموغرافي كثيف بالإضافة إلى التحضر والهجرة من الأرياف إلى المدن، وكذلك الأوضاع المتأزمة التي عاشتها الجزائر في الآونة الأخيرة على جميع الأصعدة، وكذا عوامل عديدة أخرى، فقد أدى ذلك إلى تغيير مس بناء الأسرة والروابط العائلية بشكل عام، تمثل أساسا في تغير شكل الأسرة من الشكل الممتد إلى الشكل النووي وما نتج عنه من إستقلالية مادية وفكرية بين الأسر وبين الأفراد، بالإضافة إلى خروج المرأة للعمل، كل ذلك إنعكس بشكل مباشر على شكل المسكن ووظيفته.

1.1. شكل الأسرة

كانت الأسرة الجزائرية التقليدية من حيث البناء أسرة ممتدة، حيث تظم أسر زواجية عديدة يعيشون في مسكن واحد، وتكون السلطة للأب في إدارة الشؤون العامة لها، وكانت تتميز بالتماسك والتعاون والتضامن بين أفرادها، كما كان لصاحب السلطة (والذي عادة ما يكون الأب) مطلق الحسم في اتخاذ القرارات، لكن التغيير الناتج عن الظروف التي ذكرناها سابقا كان له تأثير سلبي على العلاقات الأسرية

فقد أدى إلى ضعف وتفكك الروابط الأسرية، وبذلك تحول شكل الأسرة من الممتد إلى النووي، حيث تستقل كل أسرة نووية تتكون من الزوج والزوجة والأبناء إقتصاديا فيكون لها دخل مادي مستقل، وفكريا فيكون لها الحق في إختياراتها وقراراتها، كما تعيش في أغلب الأحيان في مسكن مستقل، وقد أدى هذا التغير في شكل الأسرة إلى تقليص حجمها، حيث صار متوسط حجم الأسرة هو خمسة أفراد، وبالتالي أدى إلى تغيير على مستوى شكل ووظيفة المسكن.

من الملاحظ في زياراتنا الميدانية لمساكن حي "جبل الجرف" أن القديمة منها معظمها قد بنيت من حيث التخطيط على أساس الشكل التقليدي للأسرة وهو الأسرة الممتدة، فنجد أنها تتميز خاصة بـ:

1. كثرة غرف النوم وإتساعها: لكثرة أفراد الأسرة.
2. إتساع المطبخ: ليتسع للأنشطة التقليدية في إعداد الطعام (مثل غربلة الدقيق، فتل الكسكسي ..) كما أنه الفضاء الخاص الذي تقضي فيه النسوة جل وقتها في النهار، حتى أنه في بعض الأحيان يكون غرفة إستقبال للنساء القريبات أو الجارات.
3. إتساع غرفة الإستقبال: لتسع أكبر عدد من الضيوف خاصة في المناسبات الإجتماعية كالأعراس التي كانت تستمر في العادة لأيام، كما أنها تستخدم كغرفة نوم للضيوف (الرجال)، وكذلك لتجمع شيوخ وكبار العائلة للتشاور في الأمور العائلية حيث تعتبر الأسرة الكبيرة مصدر للقرارات، يقول أحد المبحوثين: بكري كي كانت البراكة كان يقولك "اقصد الدار الكبيرة لما تعشيت تبات للدفا" بالح الآن مابقاتش فيها الدار الكبيرة وهذا في معناه يشير إلى أن مسكن الأسرة الكبيرة هو كان هو الملجأ في كل الأوقات وتحت أي ظرف.

لكن ومع التغير الذي مس شكل الأسرة الجزائرية عامة، بإنتقالها من أسرة ممتدة إلى أسرة نـووية أثر ذلك في شكل وتخطيط المسكن، فقد صرح غالبية سكان حي "جبل الجرف" بأنه صار لزاما لكل أسرة زواجية جديدة بالإستقلال المجالي إما بمسكن منفرد، أو على الأقل بطابق خاص داخل المسكن العائلي، فنجد من خلال ملاحظاتنا للمساكن أن:

1. بعض المساكن بالرغم من أنها فردية إلا أنها تشابهت مع البنايات الجماعية في الإرتفاع فتجدها تصل إلى ثلاثة أو أربعة طوابق، حيث يخصص الطابق الأرضي للعائلة، وتخصص الطوابق الأخرى لأسر الأبناء.
2. في حال وجود أكثر من أسرة نووية داخل المسكن فنجد تعدد المداخل الخارجية للمسكن حيث تستقل كل أسرة نووية بمدخلها الخاص، كما نلاحظ في الصورة (41) وهي لمسكن يحوي أسرتين نوويتين حيث إستقلت كل أسرة بمدخلها الخاص، والصورة (42) وهي لمسكن يحوي أسرتين نوويتين لكل أسرة طابق خاص، ومدخل خاص.



الصورة (41): مدخلين مستقلين لمسكن واحد
المصدر: الباحث



الصورة (42): إضافة سلالم ومدخل خارجي للطابق العلوي
المصدر: الباحث

نلاحظ في الصورة (43) وجود سلالم خارجية تؤدي مباشرة للطابق الأول، وقد بنيت هذه السلالم بطريقة غير قانونية حيث تم إستغلال الفضاء العام لبنائها، تقول السيدة (م.ن) صاحبة المسكن أن زوجة إبنها وافقت في البداية على السكن مع أهل زوجها، لكن بعد مدة زمنية يسيرة من الزواج طلبت أن تستقل بالسكن لوحدها في الطابق العلوي وذلك حتى لا تتقيد حريتها في اللباس والحركة والكلام داخل المسكن بإعتبار أنها تسكن مع إخوة زوجها، ثم بعد ذلك أرادت أن يكون للطابق الذي تسكنه مدخل مستقل لتأخذ حريتها في الدخول والخروج مع زوجها دون المرور على العائلة، وبما أن المسكن ضيق لا يتسع لوجود مدخلين قام الإبن ببناء السلالم في الجهة الخارجية للمسكن، وكما ذكرنا سابقا فإن السلالم بنيت على مساحة عامة بطريقة غير قانونية فهي مهددة بالإزالة في أي وقت من طرف البلدية، كما أنها شوهت واجهة المسكن والمنظر العام للحي.



الصورة (43): الإستقلالية بالطابق العلوي وذلك بإضافة سلالم ومدخل خارجي خاص له.

المصدر: الباحث

3. تغير حجم ووظيفة غرفة الإستقبال: يقول أحد المبحوثين (م، س 47 سنة): "عندما كانت الأفراح والمناسبات تقام في المسكن، كانت غرفة الإستقبال أهم جزء في المسكن حيث كان يحرص أن تكون ذات مساحة كبيرة حتى تأوي أكبر عدد من الضيوف، أما الآن وبعد ظهور صالات الأفراح، فقد أصبحت وظيفة غرفة الإستقبال إستقبال الضيوف في الأيام العادية والأعياد فقط.

2. خروج المرأة للعمل:

كانت المرأة في الأسرة التقليدية تنحصر وظيفتها في الإهتمام بالشؤون المنزلية ورعاية الأبناء وقد كانت تقضي معظم وقتها في المطبخ في إعداد الطعام وغسل الأواني والثياب، فقد كان لها الدور الأساسي في الشؤون المنزلية.

أما في الوقت الحالي ونتيجة لتغير دور المرأة في المجتمع نتيجة تعلمها وخروجها للعمل، فقد إنعكس ذلك على دورها داخل المسكن، حيث أصبحت تقضي الكثير من الوقت خارجه (الوظيفة، السوق زيارات ..) أدى بها ذلك بالإضافة إلى العصرنة إلى الإفراط في إستخدام الأجهزة الإلكترومنزلية (فرن الطبخ، غسالة الأواني، الخلاط الكهربائي، الممسحة الكهربائية ...) لتسهيل مهامها المنزلية وإختصارا للوقت المتاح لها، وهذا ما إنعكس بدوره على شكل المسكن وتنظيمه الداخلي، فنجد مثلا أن المطبخ كانت كل الأعمال به تنجز على الأرض أو مائدة من تحضير الطعام إلى التخزين، وقد يستخدم أيضا فضاء للإستحمام وغسل الثياب، لذلك كان يحتاج إلى مساحة واسعة، أما اليوم ومن خلال زياراتنا الميدانية فلا يخلو مطبخ في المساكن التي زرناها من رفوف وخزائن حائطية وطاولة أكل ..إلخ، وهذا ما يفسر تغير شكله وتقلص مساحته.

ثانيا: الفضاء خارج حدود المسكن

كما تحدثنا في الفصل السابق عن المسكن بإعتباره فضاءا منغلقا على ذاته محافظا على خصوصيته مشكلا وحدة خاصة، سنتطرق في هذا العنوان إلى وجه آخر للمسكن وهو إنفتاحه على الخارج وعلاقاته بمحيطه الفيزيقي المتمثل في الفضاء خارج حدوده (الشارع)، ومحيطه الإجتماعي من خلال علاقة الساكن بجيرانه، كيف ينفتح المسكن على الخارج، وكيف يتفاعل الأفراد مع هذا الخارج، وكيف يتواصلوا فيما بينهم وكيف يؤثر ذلك على المسكن والممارسات المجالية.

1. الفضاء الفيزيقي:

يتعامل الإنسان مع محيطه إنطلاقا من تمثلاته تجاه هذا المحيط، كما أنه يحاول تكييفه مع إحتياجاته وتعكس قدرة تكيفه مع محيطه قدرته على الإندماج فيه وتقبل كل ما يفرضه عليه هذا المجال بجانبه المادي والإجتماعي والثقافي.

من خلال تحليلنا لما لاحظناه في حي جبل الجرف (مجال الدارسة الميدانية والتي يمكن تعميمها على الأحياء الشعبية بصفة عامة)، فقد توصلنا إلى غياب ثقافة المدينة لساكنيه وغياب الوعي نحو الحياة المدينية وما يترتب عليها من سلوكات وواجبات، حيث تميزت عمارة حي جبل الجرف بـ:

- **الشارع كفضاء معاش:** في حي جبل الجرف خاصة الجزء القديم نجد أن النساء يتخذن من الشوارع (خاصة الأزقة المغلقة) فضاءات لنشاطات يومية مختلفة كالإلتقاء بالجارة أو الصديقة للثرثرة، أو لنشر الغسيل (خاصة الأفرشة على حبال تربط في أعمدة الكهرباء أو الأشجار)، كما قد يستغل الفضاء أمام المسكن كمكان راحة للمسنين أو لعب الأطفال، وقد يصل الأمر

إلى الإستيلاء على الفضاء العام وذلك بخلق حدود مادية أو رمزية كتسييجه أو زرع أشجار فيه وإستغلاله كملية خاصة، ويرجع هذا إلى تمثل السكان لمفهوم الشارع كفضاء معاش، وهذا راجع لأصل حياتهم الريفية قديما، ففي الأماكن التي تتميز بضعف المستوى المعيشي والإجتماعي فإن مفهوم مكان العيش يتجاوز الإطار السكني إلى أماكن ذات نطاق أوسع تتمثل في مجموعة المساكن المتجاورة، الأزقة، الساحات ...إلخ.

- **عمارة تساعد على الجريمة:** أدى التسارع العمراني السريع في مدينة تبسة مع غياب المشاريع السكنية التي تنظمها الدولة من جهة وعدم الإلتزام بقوانين البناء من جهة أخرى، إلى خلق عمارة فوضوية (وهذا ما يميز الأحياء الشعبية عامة)، وقد ساعدت العمارة الفوضوية في حي جبل الجرف في تدني مستوى الأمن وإنتشار الجريمة على نطاق واسع وبأشكال متنوعة فالنمط المعماري للمسكن وما يميزه من المظهر الخارجي، عناصره الإنشائية الخارجية وفتحاته، تقارب مستوى سطحه مع أسطح بقية المساكن، تراصه مع المساكن المجاورة، عدم إكتمال بنائه ما يسمح بسهولة ولوجه ..إلخ يعتبر أحد العوامل التي ساعدت على إنتشار الجريمة في هذا الحي كهروب المجرم أو إختبائه فيه.

- **مساكن تفتقر للحس الجمالي:** صحيح أن تدني المستوى المادي والاجتماعي ينعكس بشكل مباشر على شكل والوضعية الخارجية للمساكن، غير أن تدني مستوى الحس الجمالي للسكان أيضا أثر سلبا على واجهات المباني في حي جبل الجرف، حيث نجد أن:
  - معظم الواجهات الخارجية قد تميزت بغياب عناصر جمالية وزخرفية في واجهات المساكن بل إن الكثير من المساكن في وضعية غير مكتملة البناء سواء من الخارج

أو الداخل، ويعود سبب عدم إكتمال بناء المباني إما إلى ضعف المستوى المادي، وإما إلى خوف صاحب المسكن من العين والحسد (كما ذكرنا سابقا)، وإما إلى التغيير على مستوى الواجهات الناتج عن تغيير في وظائف الفضاءات الداخلية حسب حاجات ومتطلبات الأسرة المتغيرة بإستمرار.

- كما نجد إنتشار النفايات المنزلية وبقايا مواد البناء (طوب، الرمل، الحصى) بشكل عشوائي خاصة في الأماكن الفارغة في الحي.
- نجد أيضا الكتابة على الجدران والتي شوهت المظهر الخارجي للمساكن.

كل هذه المظاهر ناتجة عن غياب الحس الجمالي للسكان، فقد صرح الكثير من المبحوثين بأن الجانب الجمالي للمظهر الخارجي للمسكن والعناصر الإنشائية الزخرفية في الواجهات غير مهمة إطلاقا وهي تضييع للجهد والموارد المادية مادام أن المسكن دونها يقوم بوظيفته الأساسية وهي إيواء وتوفير الأمن لساكنيه.

- **<u>مواكبة عشوائية الأساليب المعمارية الحديثة</u>:** في محاولة لمسايرة التطور ومواكبة الحداثة والحياة العصرية كانت النظرة إلى العمارة التقليدية أنها لم تعد صالحة لمواكبة العصر وأن العمارة المعاصرة بشكلها هي الملائمة للحياة الجديدة، لذا سعى الساكنين في حي جبل الجرف في محاولة منهم لمواكبة الحداثة التي تتمثل حسب رأيهم في مجموعة من الأشكال والعناصر المعمارية، وكذلك مواد بناء الحديثة، فسعوا إلى الإقتباس لأشكال هندسية وعناصر إنشائية دون ربطها بالأسلوب المعماري العام للمدينة أو للمبنى:

- إستخدام مواد البناء الجديدة كالنوافذ الزجاجية ونوافذ الألمنيوم.
- إدخال عناصر إنشائية جديدة في الواجهات بالرغم من أنها لا تؤدي في الغالب وظيفتها النفعية كالشرفات Balcons والأسطح المكشوفة Terrasses و Véranda.
- إستخدام أشكال زخرفية وجمالية مستوحاة من أساليب معمارية أوروبية.

وقد جاءت هذه الإستعارات للأشكال الهندسية بطريقة عشوائية وفوضوية لا علاقة لها بالأسلوب المعماري العام، فأنتجت بذلك عمارة هجينة عبارة عن خليط غير متجانس من الأشكال المعمارية، وبذلك فقد شوهت الواجهة المعمارية المنظر العام للحي والمدينة ككل.

- **<u>جدران خارجية للتعبير والتواصل</u>:** تميز حي جبل الجرف (كغيره من الأحياء الشعبية) بإنتشار الكتابة على الجدران التي تعتبر شكل من أشكال التعبير الشعبي، حيث نجدها في الجدران الخارجية، الأرصفة، الأعمدة ..إلخ، من أهم أسبابها غياب الحوار وثقافة التسامح بين سكان الحي، وتكون على شكل كتابة أو رسوم أو رموز تؤدي إلى فكرة معينة، أغلبها تدور حول "عدم رمي النفايات" كما في الصورة (44)، و"عدم الإزعاج" كما في الصورة (45)، وتكون إما بشكل طلاء أو حفر على الجدران.



الصورة (44): لكتابات على جدران المسكان

الأولى باللون الأحمر "الله لا تربح اللي يرمي الزبالة"

والثانية بالأسود لا تظهر كليا "النظافة واجبة يا العرب"

المصدر: الباحث



الصورة (45): لكتابة على الجدران

كتابة "يرحم الوالدين اتربوا" وهي جملة ترجي يقصد بها عدم إحداث ضجيج،

كتبها صاحب المسكن بسبب الضجيج الذي يسببه أولاد الجيران.

المصدر: الباحث

1.1. **الفضاء الاجتماعي:**

مثلما أن للمسكن وجه يسعى فيه إلى الإنعزال بذاته عن العالم الخارجي (كما رأينا في الفصل السابق) فإن له وجه آخر يحاول فيه الإنفتاح على العالم الخارجي، وذلك من خلال العلاقات التي يربطها مع هذا العالم. علاقات مادية مع محيطه الفيزيقي (ما تم شرحه في العنوان السابق)، وعلاقات اجتماعية مع محيطه الاجتماعي، تتمثل أساسا في علاقات الجيرة، وكما يقول **بزو مسايوو**: "كل مسكن يندرج ضمن جورة معينة"[1]

كانت علاقات الجوار قديما في مدينة تبسة تقوم على أساس الإحترام والثقة، وقد نجد في بعض الحالات أن التقارب المجالي يصاحبه تقارب أسري، وهذا ما ساهم في زيادة التماسك والتضامن الإجتماعي بين أفراد هذه الأسر المتجاورة، وقد عبر المبحوثون لوصفهم لعلاقات الجيرة قديما من خلال جملة من الأمثال الشعبية يتداولونها في خطاباتهم اليومية:

- الجار قبل الدار
- بلع باب دارك ولا تخون جارك
- جارك القريب أولى من خوك البعيد
- النبي وصى على سابع جار

فلمفهوم الجيرة أهمية اجتماعية، قد ترجع بالأساس إلى البعد الديني له (الجيرة) في الإسلام، هذا الدين الذي أمر بإحترام الجار ومساعدته، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما جعل الإيمان مقرونا بالإحسان للجار، فقد

[1] Jaques Pezeu Massabuau, **la maison espace sociale**, PUF, Paris p 139

وردت العديد من الاحاديث الشريفة في هذا السياق: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.."، "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ..".

كما قد ترجع إلى البعد النفسي كما ذهب إليه **بوغالي** عندما رأى بأن فتح الفضاء المنزلي للجار تقف وراءه رغبة أو إرادة لا شعورية تستجيب لرهاب الإنغلاق، فتسعى من خلال الإنفتاح على الجار إلى توسيع رمزي للفضاء المنزلي.

الأزقة القديمة في حي جبل الجرف في حين أن شكلها الفيزيائي الضيق يوحي بالإنغلاق إلا أن شكلها العلائقي يعكس إنفتاح إجتماعي بين الساكنين خاصة الجيران، يرجع هذا الى حاجاتها المستمرة لبعضها، فهي عائلات فقيرة بالإضافة إلى علاقات القرابة الموجودة. فالخصوصية تميز الشكل الفيزيائي فقط للأحياء.

لكن في الأزقة المبنية حديثا، ومع التطور الحضاري السريع وإزدياد معدلات نمو السكان أدى ذلك الى كثافة كبيرة في العمران، فصار هناك بإستمرار وافدون جدد ومغادرون، فأصبح موضوع الجار موضوع متجاوز فالساكن لا يختار جاره، وفي الغالب لا تكون هناك رغبة في التعرف عليه أو التواصل معه وهذا ما أثر على العلاقات الاجتماعية بين الجيران التي أصبحت تتميز بالضعف والهشاشة.

من جانب آخر فقد ساعد شكل العمارة في الأزقة الحديثة في الحي على التأثير بشكل سلبي على علاقات الجيرة، فنجد أن المساكن بنيت بشكل متراص لم تدع مجال للفضاءات العامة التي تشكل أماكن إلتقاء بين الجيران، من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن حرص كل ساكن على الإستفادة القصوى من المحيط الخارجي لصالحه الخاص زاد من تأزم الوضعية الاجتماعية بين الجيران.

الخـلاصة

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن التغير الاجتماعي والثقافي في مدينة تبسة قد إنعكس على عمارة المسكن بشكل سلبي مما أفقدها هويتها المعمارية الخاصة بها، وجعل منها بنايات متراصة تفتقر للجانب الإنساني فيها، وللساكن دور أساسي لهذه الوضعية المتأزمة، حيث إبتعد عند إنتاجه لهذه العمارة عن القيم الثقافية والاجتماعية وصار إهتمامه مادي مفرغ من كل محتوى قيمي، وبذلك فقد أنتج عمارة مفرغة هي أيضا من كل محتوى ثقافي أو معنى هوياتي، هذه العمارة الضائعة الهوية قد أثرت بشكل ما بشكل عكسي سلبي على القيم الاجتماعية والثقافية للمجتمع.

النتائج العامة للدراسة

النـتائج العـامة للـدراسة

بعد التناول النظري للعمارة في الجزائر بصفة عامة، ثم التركيز على العمارة التقليدية للمسكن ودور الثقافة في تحديد خصائصها، وبعد الدراسة الميدانية لعمارة المسكن في مدينة تبسة من خلال البحث في رمزيتها في المخيال الشعبي، وإنعكاس الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمارسة السكنية عليها، فقد توصلنا إلى مايلي:

1. **النتائج الخاصة بواقع عمارة المسكن في الجزائر** (التساؤل الفرعي الأول):

- أثبتت العمارة المحلية التقليدية في الجزائر صدق تعبيرها عن مجتمعها وبيئتها وثقافتها، وإبتعادها عن أي تكلف أو إستعارة، لذا فقد تعددت وتنوعت على إتساع مساحة الجزائر بتنوع بيئتها الجغرافية والاجتماعية والثقافية (العمارة القبائلية، عمارة بني مزاب، ..إلخ). فقد تشكلت هذه العمارة نتيجة لسلسلة من التجارب المتعاقبة على مر السنين، تبنتها الأجيال وطورتها بما يناسب إحتياجاتها، لذا فقد تميزت ببساطة شكلها وعمق تعبيرها، وإنتمائها لوسطها البيئي والاجتماعي والثقافي فشكلت بذلك معه وحدة متجانسة معبرة بذلك عن هوية مجتمعه المحلي ومميزة له، فقد عكست عبقرية الإنسان في تعامله مع محيطه، وقدرته على التكيف معه برغم إمكانياته البسيطة فبالرغم من أنها عمارة شعبية بنيت دون تدخل معماريين أو مختصين فقد سعت إلى ترسيخ مفاهيم ثقافية وإجتماعية خاصة بالمجتمع الجزائري كالخصوصية، البيت البيئي، التماسك الاسري ..إلخ، وقد فرضت نفسها كتراث معماري محلي متميز بطابعه الذي يعكس هوية المنطقة.

- العمارة هي تعبير ثقافي بشكل بناء مادي، غير أنه ومع التغير الاجتماعي والثقافي، والتطور التكنولوجي السريع الذي ساعد على إنتشار عمارة عالمية حديثة، فقد بدأت العمارة المحلية في تبسة (الجزائر على العموم) تفرغ من كل محتوى ثقافي يعكس قيم المجتمع، وصار الأهم البحث عن الشكل على حساب الوظيفة والمعنى.

2. النتائج الخاصة برمزية المسكن ودلالاتها الثقافية في المخيال الشعبي لدى سكان مدينة تبسة (التساؤل الفرعي الثاني):

- العمارة بصفة عامة لاتعكس الهوية الثقافية العامة للمجتمع بقدر ما تعكس التمثلات والتصورات الكامنة في الذهنية الشعبية للمجتمع المحلي.
- من خلال تحليل تمثلات أفراد المجتمع تجاه مساكنهم وجدنا أن المسكن يرمز لـ: الأمان الخصوصية والحرمة التي تتمثل في "المرأة"
- إنتشار تيار التوجه نحو الفردانية وبروز الفرد وأهميته على الجماعة
- الدين الحقيقي السائد (في الجزائر على العموم) هو مزيج من المعتقدات التي يرجع أصل بعضها إلى الإسلام ومنها ماهو متوارث عن ديانات سبق وسادت المنطقة، ومنها ماهو ناتج عن خرافات وأساطير قديمة.
- التغير يمس الجانب المادي للثقافة بصورة أكبر وأسرع من الجانب اللامادي الذي يتمثل في الطقوس، التمثلات والممارسات، وهذا ما يفسر وجود عمارة مستحدثة في شكلها، تقليدية في شغلها (سكنها).

3. النتائج الخاصة بالعلاقة بين عمارة المسكن والهوية الثقافية (التساؤل الرعي الثالث)

- المسكن في شكله وتنظيمه يخضع للثقافة، وبذلك فهو معبر عن الهوية الثقافية. فلا يجب أن تؤخذ العمارة بمفهومها السطحي بأنها تجميع لكتل وأشكال معمارية، ولكنها مرآة لهويتنا الثقافية تعكس قيمنا ومبادئنا، فيجب البحث في معنى الأشياء، وليس في الأشياء في حد ذاتها، والمحافظة على الهوية المعمارية يساعدنا في العيش في مساكن تناسب إحتياجاتنا وظروفنا الاجتماعية والثقافية وكذلك الظروف البيئية.

- تساهم العمارة في صناعة الهوية الثقافية للمجتمع وذلك من خلال صورة العمارة التي تميز المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى التأثير في أفكار وسلوكات أفراد المجتمع، فالعمارة كما هي نتاج لثقافتنا، هي أيضا منتجة للثقافة، فإذا إستوردنا عمارة من الخارج، فإننا بذلك نستورد ثقافة من الخارج، هذه الثقافة تؤثر على هويتنا، وهذا ما يسمى بالإغتراب فنحن نعيش إغتراب هوياتي.

- لا بد للمعماريين والمهندسين والخبراء

- العمارة الحقيقية لا يمكن استيحائها إلا من خلال التراث الشعبي وما يحتويه من تمثلات وتصورات ومعتقدات. فالتراث المعماري يعتبر من أهم ممحددات الهوية المعمارية، وبالتالي فإهماله سيؤدي إلى إختفاء هوية معمارية واضحة خاصة بالمجتمع الجزائري، ولذلك لابد على الفاعلين في مجال العمارة من معماريين ومصممين ومهندسين من الاهتمام بشكل جدي بموضوع الهوية (بإعتبار أنهم هم المسؤولون عن صناعة العمارة) من خلال الإستفادة من هذا التراث.

الخـاتـمة

الخـاتمة

لطالما شكلت الهوية واحدة من أكثر المواضيع تداولا ودراسة في علم الاجتماع، الانثروبولوجيا وغيرها من العلوم، فهذا المصطلح رغم شيوع تداوله إلاّ أنه لا يزال يحمل في مضامينه جدلا واسعا حول موضوعه ومكوناته وحدوده وثوابته ومتغيراته، وذلك بفعل العولمة والتطور التكنولوجي وما خلفاه من تأثُير على الهوية والموروث الثقافي للمجتمعات المحلية.

حاولنا من خلال هذه الدراسة إلقاء الضوء على أحد مظاهر الهوية الثقافية في الجزائر وهي العمارة والبحث عن كيفية تجسيدها للهوية المحلية للمجتمع التبسي، وقد تناولنا عمارة المسكن كنموذج، وكيف أنها (عمارة المسكن) وجه للهوية الثقافية للمجتمع، فهي تعكس خصائصه الثقافية من خلال شكلها وظيفتها والرموز التي تتضمنها، فالمسكن أنثروبولوجيا يتجاوز كونه مجال فيزيقي إلى كونه مجال ثقافي اجتماعي، كما أنه لا يعد موضوعا في حد ذاته مستقلا عن ساكنيه، وإنما هو حصيلة القيم والمعتقدات والتصورات والتمثلات الخاصة بهم، فالمسكن منتوج ثقافي مظهر هوياتي.

عندما نرجع إلى تاريخ الإنسان القديم، فبالرغم من أنه (الإنسان) كان لا يملك الوسائل المادية ولا التكنولوجية لإنجاز مأواه إلا أنه كان قادرا على بناء مسكن بنفسه يلبي مختلف إحتياجاته النفسية والروحية والاجتماعية.

إن الوضعية المتأزمة للعمارة في الجزائر سببها الإبتعاد عن المقومات الثقافية المحلية التي تلبي إحتياجاتنا عند التخطيط والبناء، والسعي إلى اللحاق بركب التطور والحداثة من خلال إستعارة أنماط وأساليب معمارية من مجتمعات غربية بعيدة عنا في ثقافاتها، وقد أدى ذلك إلى ظهور أنماط ثقافية جديدة تختلف عن ثقافتنا جعلتنا نعيش إغتراب هوياتي ناتج عن الإختلاف بين ما نحتاجه وما نعيشه.

لذلك ومن أجل إسترجاع هويتنا المعمارية كان لا بد من الرجوع لموروثنا الثقافي والعمراني، لأنه وحده يلبي إحتياجاتنا ويستجيب لها.

غير أن الإهتمام بالموروث المعماري هنا لا يكون في تقليد الماضي أو نقله نقلا صريحا لعمارته و تخطيطه أو تبسيطا لعناصره، و لكنه إحياء لروحه و فلسفته إما عن طريق الإختزال الفني لخصائصه المعمارية أو عن طريق تطبيق مقوماته في الإنشاء و التصميم و التخطيط بما يتناسب مع الحاضر والمستقبل.

إن أول من يتحمل مسؤولية ضياع هويتنا المعمارية هم فئة المهندسين وأخص المعماريين منهم ولكي نعرف حجم هذه المسؤولية التي يتحملها المعماريون علينا أن نتساءل من يمنع مصممينا من الإستلهام من هذا الموروث الثقافي وإضفائه على عمراننا الحديث؟ ما الذي يجعل معمارينا يتجاهلون هذا الموروث الثقافي ويساهمون في حملة تغريب العمران و ضياع الهوية؟

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

I. قائمة المصادر

1. القرآن الكريم
2. السنة النبوية، صحيح مسلم

II. قائمة المراجع

1. إبراهيم أنس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية–مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، 2004، ط 4.
2. إبراهيم يوسف، **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**، مطبعة أبو داود، ط 1، 1993.
3. إبن منظور، **لسان العرب**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2008.
4. إحسان محمد الحسن، **الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي**، ط2، دار الطليعة للنشر و التوزيع، بيروت، 1986.
5. أحمد بخوش: **الاتصال والعولمة**، دار الفجر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
6. أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات**، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1996.
7. أحمد عياد، **مدخل لمنهجية البحث العلمي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
8. أحمد عيساوي: **مدينة تبسة و أعلامها**، دار البلاغة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2005.
9. أحمد مغنية، **تاريخ العرب القديم**، دار الصفوة، بيروت، ط1، 1994.

10. ادوارد تي هول، **البعد الخفي**، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، دار الاهلية للنشر، ط 1، الأردن، 2007.

11. أمبرتو إيكو، **السيميائيات وفلسفة اللغة**، ت.أحمد الصمعين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

12. بدوي عبد الرحمن، **تاريخ التصوف في الإسلام من البداية حتى نهاية القرن الثاني**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، 1978.

13. بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، ت.محمد برادة وحنان بورقية، عين،ط1، القاهرة، 2001.

14. بيار بورديو، **الهيمنة الذكورية**، ترجمة، سلمان قعفراني، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2002.

15. بيار بونت، ميشال ايزار، **معجم إثنولوجيا أنثرويولوجيا**، ترجمة مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2006.

16. جيلبير دوران، **الأنثرويولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها**، ت. مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 2006.

17. حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)**، المركز الثقافي العربي، ط 1، المغرب، 1990.

18. حسن فتحي: **عمارة الغفراء**، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4.

19. حسين مؤنس، **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، عالم المعرفة، الكويت، 1978.

20. خالد حسين حسين، **شعرية المكان في الرواية الجديدة-الخطاب الروائي لإدوارد الخراط نموذجا**، مؤسسة اليمامة، ط1، الرياض، 2000.

21. ديزيره سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، دار الصداقة العربية، ط1، بيروت، 1995.

22. دينس كوش، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة، لبنان، 2007.

23. سعد الغراب، **العامل الديني والهوية التونسية**، الدار التونسية للنشر، 1990.

24. سليماني جميلة، **دارسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي: الآليات النفسية والاجتماعية للمسكن**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

25. شاكر لعيبي، **العمارة الذكورية، فن البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي**، دار رياض الريس للنشر.

26. شريف يوسف، **المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها**، دار الجاحظ للنشر، العراق، 1980.

27. صالح فركوس، **تاريخ الجزائر – من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال-**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.

28. عبد الباقي إبراهيم، **المنظور الإسلامي للنظرية العمرانية**، مركز الدراسات التخطيطية والعمرانية، القاهرة، 1993.

29. عبد الحميد دليمي، **دراسة في العمران السكن و الاسكان**، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

30. عبد الرحمن إبن خلدون، **المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2001.

31. عبد السلام بوشارب، **تيسة معالم ومآثار**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، ط1، 1996.

32. عبد الله سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

33. عبد الله عبد الغني غانم، **قراءات و تطبيقات في طرق البحث الانثروبولوجي**، ط 1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

34. عمار عوابدي، **مناهج البحث العلمي وتطبيقها في ميدان العلوم القانونية والادارية**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

35. غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ت. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1984.

36. فراس السواح: **الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية**، منشورات دار علاء الدين، دمشق.

37. فريد محمود شافعي، **العمارة العربية الإسلامية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها**، جامعة الملك سعود للنشر، ط2، 1982.

38. فيليب لابورت تولرا، جان بيار فارنييه، **إثنولوجيا أنثروبولوجيا**، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

39. القصير عبد القادر، **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)**، دار النهضة العربية، بيروت، 1999.

40. مجموعة من الباحثين، **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق للنشر، بيروت، ط 38، 2000.

41. مجموعة من الكتاب، **الثقافة**، ترجمة: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، 1997.

42. محمد الصغير غانم: **الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا**، دار الهدى، الجزائر، 2005.

43. المدني أحمد توفيق، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**. الجزائر، المؤسسية الوطنية للكتاب، 1986.

44. مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

45. منير سعيداني، **الرؤية والمدى حصاد نقدي للبحث في المخيال**، تونس، 2006.

46. نائل حنون، **عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986.

47. نصر محمد عارف، **الحضارة الثقافة المدنية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1994.

48. هشام جعيط، **الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

49. هيام الملقي، **ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري**، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1995.

50. ياسين النصير، **إشكالية المكان في النص الأدبي دراسات نقدية**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1986.

51. يحي هويدي، **تاريخ فلسفة الإسلام في الشمال الافريقي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965.

III. المقالات

1. زندري عبد النبي، **العلاقة بين الإعتقاد والمخيال في بناء الخلفية الاجتماعية لتراث الشعبي الموروث الشعبي عند إموهاغ (التوارق) أنموذجا**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر 2016.

2. سليمان بومدين، **تصورات المغاربي لحرمة داره**، مجلة انسانيات، العدد 37، الجزائر، 2007، ص 49.

3. نيفين فرغلي بيومي، **التطبيقات المعاصرة للمشربية كموروث ثقافي**، مجلة العمارة والفنون، مصر، 2016، المجلد 1، العدد 1.

4. شرين عبد القادر محمد الفيومي، **توظيف مبادئ الإستدامة في العمارة الإسلامية لمواجهة التحديات المعمارية رؤية خزفية**، المجلة العالمية للتصميم، الحجم 5، العدد 3.

5. فهمي السيد فهمي، **المسائل الاجتماعية للإسكان**، مجلة التنمية، 1988 ،عدد 5.

6. سوالمية نورية، بووشمة الهادي: **الساكن والفضاء السكني علاقة حميمية مقاربة انثروبولوجية**، مجلة آفاق علمية، العدد 02، 2018.

IV. اطروحات دكتوراه

1. بن معمر عبد الله، **المكان والزمان في الثقافة الشعبية مقاربة أنثروبولوجية**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف سعيدي محمد، قسم علم الاجتماع، جامعة تلمسان، 2010، غير منشورة.
2. فريد بوبيش، **واقع التنمية العمرانية المستديمة في الجزائر**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع البيئة، جامعة بسكرة، 2019/01/24.
3. سومار عبد القادر، **المخيال الجماعي والتمثلات الفكرية الفكرة المعنى المفهوم**، رسالة دكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2015.
4. مسعود عباس، **الموازنة المائية لشمال الجزائر (1980-1950)**، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير، غشراف د.حليمي عبد القادر، قسم الجغرافيا، جامعة الجزائر، 1983.

V. مواقع انترنت

1. https://mirathlibya.blogspot.com/2010/07/blog-post.html
2. https://mirathlibya.blogspot.com/2010/07/blog-post.html
3. https://twitter.com/alhmmashael/status/1259876270202118144
4. https://www.facebook.com/305326433526280/posts/3583546315567

5. La maison traditionnelle kabyle axxam, publier le 20 avril 2014, http://quintessences.unblog.fr/2014/04/20/la-maison-traditionnelle-kabyle-axxam/

6. Maison de compagne en Kabylie : Publié le 17/11/2007 à 12:00 par agoumatine http://www.maison-de-campagne.name/maison-de-campagne-en-kabylie/

7. جمال الهمالي اللافي: **حول النمط المعماري والهوية المعمارية**، http://mirathlibya.blogspot.com/2010/08/blog-post.html

8. **خميسة: قصة تميمة عابرة للأديان تحرس صاحبها، موقع أصوات مغاربية**، https://www.maghrebvoices.com/a/maghreb/458562.html

9. شيهب عادل، **الثقافة والهوية إشكالية المفاهيم والعلاقة** ، مقال في موقع أرنتروبوس، لوحظ يوم 2016/05/20

10. فكري آل هير، **حول أصل تسمية العرب وتاريخ ظهورهم**، مقال نشر بتاريخ 20 جويلية 2018 https//www.makalcloud.com

11. مدونة الميراث، https://mirathlibya.blogspot.com/2013/04

12. موقع ولاية تبسة، http://www.wilaya-tebessa.dz/presentation.php

13. الهندسة المعمارية http://www.qatra.net/archi/whatarchi.htm

14. يونس الوكيلي، **التأويل الرمزي للثقافة في التداخل المعرفي بين الأنثروبولوجيا والسيميولوجيا**، موقع مؤمنون بلا حدود، https://mominoun.com/pdf1/2015-01/54c9d6103d5c01599321514.pdf

VI. المراجع باللغة االفرنسية

1. Abdelghani Meghrbi, **Culture et personnalité Algérienne de Massinissa à nos jours,** Edition ENAL-OP, Alger, 1986.
2. Albertini E, Marçais.G, Yver. G**, L'Afrique du Nord française dans l'histoire**, Archat, Lyon-Paris,1937.
3. Amos Rapoport, **pour une anthropologie de la maison**, Paris, 1972.
4. André Ravéreau, **Le M'Zab une leçon d'architecture,** édition Sindbal, Paris, 1981.
5. Bachelard G, **La poétique de l'espace**, Puf, Paris, 1981.
6. Charly Guibbaud, **la maison kabyle élément structurant de la société kabyle**, centre de documentation historique sur l'Algérie.
7. Chombart De Lauwe P.H, **Pour une sociologie des aspirations,** Médiations, Paris, 1971,
8. Despois .J, Raynal.R, **Géographie del'Afrique du Nord-Ouest**, Payot, Paris, 1967.
9. Feraud Ch, **notes sur Tebessa**, R.Af ,18 , 1874.
10. Jaques Pezeu Massabuau, **la maison espace sociale**, PUF, Paris.
11. Jean Piaget, **la formation du symbole chez l'enfant**, édition Delachaux et Niéstlé, 6eme édition, Paris, 1976.

12. Jean Pierre Bondue. et autres (sous-direction), **Dictionnaire de l'habitat et du Logement**, l'état des savoirs, 2004.
13. Mahcen Ruissi, **population et société au Maghreb**, OPU, Tunisie, 1983.
14. Marc E.- Picard D., **L'interaction sociale**, Puf, Paris, 1989.
15. Massabuau J. P, **La maison, Espace social**, Puf, Paris, 1983.
16. Mitrad .A-E,**Considérations sur la subdivision morphologique de l'Algérie orientale**, R.Af,81, 1937.
17. Nouschi.A ,**Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919, Essai d'histoire économique et sociale**, P.U.F,Paris,1961.
18. Pierre Bourdieu, **le sens pratique** Annexe **la maison ou le monde renversé,** éditions de Minuit, Paris, 1980.
19. Pierre Erny, **Douze contributions à une ethnologie de la maison**, l'Harmattan, Paris, 1999.
20. Ramon Basagana, Ali sayad, **habitat traditionnel et structures familiales en Kabylie**, mémoires du centre de recherches anthropologiques préhistoires et ethnographiques, Alger, 1974.
21. RENIER A, **Espace et représentations: Penser l'espace**, Les éditons de la villette, Paris, 1982,
22. Robert Lafon, **vocabulaire de psychopédagogie et de psychiatrie de l'enfant**, 1er édition, PUF, Paris, 1973.

VII. المقالات باللغة االفرنسية

1. Hadjij D, **L'habiter: La spatialisation des modes de vie**, In Revue des sciences sociales, N°17, Université de Constantine, (Janvier 2002),

2. M. Graf De La salle, **Croyances et coutumes relatives à la maison chez les musulmans de Tunis**, Revue Africaine, n° 88,1944 pp 67-82, n° 90/1946 .

VIII. المراجع باللغة الإنجليزية

1. Cowell, F.R. **The garden as a fine art - from antiquity to modern times, Weidenfeld & Nicolson**, Vol 1, London, 1978.
2. Ran Zadok, **Arabians in mespotamia during the late-assyrian, Chaldean, achaemanian and Hellenistic period**, 1981.

IX. مصادر أخرى

1. **تبسة –مونوغرافيا سياحية –**، مديرية السياحة لولاية تبسة، صادرة عن مديرية النشر لمديرية السياحة لولاية تبسة، 2007.
2. **السكن في تبسة**، مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية تبسة

قائمة الملاحق

دلــيل المقابـلة

مقابلة تحوي على مجموعة من الأسئلة تساعد في إنجاز بحث ميداني يدخل في إطار إنجاز رسالة دكتوراه في الأنثروبولوجيا العامة حول موضوع المسكن والهوية الثقافية.

جميع البيانات الموجودة في هذه الوثيقة سرية وتحافظ على خصوصيات أصحابها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إستخدامها خارج إطار البحث العلمي.

أولا: البيانات الشخصية

1. الجنس: ذكر أنثى
2. السن:
3. الحالة الاجتماعية: أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐
4. المستوى التعليمي: دون مستوى ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐
5. الأصل الجغرافي:
6. نوع الأسرة: ممتدة نووية

ثانيا: المحور الأول: المسكن تمثل ورمز

1. ماهو مفهومك للمسكن ؟ وماذا يمثل بالنسبة لك ؟

.....
.....
.....

2. ماهو مفهومك للحرمة ؟

.....
.....
.....

3. ماهي أهمية الفناء الداخلي ؟

.....
.....
.....

4. من هو المسؤول عن تصميم مخطط المسكن أو أي تعديل فيه ؟

.....
.....
.....

5. ماهو دور كل من الرجل والمرأة داخل المسكن ؟

.....
.....
.....

ثالثا: المحور الثاني: المسكن إعتقاد وطقس

6. ماهي الطقوس والممارسات التي تقام عند بناء المسكن ؟

.....
.....
.....

7. ماهي الطقوس التي تمارس في المسكن عند بداية كل سنة جديدة ؟

.....
.....
.....

8. ما رأيك في المثل الشعبي: عتب ونواصي وبعض من الذرية ؟

.....
.....
.....

9. كيف يمكن تحصين المسكن من العين ؟

.....
.....
.....

10. ماذا تعني لك البركة ؟ وماهي الممارسات التي تجلب البركة للمسكن ؟

.....
.....
.....

رابعا: المحور الثالث:

11. أيهما أفضل السكن مع العائلة أو الإستقال بالمسكن ؟ لماذا؟

.....
.....
.....

12. كيف أثر خروج خروج المرأة للعمل على المسكن ؟

.....
.....
.....

13. ماالفرق بين المسكن والشارع (الزنقة) ؟

.....
.....
.....

14. ما رأيك في المثل الشعبي: الجار قبل الدار

.....
.....
.....

Résumé

Afin de comprendre la relation entre architecture et identité culturelle, nous avons essayé à travers cette étude de mettre en évidence le sujet de l'architecture d'un point de vue anthropologique, et comment elle (l'architecture du logement) est un visage de l'identité culturelle de la société car elle reflète ces particularités culturelles à travers les formes, les fonctions et les symboles qu'elle contient. D'un point de vue anthropologique le logement n'est pas un simple espace physique contenant des fondations, des piliers, des murs, des portes, des fenêtres et des plafonds, il va au-delà de ça pour être un espace socio-culturel, dans lequel différentes pratiques et comportements quotidiens et rituels ont lieu, ainsi que de nombreuses relations et interactions entre ses habitants, ainsi que différentes perceptions et représentations, reflétant ainsi leur culture et leur identité.

Mots clés : Architecture – Habitat – Identité Culturelle

Abstract

In order to understand the relationship between architecture and cultural identity, we have tried through this study to highlight the subject of architecture from an anthropological point of view and how it (housing architecture) is a face of the cultural identity of society because it reflects these cultural particularities through the forms, functions and symbols it contains. From an anthropological point of view, housing is not just a physical space containing foundations, pillars, walls, doors, windows and ceilings; (it goes beyond) to be a socio-cultural space, in which different daily practices and behaviors and rituals take place, as well as many relationships and interactions between its inhabitants, as well as different perceptions and representations, thus reflecting their culture and their identity.

Key Words: Architecture – House – cultural identity